سل الحسام الهندي

لنصرة

الشيخ خالد النقشبندي

تأليف

العلامة الشيخ محمد أمين بن عمر الدمشقي

الشهير بـ «ابن عابدين»

(المتوفى سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م)

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

عمر فاروق قورقماز

سل الحسام الهندي

لنصرة

الشيخ خالد النقشبندي

دار السراج

الكتـــاب: سل الحسام الهندي لنصرة الشيخ خالد النقشبندي

المؤلف: محمد أمين بن عمر (ابن عابدين)

الطبعة الأولى: ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م

ISBN: 978-625-95246-1-0

Siraç Yayınevi

Balat Mah. Murat Molla Sok. No: 10/1 34087 Fatih/İstanbul

حي بلاط، زقاق مراد ملا، رقم: ١٠/١ ٣٤٠٨٧ الفاتح/ إستانبول

Yayıncı Sertifika No: 53053 | 0 (212) 521 72 45 | 0 (212) 635 10 10

bilgi@ismailagayayinevi.com | www.siracpazarlama.com

Baskı-Cilt

Sistem Matbaacılık

Yılanlı Ayazma Yolu, No: 8 Davutpaşa, Zeytinburnu/İstanbul

Matbaa Sertifika No: 49687

0 (212) 482 11 01

سل الحسام الهندي

لنصرة

الشيخ خالد النقشبندي

تأليف

العلامة الشيخ محمد أمين بن عمر الدمشقي

الشهير بـ «ابن عابدين»

(المتوفى سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م)

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

عمر فاروق قورقماز

دار السراج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله الذي جعل أولياءَه شعائرَ لمحبَّته، والصَّلاة والسَّلام على رسوله الذي نَقَل عنه إيذانَه بالحرب مؤذيَ وليِّه، وعلى آله وأصحابه وأهلِ بيتِه.

وبعد:

فإن الذبَّ عن أولياء الله من أَعلى الوَظائِف وأَسْنى المَقاصد وأفضلِ الأعمال؛ لأنه يُنْبئ عن فرطِ المحبّة لله ولرسوله، فإن محبَّة أولياء الله تنْشأ من محبّة الله ورسولِه، ولهذا يقول النَّبي ﷺ في حقّ أصحابه الذين هم أعاظم الأولياء محذراً أمَّته من أن يطيلوا ألسنتهم عليهم: «اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فمَن أحبَّهم فبحُبي أحبَّهم، ومَن أبغضهم فببُغضي أبغضهم، ومَن آذاهم فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى، ومَن آذى الله فيوشك أن يأخذَه!»[1]

وهذا الحديث يفيد لنا بوضوح أنّ الإيذاء لأولياء الله إيذاءٌ لرسول الله، والإيذاءُ لرسول الله إيذاءٌ لله، وذا موجبٌ لغضب الله وعقابه، فالأولياء وسَائِلُ في الوصول إلى الله ومحبته ورضاه.

قال ابن عجيبة في «البحر المديد»[2] ما نصّه:

«إن العبد إذا صحّت نسبتُه إلى مولاه، وانقطع بكليته إليه، ورفَض كلَّ ما سواه،

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣٤/ ١٦٩)، (رقم: ٢٠٥٤٩).

(٢) «البحر المديد» (٥/ ٦٥).

اتَّصلت نسبتُه، ودامت محبتُه وأُنسُه، ومن تعلَّق بغيره، وتودَّد إلى ما سواه، انقطع ذلك وانفصل، ومن النسب التي تتصل وتدوم، النسبةُ إلى أولياء الله، والتحبُّبُ إليهم وخدمتهم، وهي في الحقيقة من نسبة الله تعالى؛ لأنها سبب معرفته والتحقُّقِ بعبوديته، فهي عينها، فمن انتسب إليهم فقد انتسب إلى الله، ومن أحبهم فإنما أحب الله، فمحبّتهم والاجتماعُ معهم يؤدي إلى محبة الله ورضوانه، وهم الذين يكونون عن يمين الرحمن، يغشى نورُهُم الناس يوم القيامة، يَغْبِطهم النَّبيُّون والشهداء لمنزلتهم عند الله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام لما سُئِل عنهم: «هم رجال من قبائل شتى، يجتمعون على ذكر الله ومحبته»[١].

وكما كانت محبّة الأولياء علامةً لحبّ الله تعالى، كانت عداوةُ الأولياء علامةً لعداوةِ الله تعالى؛ لأنّ الله عزّ وجلّ آذن من يؤذيهم بالحرب، ولا شك أنّ الحرب تُعْلَن على الأعداء، فالدِّفاع عن أولياء الله تعالى يكون دفاعاً عن الله، وإنه عهدةٌ على أعناق أهل العلم والإنصاف إذا كان الصراع في المسائل العلمية؛ لأنّ الله عزّ وجلّ أمرَنا أن نكون قوّامين بالقسط شهداء لله تجاه كل ظلم واعتداءٍ.

إذا كان الحال هكذا لكل أحد فأن نكون قوامين بالقسط مدافعين عن حقوق أوليائه تعالى حينما شتمهم وظلمهم بعضُ الأشقياء أولى وأوجب؛ لهذا قال الرسول ﷺ: **«إذا أظهرت أمتي البدعَ، وشُتِمَ أصحابي، فليُظْهِرِ العالِم علمَه، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد»**[٢]

---

(١) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»، (١٠/ ٧٧)، (رقم: ١٦٧٧٠) وعزاه إلى الطبراني وقال: إسناده حسن.

(٢) رواه الآجُرِّي في (الشريعة، كتاب فضائل معاوية بن أبي سفيان، باب ذكر اللَّعنة على من سبَّ أصحابَ رسول الله ﷺ، رقم: ١٩٨٧)، ورواه الديلمي في «الفردوس»، (رقم: ١٢٧١) =

ونفهم من هذا الحديث أنّ الدفاع عن أعاظم الأولياء ـ أعني الصّحابة ـ حينما شتمهم أعداؤهم المبتدعة والزنادقة واجبٌ على علماء الأمة، وأنّ عدمَ إظهارِ العلم حينئذٍ موجبٌ لكِتْمان بعض ما أنزل الله، ولِلَعْنة الله وملائكته والنَّاس أجمعين.

وعلى هذا القياس، فالسُّكوت في معرض التَّهجُّم على أولياء الله في كل أوان إلى يوم القيامة يَنجَرُّ إلى هذه النتيجة، والعياذ بالله تعالى.

ومن ناحية أخرى، فإن هذه الوظيفة هي غاية حياتنا وسبب عيشنا، فلا معنىً للحياةِ إذا سكتْنا حينما يُتهجَّم على الأصحابِ وأولياءِ الله.

بهذه المناسبة يمكن أن نقول: إنّ هذه الرّسالة أُنْمُوذَجٌ مُهِمٌّ في الدِّفاع عن ولي كبير من أولياء الله تعالى، ومُؤَلِّفُ هذه السُّطور ـ أعني: ابن عابدين ـ تغنينا شهرته عن أن نُعَرِّفَه ونُبَيِّنَ قدرَه في العلوم الشَّرْعية خصوصاً في الفقه، وبسبب كونه متبحراً في العلوم عامّةً وفي الفقه خاصَّةً لقَّبه العلماءُ بـ«سلطان الفقهاء».

فهذا الفقيه الكبير أَوْفىَ وظيفته في ميدان تهجم بعض المحرومين على شيخه ومربيه مولانا خالد النقشبندي بتشميره عن ساعد الجد، ودفاعه عنه بقلمه القوي القيم، وبأسلوبه العجيب البيّن، وإظهار علمه المتمكن.

فصارت هذه الرسالة مثالاً يُحتذى لأهل العلم في زمنه ومن بعده.

= بلفظ: «فإن لم يفعل، فعليه لعنة الله»، ورواه أيضاً الخطيب في (الجامع، إملاء فضائل الصحابة ومناقبهم، رقم: ١٣٥٤) بلفظ: «فمن لم يفعل ذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله له صرْفاً ولا عَدْلاً».

نسأل الله تعالى الاقتفاء بآثار أكابرنا، والاتباع بطرق عظمائنا، وأن ينفع بهذه الرسالة المؤمنين المحصلين عموماً، وسالكي الطريقة النقشبندية الخالدية خصوصاً.

آمين يا مُجِيبَ السَّائِلين

عمر فاروق قورقماز

ترجمة المؤلف

الفصل الأول
عصر ابن عابدين[1]

أولاً: من الناحية السياسية:

عصر ابن عابدين هو بداية القرن الثالث عشر الهجري والتاسع عشر الميلادي، وهذا العصر يعد منعطفاً كبيراً في حياة الشرق عامةً والدولة العثمانية خاصةً، ولقد حكم هذا العصر أربعة من السلاطين العثمانيين: عبد الحميد الأول، وسليم الثاني، ومصطفى الرابع، وأخيراً محمود الثاني الذي توفي ابن عابدين في زمن سلطنته.

وقد اتسم هذا العصر بحالة من التدهور في الحياة السياسية، وكثرة الحروب مع الغرب ولا سيما الروس، وتعدد الانقلابات العسكرية والتحالفات الدولية، وتم إنهاء الجيش الانكشاري واستبدالهم بالعساكر النظامية.

وأما دمشق، فكانت تتبع للإدارة العثمانية من حيث الإشراف رسمياً، ولكن

---

(١) للتوسع في ذلك: يراجع كتاب «ابن عابدين وأثره في الفقه الإسلامي» ابتداءً من ص ١٨١ للشيخ الدكتور عبد اللطيف الفرفور الدمشقي.

الحكم الفعلي هو للمتسلطين من الوزراء والباشاوات، وكان من أبرزهم أحمد باشا الجزار، وكان لا يتورع عن القتل والنهب، وحصلت في عهده معارك ضد نابليون بونابرت، وبعدها دخل إبراهيم باشا دمشق، وقام بتنظيم البلاد مع فرض الضرائب الباهظة.

ثانياً: من الناحية الاجتماعية:

أدى تحريض الدول الأجنبية ضد الدولة العثمانية إلى انقسام المجتمع الدمشقي وتصدع بنيانه، وبسبب دخول المدارس التبشيرية إلى دمشق والتي كانت تدعو إلى محاربة الإسلام والقضاء على الخلافة، أدى ذلك إلى عزل الناس عن مجاراة روح العصر، وتتبع الأنشطة الفكرية خارج حدود مدينتهم وولايتهم.

ثالثاً: من الناحية العلمية:

أ ـ العلوم الدينية:

كان للعلوم الدينية الحظ الأوفر في التقدم في هذا القرن، ويكاد يكون أكثر رجالات العلم مشاركين في العلوم الدينية، فضلاً عن المتخصصين فيها.

على أنها لم تكن متجددةً في أساليبها من اختصار وشرح وتحشية، ولم يوجد من يرجح قولاً أو يعالج مشاكل العصر.

إلا أن نهضة علمية (فقهية) بدأتها عائلات دمشقية عرفت بذلك: كآل حمزة، والأسطواني، والغزي، والمرادي.

ب ـ العلوم الأدبية:

كما في الناحية الدينية، فقد لازم الأدباء الصيغ الأدبية التي كانت رائجةً في

عصرهم، مع قصورها عن بلوغ المستوى في الأصل من جهة ثانية، وبرز هناك التكلف للبديع والتلاعب بالأوزان الشعرية، وكثُرتْ المناجات للخالق ومدح رسول الله ﷺ في الأشعار، وبرزت على الساحة الموضوعات التقليدية كالهجاء والفخر والرثاء، واهتم الكتاب بتسجيل عدد من التواريخ الواسعة التي تبين كثيراً من الوقائع والأحداث في ذلك العصر.

ج ـ علم التصوف:

انتشر علم التصوف في هذا العصر، حيث وجد الناس فيه ملجأً يسكنون إليه، ولقد كان نصيب دمشق من العلماء الربانيين كبيراً، فكانت مدارس التصوف تغطي على أنحاء دمشق، وكان للشرع بها ناموس عظيم لا يتجاسر أحد على ظلم أحد، ولا على إثبات حق بغير وجه شرعي، وفي ذلك دليل على مراقبة الناس لله تعالى، واستفادتهم من المرشدين في ذلك الوقت.

الفصل الثاني
شخصية ابن عابدين

أولاً: اسمه ونسبه:

أسرة عابدين دمشقية عريقة، وأساس هذه الشهرة «عابدين» يعود إلى جدهم الخامس محمد صلاح الدين الشهير بـ«عابدين»، كما ذكره كثير من المترجمين له.

وتعد العائلة سليلة آل بيت النبي ﷺ، وهذا اسم ابن عابدين كاملاً:

هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم بن نجم الدين بن العالم محمد صلاح الدين الشهير بـ«عابدين» بن نجم الدين الثاني بن محمد كمال بن تقي الدين المدرس بن مصطفى الشهابي بن حسين بن رحمة الله بن أحمد الثاني بن علي بن أحمد الثالث بن محمود بن أحمد الرابع بن عبد الله بن عز الدين بن عبد الله الثاني بن قاسم بن حسن بن إسماعيل بن حسين النتيف بن أحمد الخامس بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل الأعرج بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن فاطمة بنت سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: مولده:

أجمعت المصادر التي بين أيدينا كلها على أن ولادته كانت في عام ١١٩٨هـ.

الموافق لـ ١٧٨٤ في دمشق، ونشأ في حجر أبيه السيد عمر عابدين في حي القنوات من أحياء دمشق ـ زقاق المبلط.

كنيته أبو النور، واسمه محمد أمين، وكان كثيراً ما يقول عن نفسه: «محمد عابدين»، وبهذا الاسم اشتهر، وكان له عم من أهل الصلاح ومظنة الولاية اسمه الشيخ صالح عابدين، بشر أمه به قبل ولادته، وهو الذي سماه بـ«محمد أمين» حين كان في بطن أمه.

ثالثاً: نشأته:

نشأ ابن عابدين في حجر أبيه الذي لم يكن عالماً، بل كان تاجراً عابداً صالحاً، فرباه على الفضيلة والهمة العالية، فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وهو صغير جداً.

وكان والده يجلسه في محله التجاري؛ ليألف التجارة ويتعلم البيع والشراء، وربما صاحبه في جولاته التجارية في الأسواق، وكان لهذا أثره فيما بعد، حيث بقي ابن عابدين طول حياته تاجراً يأكل من كسب يده، وانعكست تلك المعرفة التجارية على فقهه وكتابته.

رابعاً: تحصيله العلمي:

مر تحصيله بمراحل عديدة، ولذلك سبب وجيه، وسنصاحب ابن عابدين في هذه المرحلة شيئاً فشيئاً.

الفرع الأول: سبب تحصيله:

ذكرنا أن ابن عابدين كان يجلس في محل والده كثيراً في أول وعيه الدنيا، فجلس

يوماً يقرأ القرآن الكريم، فمر به رجل لا يعرفه، فسمعه يقرأ، ولم يكن بعد قد تعلم التجويد، أو جالس أحداً من أهل العلم، فزجره وأنكر قراءته، وقال له: «لا يجوز لك أن تقرأ هذه القراءة، أولاً: لأن هذا المحل محل التجارة، والناس لا يستمعون قراءتك، فيرتكبون الإثم بسببك، وأنت أيضاً آثم، وثانياً: قراءتك ملحونة... ».

فقام من ساعته، وسأل عن أقرأ أهل العصر في زمنه، فدله أحد أصدقائه على شيخ القراء في عصره الشيخ سعيد الحموي.

الفرع الثاني: مراحل التحصيل:

المرحلة الأولى: مع شيخ القراء سعيد الحموي:

ذهب ابن عابدين إلى حجرة الشيخ سعيد الحموي في الجامع الأموي، وهو وقتئذٍ شيخ قراء البلاد الشامية، ومن علماء الشافعية المعمرين فيها، فطلب أن يعلمه أحكام القراءة والتجويد، وكان حينئذٍ لم يبلغ الحلم، فحفظ المتون التالية: «الميدانية» و«الجزرية» في أحكام التجويد، و«الشاطبية» في القراءات، وقرأها عليه قراءة تمكن حتى أتقن فن القراءات بطرقها وأوجهها من طريق الشاطبية، ثم جمع عليه.

ثم قرأ عليه طرفاً من النحو والصرف والفقه الشافعي، حيث تمذهب به؛ لأنه مذهب شيخه، فحفظ لذلك «متن الزبد» في الفقه الشافعي.

وقد انتهت هذه المرحلة بإجازات ثلاث من الشيخ لتلميذه: اثنتين خطيتين، وواحدة شفهية، سجل ذلك كله ابن عابدين في آخر ثبته.

المرحلة الثانية: مع الشيخ شاكر العقاد:

هو محمد شاكر بن علي بن سعد بن علي بن سالم العمري، الشهير والده

بـ«العقاد» وبـ«ابن مقدم سعد»، وأصبح محجة الطلبة وعلامة دمشق، فقرأ عليه ابن عابدين علوم الآلة، فبدأ بقراءة كتب المعقول والحديث والتفسير، ولما وصلوا إلى الفقه، ألزمه شيخه الشيخ شاكر أن يتحول للمذهب الحنفي؛ لأنه مذهبه، فلقد كان الشيخ شاكر من أكابر الحنفية بالرغم من كون والده حنبلياً!

ثم قرأ عليه كتب الفقه الحنفي وأصول الفقه والفرائض والحساب والعقائد والتصوف، وعلم المعقول كالمنطق وما شابهه.

ومن الكتب التي قرأها على الشيخ شاكر في الفقه الحنفي: «الملتقى»، و«الكنز»، و«البحر»، و«الهداية» وبعض شروحها، و«الوقاية» وشروحها، و«الدراية».

ثم شرع ابن عابدين في قراءة «الدر المختار» على شيخه المذكور مع جماعة من طلبة العلم، من جملتهم أكبر تلامذة العقاد الشيخ سعيد الحلبي، وبقي ملازماً لشيخه العقاد حتى وفاته عام ١٢٢٢، ولم تتم قراءة «الدر».

وكان مما أخذه ابن عابدين عن شيخه الطريقة القادرية التي كان مجازاً بها من الشمس الكزبري، مما أورثه أدباً عالياً معه وفي خدمته.

واستمرت صحبته لشيخه سبع سنين، توج ذلك كله بإجازته له بإجازتين: بالإجازة الشعرية، وهي إجازة عامة بكل المرويات مؤرخةً عام ١٢١٧، وبالإجازة النثرية بمسلسلات ابن عقيلة.

المرحلة الثالثة: مع الشيخ سعيد الحلبي:

توفي الشيخ العقاد ولم يعين خلفاً للحلقة التي كان يقرئها من الطلبة، ولكن أكبر تلاميذه سناً وقدراً الشيخ سعيد الحلبي الملقب بـ«فقيه النفس» هو الذي انعقدت

له البيعة بالمشيخة، والتف حول الإخوان لإكمال الكتب التي بدؤوها مع شيخهم العقاد، وكان منهم ابن عابدين.

أما عن عناية الشيخ سعيد الحلبي بابن عابدين، فكانت عظيمةً جداً، وقد كان الشيخ سعيد الحلبي يغلق الباب بعد خروج تلاميذه في وقت مخصوص إلا لابن عابدين، فيترك له الباب مفتوحاً ولو تأخر؛ خصوصيةً له».

ولقد أجازه الشيخ سعيد الحلبي حين أتم قراءة «الدر» عام ١٢٢٤ كما هو مكتوب على الإجازة.

الفرع الثالث: في الإقراء والتدريس:

بدأت هذه المرحلة في شوال سنة ١٢٤٣، فقد أقرأ «الدر المختار» ابتداءً في هذه السنة.

فمن عام ١٢٣٠ إلى ١٢٤٣ ثلاثة عشر عاماً قضاها في تخمير دراسته وإكمالها على شيخه الحلبي، وفي تصنيف الكتب التي أطارت في الآفاق ذكره، فلم يأت عام ١٢٤٣ حتى أصبح شيخ الحنفية في عصره بلا منازع، ولم تبق صلته بشيخه فيما يبدو بعد هذا التاريخ إلا صلة البر والاحترام والاعتراف بالفضل والتأدب، الذي لم يتزعزع بما وصل إليه ابن عابدين من مكانة مرموقة، ولا شك أن أفواج كبار الطلبة كانت تؤم دمشق للقراءة على ابن عابدين واستجازته، وكان في تقريره للعلوم بحراً زخاراً.

خامساً: شيوخه:

لابن عابدين ما يقارب من خمسة عشر شيخاً، منهم أربعة يعتبرون أساطين المدرسة العلمية والروحية التي تربى فيها ابن عابدين وبها تخرج، والباقون أجازوه، فمنهم من حضر بعض دروسه، ومنهم يعتبر من أشياخ أشياخه، ومنهم

من أجازه مكاتبةً.

أ ـ شيوخ التخريج والتربية:

١ ـ الشيخ محمد سعيد الحموي:

أول شيوخه وأقدمهم تاريخاً، شيخ القراء في عصره.

٢ ـ الشيخ شاكر العقاد (ت ١٢٢٢):

وهو الشيخ الثاني الذي تبنى ابن عابدين، وأحله من قلبه محلاً عظيماً.

٣ ـ الشيخ سعيد الحلبي (ت ١٢٥٩):

وهو الشيخ الثالث لابن عابدين من جهة، ورفيقه في الطلب من جهة أخرى؛ لأنهما اشتركا في قراءة «الدر المختار» على الشيخ شاكر المذكور.

٤ ـ الشيخ خالد النقشبندي (ت١٢٤٢):

وهو الشيخ المربي من كان له إشراف على روحانية ابن عابدين ورقيه الروحي.

ب ـ شيوخ الإجازة:

وهؤلاء صنفان:

الصنف الأول: أخذ عنهم ابن عابدين في بعض المجالس العلمية التي كانوا يعقدونها في الجامع الأموي أو في بيوتهم، فكانت إجازتهم له بعد قراءة أو سماع، وهم ثمانية:

١ ـ الشمس محمد الكزبري (ت١٢٢١):

فقد حضر ابن عابدين بعض مجالسه، وصدرت منه له إجازات شفوية، فضلاً

عن الإجازة الخطية عام ١٢١٦.

٢ ـ الشهاب أحمد العطار (ت١٢٨١): وقد حضر المترجم بعض مجالسه أيضاً، وأخذ منه إجازةً خطيةً عام ١٢١٦.

٣ ـ الشيخ نجيب القلعي الشهير بابن قنبازو (ت١٢٤١):

حضر ابن عابدين بعض مجالسه مع شيخه شاكر العقاد، وأجازه عام ١٢٢٠.

٤ ـ الشيخ محمد عبد الرسول الهندي:

التقى به ابن عابدين في دمشق أثناء زيارة الشيخ الهندي لها، وأجازه.

٥ ـ الشيخ هبة الله البعلي التاجي (ت١٢٢٤):

التقى به ابن عابدين فيما يبدو، وأخذ منه إجازةً خطيةً لم نظفر بها، أثبت الشيخ أبو الخير عابدين وجودها.

٦ ـ الشيخ محمد صالح الزجاج:

التقى به ابن عابدين، وظفر منه بإجازة خطية.

٧ ـ ٨: الشيخ إبراهيم (ت١٢٢٢) والشيخ عبد القادر ولدا الشيخ إسماعيل بن الشيخ عبد الغني النابلسي:

ظفر منهما بإجازة خطية.

الصنف الثاني:

أخذ عنهم ابن عابدين الإجازة مكاتبةً ولم يلتق بهم، وهم ثلاثة:

١ ـ الشيخ محمد الأمير المصري (ت١٢٣٢).

٢ ـ الشيخ صالح الفلاني (ت١٢١٨).

٣ـ الشيخ عبد الملك القلعي المكي (ت١٢٢٩).

سادساً: تلاميذه:

أخذ عنه عدد من الأكابر الأعيان، أكتفي بذكر بعضهم:

١ ـ عبد الغني بن عابدين أخوه.

٢ ـ محمد جابي زاده قاضي المدينة المنورة.

٣ـ عبد الغني الغنيمي شارح القدوري.

٤ ـ يوسف المغربي والد المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني.

٥ ـ عبد القادر الخلاصي شارح «الدر» و«الألفية».

٦ ـ أحمد سليمان الأروادي.

٧ ـ شيخ الإسلام عارف حكمت.

٨ ـ الشهاب محمود الآلوسي.

سابعاً: صفاته:

كان ابن عابدين مقسماً وقته ما بين النهار في التدريس والليل للتأليف، حريصاً على نشر العلم، وكان مغرماً بتصحيح الكتب والكتابة عليها، يأكل من مال تجارته.

وكان حسن الخط، قل أن يرى من يكتب مثله على الفتاوى وعلى هوامش الكتب في الجودة وحسن الخط، ولا يكتب على سؤال رفع إليه إلا غيره غالباً.

وكان أيضاً حريصاً على إفادة الناس وجبر خواطرهم، مكرماً للعلماء والأشراف

وطلبة العلم، يواسيهم بماله، صلباً في دينه، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، فكانت تهابه الحكام وأهل السياسة، وافق ذلك تواضعه، وحسن أخلاقه، وحبه للفقراء والمساكين، مع أدب جم، وصلاح وتقوى في الدين.

وكان في رمضان يختم كل ليلة ختماً كاملاً مع تدبر معانيه، وكثيراً ما يستغرق ليله بالبكاء وقراءة القرآن.

وبالجملة فقد كان صادق اللهجة، ذا فراسة إيحائية، وحكمة لقمانية، مجداً في الطاعات، مثابراً على أنواع العبادات، مع عفة وزهد وورع وتقوى وطهارة.

ثامناً: وظائفه:

كان ابن عابدين يؤذن في جامع التعديل على ظهر القنوات، ويصلي فيه إماماً حسبةً لوجه الله، هذه وظيفته الدينية التي كان يقوم بها بحكم جواره للمسجد.

وأما وظيفته الاجتماعية التي كان يقوم بها بحكم درجته العلمية، فهي أمانة الفتوى لبلاد الشام، فلقد كان المفتي حسين المرادي، وكان عنده أربعة أمناء للفتوى، أحدهم ابن عابدين.

قال عنه أبو الخير عابدين: «وهو المرجع للفتوى التي هي من أعظم البلوى، وعلى الخصوص في ذاك الزمن الذي كان مرجع الأحكام فيه إليه من سائر البلاد من كل حاضر وباد».

تاسعاً: مؤلفاته:

ترك ابن عابدين ثروة علمية هائلة، ظهرت في مؤلفاته العديدة التي جاوزت الخمسين ما بين كتب ورسائل وفتاوى، أذكر أبرزها:

- حاشية رد المحتار على الدر المختار.
- حاشية منحة الخالق على البحر الرائق.
- حاشية على شرح الملتقى.
- حاشية على النهر الفائق.
- حاشية رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار.
- العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية.
- نظم الكنز.
- رسائل ابن عابدين: فيها عدد كبير من الرسائل والأبحاث الفقهية.
- حاشية على شرح التقرير والتحبير لابن أمير الحاج.
- حاشية نسمات الأسحار على شرح إفاضة الأنوار للحصكفي.
- عقود اللآلي في الأسانيد العوالي.
- شرح الكافي في العروض والقوافي.
- رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه.
- تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه.
- العلم الظاهر في نفع النسب الطاهر.
- الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة.
- الدرر المضيئة في شرح نظم الأبحر الشعرية.

ـ حاشية على شرح نبذة الإعراب، سماها: «فتح رب الأرباب على لب الألباب شرح نبذة الإعراب».

عاشراً: وفاته:

في الحادي والعشرين من ربيع الثاني عام ١٢٥٢هـ، الموافق ١٨٣٦م توفي ابن عابدين.

وصلي عليه في جامع سنان باشا في محلة باب الجابية بدمشق.

وكانت له جنازة حافلة ما عهد نظيرها، وبكى الناس عموماً نساءً ورجالاً كباراً وصغاراً.

فكانت حياته قريباً من أربع وخمسين سنةً، ودفن في القبر الذي أوصى أن يدفن فيه بمقبرة دمشق في باب الصغير في التربة الفوقانية.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة[١].

---

(١) للتوسع في ذلك: يراجع كتاب «ابن عابدين وأثره في الفقه الإسلامي» للشيخ الدكتور عبد اللطيف الفرفور الدمشقي، فقد أجاد وأبدع في ترجمته.

دراسة عن الكتاب

هذه الرسالة الخامسة عشر من الجزء الثاني من المجموع المطبوع، وهي رسالة دسمة مطولة من رسائل الردود، تعقبها ابن عابدين لشيخه الشيخ خالد النقشبندي المرشد الأكبر للطريقة النقشبندية في زمنه في بلاد الشام، الذي ألف الرسالة ذباً عنه.

أما الرسالة، فقد ألفها ابن عابدين للدفاع عن شيخه أولاً، ثم عن التصوف عموماً وعن الطريقة النقشبندية خصوصاً.

وذلك بناء على طلب مفتي دمشق في زمنه السيد حسين المرادي لما سئل من جهة السلطنة عن شأن الشيخ خالد النقشبندي المشار إليه، هل هو ساحر زنديق كما ألف فيه بعض المعاصرين له رسالةً وروجها حوله؟ أم هو ولي صادق؟

وعرض الأمر على ابن عابدين، فذهب إليه، واكتشف حاله، ولما علم صدقه وولايته ألف هذه الرسالة المطولة راداً على الرسالة التي باء بوزرها ذلك الضال المنحرف من فقهاء عصره في نسبة الشيخ خالد إلى السحر والشعوذة والزندقة!

وقد اشتملت رسالة ابن عابدين على ثلاثة أمور:

أ ـ الرد على من ألف الرسالة في تكذيب الشيخ خالد، وتفنيد ذلك القول ودحضه، ولا سيما في تكذيبه لصاحب الرسالة الذي استشهد بكلام مزور نقله على لسان الشيخ إسماعيل بن أحمد الزلزولي، واستعان على ذلك بكلام بعض من طرده الشيخ خالد، فكشف ابن عابدين بطلان ذلك بكتاب خطي من الشيخ إسماعيل الزلزولي ينافي ذلك الافتراء ويدحضه، أثبت ابن عابدين صورته في الرسالة.

ب ـ ذكر نبذة عن الفرق بين حال الساحر والمشعوذ، وبين حال الولي الصادق، وعلامة كل منهما، وفكرة عامة عن حكم الساحر والسحر والشعوذة في الفقه الحنفي بخاصة، والفقه الإسلامي بعامة.

ج ـ لمحة عن حياة الشيخ خالد وترجمة موجزة له مأخوذة من كتابين للسادة النقشبندية من تلاميذ الشيخ خالد وخلفائه:

الأول: هو الحديقة الندية للشيخ محمد بن سليمان البغدادي.

والثاني: أصفى الموارد في ترجمة حضرة سيدنا خالد.

وختم الرسالة بذكر مجيء الشيخ خالد إلى الشام، ثم وفاته بالطاعون سنة ١٢٤٢هـ.

وقد عقد هذه الرسالة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة:

أما المقدمة: فقد جعلها لذكر سبب التأليف، ونص كلام صاحب الرسالة

المتجنية على الشيخ خالد، ونص كلام الشيخ الزلزولي الذي تبرأ مما نسبه إليه صاحب الرسالة الأولى وبعض نقول أخرى.

وأما الفصل الأول: فهو بيان حقيقة الكرامة.

والفصل الثاني: في بيان حقيقة الجن، والفرق بينهم وبين الشياطين، وجواز رؤيتهم والاجتماع بهم.

والفصل الثالث: في بيان السحر وأقسامه وأحكامه.

والفصل الرابع: في بيان دعوى علم الغيب.

وتتبع ذلك **خاتمة** مشتملة على نقل نبذة يسيرة عن بعض العلماء من معاصري الشيخ خالد الذين شهدوا له بالعلم والولاية.

إثبات نسبة الكتاب إلى مؤلفه

أطبقت كتب التراجم على إدراج اسم الكتاب في عداد مؤلفات ابن عابدين، ومما يدل على ذلك:

١ ـ ذكره ابن عابدين في «حاشيته» الشهيرة ٣/ ٢٧.

٢ ـ نص عليه كل من ترجم لابن عابدين، منهم:

أ ـ ابنه علاء الدين ابن عابدين في «التكملة».

ب ـ أبو الخير عابدين في آخر الثبت «ص٢٣٣».

ج ـ مردم بك في «أعيان القرن الثالث عشر» ص٣٨.

د ـ كحالة في «معجم المؤلفين» ٩/ ٧٧.

هـ ـ «إيضاح المكنون» ٢/ ٢٢.

و ـ «هدية العارفين» ٢/ ٣٦٧.

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

اعتمدتُ بفضل الله وتوفيقه على نسختين:

الأولى:

مخطوطة من المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم (٣٤٤٧)، كتب على غلافها: «سل الحسام الهندي لنصرة الشيخ خالد النقشبندي»، تقع في ٢٨ ورقة، في كل ورقة ٢٥ سطراً، وقد كتبت بخط واحد جيد من أولها إلى آخرها، وقد غاب عنها التشكيل إلا ما ندر، وقد اعتمدتها أماً.

الثانية:

مطبوعة ضمن مجموع رسائل ابن عابدين، طبع على ذمة محمد هاشم الكتبي في دار سعادت بإستانبول، وذلك عام ١٣٢٥، كتب على غلافها: «سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي خاتمة المحققين، رئيس العلماء المدققين، السيد الشريف المرحوم السيد محمد أمين عابدين، نفعنا الله به، آمين»، ثم كتبت قصيدة في رثاء الشيخ خالد من نظم الملا داود البغدادي»، غير مضبوطة، وفيها بعض علامات الترقيم ولا سيما الأقواس، وختمت بتشطير لقصيدة ابن عابدين في رثاء شيخه خالد من تشطير الملا داود البغدادي أيضاً، وإليها أشير بقولي: «وفي المطبوعة كذا».

بيان منهج التحقيق

١ ـ نسختُ النص بكامله من النسخة الأم.

٢ ـ قمتُ بمقابلته على النسخة المطبوعة، مع ذكر الفروق المختلفة فيما بين النسختين.

٣ ـ حرصتُ على تشكيل ما يحتاج إليه ذلك دون مبالغة أو إكثار، مع المحافظة على علامات الترقيم كاملةً.

٤ ـ علقتُ على ما يحتاج إليه النص، إما إيضاحاً لفكرة، أو نقلاً لعبارة أخرى تؤكد المعنى.

٥ ـ وضعت بين معقوفتين [...] زيادات النسخة المطبوعة، والعناوين؛ لاستقامة تقسيم الكتاب.

٦ ـ التخريج الكامل للآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

٧ ـ نسبة الأقوال إلى أصحابها، مع توثيق نقول العلماء الذي نقل عنهم المؤلف من كتبهم.

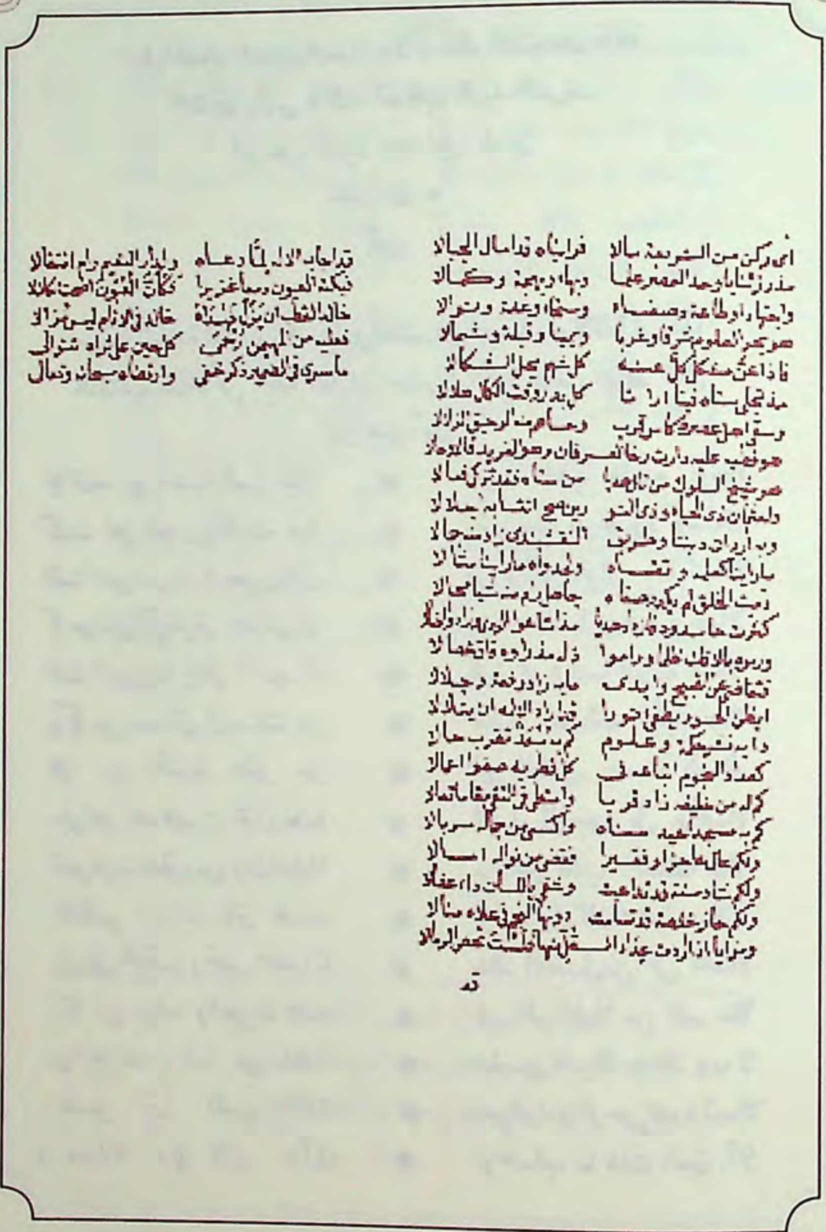
٨ ـ ترجمت للأعلام الواردة في الرسالة بما لا يتجاوز الثلاثة أسطر.

صُوَرُ ٱلنُّسَخِ ٱلمُعْتَمَدَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرع لنا خير شريعة وأعلاها، وأطرد دعائم الضلال
وقواها، وأقام سوق عزائمها، وأرخص سوق فسوق من بارزها، وكف
أيدي المتمردين، والجاحدين الحاسدين ببراهين أضاء سناها، وطهرها
من دنس الزور والبهتان والافترى والعدوان، وحمى حماها، وأظهرها
إلى العيان كالشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، وحتم على كل نفس
باقتفاء آثارها، والعمل بمقتضاها، فألهمها فجورها وتقواها، قد
أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها، والصلاة والسلام على خير
داع إلى التوحيد، وأشرف قائم بإرشاد عبيده حتى بلغوا من المتعة
أقصاها، وأوذي فصبره وابتلي فشكره فحاز عزاً وجاهاً، وعلى آله وصحبه
الذين حازوا بنصرته أعلى المقامات وأسناها، صلاة دائمة لا تنفد ولا
تحد ولا تتناهى، ما جرت سفينة الانتصار لأهل الأسرار في بحار
الأفكار، وبحر الآثار والأخبار، وكان بسم الله مجريها ومرساها.
أما بعد فيقول أفقر العباد إلى عفو مولاه يوم التناد محمد أمين
الشهير بابن عابدين: لما تعاند الزمان وتناكره وتقاعد عن الصلاح
وتقاعس، ولم يشتغل غالب أهله بما يحاسب نفسه ويما ينفعه عند قول
شمسه، وحاول في رمسه، بل صار يطيل لسانه على شرف أهل جنسه
بمجرد وهمه وحدسه، أو بمحض الزور والبهتان لداء الحسد والطغيان،
وغفل عن كون ذلك سبباً للدمار وخراب، ومحو الأعمار، وإعفاء
الآثار، فألف بعضهم رسالة وروجها في سوق الجهالة بين أهل
البطالة، حيث حكم فيها بالزندقة والضلالة على الإمام الشهير والعارف
الكبير، الذي ورث عن العوارف والمعارف كل طريف وتالد، ولم
ينكر فضله إلا الجاحد المعاند والمكابر والحاسد، وهو الإمام الأوحد
والعلم المفرد الهمام الماجد حضرة سيدي الشيخ خالد، الذي بذل

الورقة الأولى من نسخة المكتبة الظاهرية



الورقة الأخيرة من نسخة المكتبة الظاهرية

سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي خاتمة
المحققين رئيس العلماء المدققين السيد الشريف
المرحوم السيد محمد امين عابدين
نفعنا الله به
آمين

مرثية العلامة الملا داود البغدادي النقشبندي لسيدنا ومولانا مؤلف هذا
الكتاب مكافاة عن شيخه العارف حضرت الشيخ خالد رحم الله تعالى
ارواحهم آمين

ايا اماما في حلبة العلم جالا	●	اورث القلب فقده اوجالا
كنت بحر العلوم تقذف درا	●	ظما بعده الوجود وسالا
انت شمس غربت في مغرب الار	●	ض ولكن انوار ها تتلالا
كم حواش لكم تفوق حواشي ال	●	غيد حسنا ورقة وجمالا
انت ابرزتها وكان ضمير ال	●	كون يخفي لها فعزت منالا
وكم من رسائل ارسلت من	●	فكرك الصائب المجيد نوالا
ان رد المختار مختار در	●	اجر العقل حسنة فتعالى
جواهر فتاظهرت نثرا ونظما	●	فهل الوجود بل وتعالى
قد وشيت الطروس وشيا جليلا	●	من سجايا قطب الممالك حالا
بالنظم ابدشه فاق عقده	●	لؤلئيا بل كان سحرا حلالا
في رثى شيخنا وشمس ضحانا	●	خالد الفضل من سمى افضالا
انا من ولده واجزيك عنه	●	در نظم اغلا من الدر مالا
وسيجزيك ربنا من عطاه	●	ماسير ضيك عاجلا وما لا
فسقى قبرك المنير امثل	●	من غوادي الرحمى بجود انهمالا
وصلاة على النبي وآل	●	وصحاب ما شات العين آلا

الورقة الأولى من النسخة المطبوعة

ولكم رتبة ترقى اليها ﴿ دونها النجم فى علاء منالا
ومزايا اذا اردت عداد ال ﴾ عشرا عجزت فى الوجود الرجالا
وكراماته اذا شئت احصا ال ﴿ قل منهم افلت تحصى الرمالا ﴾
﴿ قد اجاب الاله دعاه ﴾ فلقا مليبا اعجالا
واشتهى ان يفوز بالقرب منه ﴿ ولدار النعيم رام انتقالا
﴿ فبكته العيون دمعا غزيرا ﴾ فاسالت مثل العيون انهمالا
فقدته وكان عين ضياهم ﴿ فكأن العيون اخمدت ثكالا ﴾
﴿ خالد القطب ان يزل فهداه ﴾ مستقيم وثابت لم يزالا
فهو باق بالله بعد فناء ﴿ خالد فى الانام ليس مزالا ﴾
﴿ فعليه من المهيمن رحمى ﴾ كلما هبت الرياح شمالا
وغيوث الرضوان بالفضل تهمى ﴿ كل حين على ثراه نوالا ﴾
﴿ ما جرى فى الضمير ذكر خفى ﴾ فاستفاد الوجود منه ونالا
اوبدى ورد عامل بصلاة ﴿ وارتضاه سبحانه وتعالى ﴾

الفوائد العجيبة فى اعراب الكلمات الغريبة
للمرحوم الشريف السيد محمد عابدين
تعمده الله برحمته واسكنه فسيح
جنته

الورقة الأخيرة من النسخة المطبوعة

مرثية الملا داود النقشبندي

لمولانا خالد النقشبندي

مرثيَّةُ العلَّامة الملا داود البغدادي النقشبندي لسيدنا ومولانا مؤلِّف هذا الكتاب مكافأةً عن شيخه العارف حضرة الشيخ خالد، رحم الله تعالى أرواحهم آمين:

أَيَا إِمَاماً فِي حَلْبَةِ العِلْمِ جَالَا ... أَوْرَثَ القَلْبَ فَقْدُهُ أَوْجَالَا

كُنْتَ بَحْرَ العُلُومِ تَقْذِفُ دُرّاً ... فَطَمَا بَعْدَهُ الوُجُودُ وَسَالَا

أَنْتَ شَمْسٌ غَرَبَتْ فِي مَغْرِبِ الأَرْ ... ضِ وَلَكِنَّ أَنْوَارَهَا تَتَلَالَا

كَمْ حَوَاشٍ لَكُمْ تَفُوقُ حَوَاشِيَ الـ ... غِيدِ حُسْناً وَرِقَّةً وَجَمَالَا

أَنْتَ أَبْرَزْتَهَا وَكَانَ ضَمِيرُ الـ ... كَوْنِ يَخْفَى لَهَا فَعَزَّتْ مَنَالَا

وَكَمْ مِنْ رَسَائِلٍ أُرْسِلَتْ مِنْ ... فِكْرِكَ الصَّائِبِ المَجِيدِ تَوَالَا

إِنَّ رَدَّ المُخْتَارِ مُخْتَارُ دُرٍّ ... أَبْهَرَ العَقْلَ حُسْنُهُ فَتَعَالَى

جَوَاهِرُ قَدْ أُظْهِرَتْ نَثْراً وَنَظْماً ... فَتَحَلَّى الوُجُودُ بَلْ وَتَحَافَا

قَدْ وَشَيْتَ الطُّرُوسَ وَشْياً جَلِيلاً ... مِنْ سَجَايَا قُطْبِ المَمَالِكِ حَالَا

بِالنَّظْمِ أَبْدَيْتَهُ فَاقَ عِقْدُهُ ... لُؤْلُؤِيّاً، بَلْ كَانَ سِحْراً حَلَالَا

فِي رِثَا شَيْخِنَا وَشَمْسِ ضُحَانَا ... خَالِدِ الفَضْلِ مَنْ سَمَا أَفْضَالَا
أَنَا مِنْ وُلْدِهِ وَأَجْزِيكَ عَنْهُ ... دُرَّ نَظْمٍ أَغْلَى مِنَ الدُّرِّ مَالَا
وَسَيَجْزِيكَ رَبُّنَا مِنْ عَطَاهُ ... مَا سَيُرْضِيكَ عَاجِلاً وَمَآلَا
فَسَقَى قَبْرَكَ المُنِيرَ أَمَلَّتْ ... مِنْ غَوَادِيَ الرُّحْمَى يَجُودُ انْهِمَالَا
وَصَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ وَآلٍ ... وَصِحَابٍ مَا شَاتَ العَيْنَ آلَا

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي شرع لنا خيرَ شريعةٍ وأعلاها، وأطَّدَ[1] دعائمَها لعلمائها وقوَّاها، وأقام سوقَ عزائمها، وأرخَصَ سوقَ فسوق مَنْ باراها، وكفَّ أيدي المتمرِّدين والجاحدين الحاسدين ببراهينَ أضاءَ بنَاها[2]، وطهَّرها من دَنَس الزُّور والبُهْتان والافتراء والعدوان وحمى حماها، وأظهرها إلى العَيَان كالشَّمْس وضحاها، والقمر إذا تلاها، وحتم على كلِّ نفسٍ باقتفاء آثارها والعمل بمقتضاها، ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [سورة الشمس: ٨ ـ ١٠].

والصَّلاةُ والسَّلامُ على خيرِ داعٍ إلى توحيده، وأشرفِ قائمٍ بإرشاد عبيده، حتى بلغ من المشقَّة أقصاها، وأوذي فصَبَر، وابتُلِي فشكر، فحاز[3] عِزّاً وجاها، وعلى آله وأصحابه الذين حازوا بنصرته أعلى المقامات وأسناها، صلاةً دائمةً لا تُعَدُّ ولا تُحَدُّ ولا تتناهى، ما جَرَتْ سفينةُ الانتصارِ لأهل الأسرار، في بحار الأفكار، ولُجَج الآثار والأخبار، وكان باسم الله مجراها ومرساها.

---

(١) في الأصل: (واطرد).

(٢) في المطبوعة: (سناها).

(٣) في المطبوعة: (وحاز).

[سبب تأليف هذه الرِّسالة]

أما بعدُ: فيقول أفقرُ العباد، إلى عفو مولاه يوم التَّناد، محمد أمين الشَّهير بابن عابدين: لَمّا فسد الزَّمانُ وتعاكَس، وتقاعَدَ عن الصَّلاح وتقاعَس، لم يشتغلْ غالبُ أهله بخاصَّة[١] نفسه، وبما ينفعُه عند أُفُول شمسه، وحلوله في رَمْسه، بل صار يُطيلُ لسانَه على أشرف أهل جنسه، بمجرَّد وَهْمه وحَدْسه، أو بمحض الزُّور والبهتان، لداء الحَسَد والطُّغيان، وغَفَلَ عن كون ذلك سبباً للدَّمار، وخرابِ الدِّيار، ومَحْقِ الأعمار، وإعفاء الآثار[٢].

فألَّف بعضُهم رسالةً أراد ترويجَها في سوق الجهالة، بين أهل البطالة، حيث حكم فيها بالزَّندقة والضَّلالة، على الإمام الشَّهير، والعارف الكبير، الذي وَرِثَ من[٣] العوارف والمعارف كلَّ طريفٍ وتالد، ولم يُنْكِرْ فضلَهُ إلا الجاحدُ المعاندُ، والمكابرُ الحاسدُ، وهو الإمامُ الأوحدُ، والعَلَمُ[٤] المفردُ،

---

(١) في الأصل: (بحاجة).

(٢) (هذا وباء عصرنا أيضاً، والناس يطيلون ألسنتهم على أهل الله عزّ وجلّ، فيقعون فى الهلاك على غير شعور؛ لأن الله عزّ وجلّ آذن من يُؤذِى وليَّه بالحرب (البخاري، كتاب الرّقاق، باب التواضع، رقم: ٦١٣٧).
وبعضُهم يغلُون في الاعتقاد بهم، فيقعون في وَرْطةٍ أُخرى، فعلينا أن نجتنب هاتين الخطيئتين، كما أشار إليه مولانا خالد بقوله: «كما يجب التَّحرّز عن إنكار الأولياء، يجب التَّحرّز عن الغُلُوِّ في الاعتقاد بهم، بحيث يُؤدِّي إلى خَلَل في فرض العقيدة، وهذا كثير في المفرِطين في حسن الظّن بالأولياء، والشيطانُ ذُو مكْرٍ ومَكيدةٍ». (بغية الواجد، ص٨٧).

(٣) في الأصل: (عن).

(٤) في المطبوعة: (والعالم).

الهمامُ الماجدُ، حضرةُ سيّدي الشَّيخ خالد، الذي بذل جهدَه في نفع العبيد، وإرشادِهم إلى الدَّأب على كلمة التَّوحيد[١]، حتى غدا قُطْبَ[٢] العارفين في

(١) إن مشايخ الطريقة العليّة أرشدوا الخلق إلى محض التوحيد والإخلاص كما فُهِم من هذه العبارة، لا كما توهَّمه بعض من ينسِب نفسَه إلى السّلف، ويتَّهِم المشايخ ومريديهم بالشرك. ونحن ننظر إلى قول الإمام الربّاني حيث قال: «إن كل ما يفعلُه المحبوب محبوبٌ، وههنا تتيسر حقيقة الإخلاص، ويحصل الخلاص من عبادة الآلهة الباطلة، وتصح كلمة التوحيد في هذا الوقت، وبدونه خَرْط القَتاد». «المكتوبات»، (١/ ٥٠)، وننظر أيضاً إلى شهادة المؤلّف الفقيه المتصوف لهذه الطائفة بالتوحيد.

(٢) وقد أنكر البعض وجود القطب، والأوتاد، والنقباء، والأبدال، ورأوا عدم جواز إطلاق هذه الأسماء على أحد، واستدلّوا لدعواهم بأن هذه الأسماء غيرُ واردةٍ في الرّوايات، وأن هذه التّعبيرات غير منقولةٍ عن رسول الله ﷺ وعن أحد من الصّحابة والتّابعين.
منهم ابن تيمية، حيث ادعى أن الرّوايات التي تتعلّق بهذا المبحث كلُّها باطلةٌ ومكذوبةٌ على رسول الله ﷺ. «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، (ص١٧).
وحقيقة الأمر ليست كذلك، فللمؤلف رسالةٌ مستقلّةٌ في هذا الباب، أورد فيها نقولاتٍ كثيرةً من أدلّة وجود هؤلاء العباد، وأثبت أنّ هذه الأسماء كانت مستعملةً من طرف السلف. انظر (إجابة الغوث ببيان حال النقباء والنجباء والأبدال والأوتاد والغوث) في ضمن «رسائل ابن عابدين»، (٢/ ٢٦٣).
واعترض على هذه الرسالة بعضُ حُدَثاء الأسنان بأن ابن عابدين ليس من أهل الرّواية والحديث، وإنما هو فقيهٌ فقط، والحال أن هذا الاعتراض لا ينفعهم؛ لأن الإمام السيوطي الذي هو معروفٌ بمكانته في علوم الحديث ألّف رسالةً أيضاً في هذه المسألة، وجمَع الرّوايات حول البحث، وقال في بداية هذه الرّسالة: «فقد بلغني عن بعض من لا علم عنده إنكارُ ما اشتهر عن السادة الأولياء من أن منهم أبدالاً ونقباء ونجباء وأوتاداً وأقطاباً، وقد وردت الأحاديث والآثار بإثبات ذلك، فجمعتها في هذا الجزء لتستفاد، ولا يعول على إنكار أهل العناد، وسميته: (الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال)». =

= انظر «الحاوي للفتاوي»، (٢/ ٢٩١).

وقال فِي «النُكَت» أيضاً: «خبر الأبدال صَحِيح فضلاً عمّا دون ذلك، وإن شئتَ قلتَ: متواترٌ، وقد أفردتُه بتأليفٍ استوعبت فِيهِ طرق الأحَادِيث الواردة في ذلك، والحاصل أنّه ورد:

- من حَدِيث عمر رضي الله عنه، أخرجه ابن عساكر من طريقين.
- وعلي، أخرجه أحمد والطبراني والحاكِم وغيرهم من طرق أكثر من عشرة بعضُها على شرط الصّحيح.
- وأنس، وله سِتّ طرقٍ، منها طريق في «معجم الطَّبرانِي الأوسط» حسَّنه الهيثمي فِي «مجمع الزَّوائد».
- وعُبادة بن الصَّامِت، أخرجه أَحْمد بسندٍ صحِيحٍ.
- وابن عبّاس، أخرجه أحمد في «الزّهد» بسندٍ صحيحٍ.
- وابن عمر، وله ثلاث طرق في «المعجم الكبِير» للطَّبراني، و«كرامات الأولياء» للخلّال ولأبي نعيم.
- وابن مسعود، وله طريقان في «المعجم الكبير» و«الحِلْية».
- وعوف بن مالك، أخرجه الطّبرانِيّ بسندٍ حسنٍ.
- ومعاذ بن جبل، أخرجه الديلمي.
- وأبي سعيد الخدريّ، أخرجه البيهقيّ فِي «الشُّعَب».
- وأبي هريرة، وله طريق أخرى غير الّتي أوردها ابْن الجوْزيّ، أخرجها الخلال فِي «كرامات الأولياء».
- وأم سلمة، أخرجه أحمد وأبو داود في «سنَنه» والحاكم والبيهقِي وغيرهم.
- ومن مرسل الحسن، أخرجه ابن أبي الدّنيا في «السّخاء»، والبيهقيّ فِي «الشُّعب».
- ومن مرسل عطاء، أخرجه أبو داود في «مراسيله».
- ومن مرسل بكر بن خنيس، أخرجه ابن أبي الدّنيا فِي «كتاب الأولياء».
- ومن مرسل شهر بن حَوْشَب، أخرجه ابن جرير في «تفسيره».
- وأما الآثار عن الحسن البصريّ وقتادة وخالد بن معدان وأبي الزَّاهِرِيَّة وابن شَوْذَب وعطاء =

سائر الآفاق، وملاذَ المريدين على الإطلاق، واشتهرتْ به الطَّريقةُ النَّقشبنديَّةُ، الواضحةُ الجليَّةُ، في عامَّة البلاد الإسلاميَّة، والممالك المحميَّة، مع ما حاز إلى ذلك من علومٍ باهرةٍ بهيَّة، وتأليفاتٍ شائقةٍ شهيَّة، فلا تبدو نفائسُ لآلئِ التَّحقيق من بحار التَّدقيق إلا بغواص أفكاره، ولا تُجَلَّى عرائسُ جواري التَّرقيق على منصَّات التَّنميق إلا لخُطَّاب أنظاره.

فلذا شاع صيتُه وذاع، وعمَّ النَّواحي والبقاع، وتُلِيَتْ آياتُ فضائله على ألسنة الأصائل والبُكُور، ونُشرِتْ راياتُ فواضله على رماح الظُّهور،

= وغيرهم من التّابِعين فمن بعدهمْ، فكثيرةٌ جداً، ومثل ذلك بالغ حد التّواتر المعنويّ لا محَالة، بحيث يقطع بصحّة وجود الأبدال ضرورَةً» «ذيل القول المسدد»، (ص ٨٤، ٨٥).

ويحتمل أن يعترض هؤلاء على هذا بأنّ الإمام السّيوطيّ متساهلٌ في تصحيح الحديث، لكن هذا لا يُغني من الحق شيئاً؛ لأنّه لم ينفرد بإثبات هذه الرّوايات، بل الإمام السّخاوي حَكَم بثبوتها بعد سرد بعضها قائلاً:

«إلى غير ذلك من الآثار الموقوفة وغيرها، وكذا من المرفوع ممّا أفردته واضحاً بيّناً معَلّلاً في جزءٍ سمّيْته (نظم اللآل في الكلام على الأبدال)». «المقاصد الحسنة»، (١/ ٤٣).

وقال العجلوني تعليقاً على رأي تضعيفِ أحاديث الأبدال: «لكنه يتقوى بتعدد طرقه الكثيرة». «كشف الخفا»، (١/ ٢٥)، والحافظ الصالحي أيضاً ممن قال بوجود هؤلاء العباد فى العالم. «سبل الهدى والرشاد»، (١٠/ ٣٧٠)، وابن حجر الهيتمي أيضاً يقول بوجود الأبدال والأقطاب في «الفتاوى الحديثية»، (ص ٢٣٠)

وبالجملة، هذه الأسماء ليست مخترعةً في الشّرع كما زعم هؤلاء، بل هي أسماءٌ ثَبَتَتْ بروايات قَد قَبِلها أهل هذا الشأن، ولأهل التصوف أسماءٌ وتعبيرات خاصة بهم كما كانت للفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسائر أهل الفنون. إذاً فلا معنى للإصغاء الى دندنة بعض المتمردين.

وظهـر ظهـورَ البـدر التَّـامّ، مُعْتَقَـداً بيـن الخـاصِّ والعـامّ، حتـى[1] بيـن أعيـان الدَّولـة المنصـورة، ذات المحامـد المأثـورة، لا زالـت مؤطَّـدةَ البُنْيـان، عاليـة الشّـان، بيُمْـن خليفتهـا الأعظـم، وخاقانهـا المحمـود المعظَّـم[2]،...............

---

(١) في الأصل: (حين).

(٢) هو السلطان محمود الثاني بن السلطان عبدالحميد الأول، أحد سلاطين الدّولة العثمانيّة، وُلد سنة (١١٩٩هـ ـ ١٧٨٤م)، وتقلد مقاليد الخلافة العثمانيّة وهو في الرابعة والعشرين من عمره، فقلّد «مصطفى البيرقدار» منصب الصدارة العظمى، وطلب منه إصلاح نظام «الإنكشارية»، فاعترضوا عليه، ووقع الخلاف بينهم وبين السّلطان، وأرادوا إعادة الخليفة «مصطفى الرابع» المعزول، لكنّه قتل وهم يحاصرون الصّدر الأعظم في قصره الذي أحرقوه وهو بداخله.

وقد رأى السلطان «محمود» أن نجاح الإصلاح في دولته يجب أن يكون شاملاً لكل النُّظُم العثمانيّة، ومؤثراً في المجتمع، ولا يقتصر على المجال العسكري، ولذا يجب إزالةُ النّظم القديمة، حتى لا تعترض طريق الإصلاح، والتخطيط الدقيق للإصلاح، وإيجاد الضمانات اللّازمة التي تكفل نجاحه قبل القيام به.

وقد نجح السلطان «محمود» في القضاء على فرقة «الإنكشارية»، التي قامت بالتمرد وإثارة الجماهير ضد الإجراءات المتصلة بإصلاح الجيش، وبخاصة فيما يتعلق بارتداء القوات الجديدة للملابس الأوربية، لكن الشعب العثماني وقف ضدهم، في الوقت الذى استعد فيه السلطان «محمود» لمواجهتهم، مما مكنه من القضاء عليهم تماماً، وأنشأ جيشاً قوياً يتولى إمرته قائد عام، كان قوامه (١٢٠٠٠) جندي في العاصمة، وقوات أخرى في الولايات.

وكما ارتبط التعليم لدى «محمد علي» بالجيش، ارتبط بالجيش أيضاً عند «محمود الثاني»، الذى حاول الاقتداء بواليه الناجح، فأرسل البعثات إلى «أوربا» لتلقى العلوم العسكرية خاصةً، وأنشأ المدارس الحديثة، وعنى بتعليم اللّغتين العربية والفرنسية والجغرافيا، والتاريخ والرياضيات والعلوم.

وحاول السّلطان إصلاحَ أَجهِزة الدّولة المركزيّة، فوضع الأوقاف تحت إشرافه، وألغى =

الذي شيَّد دعائمَ الدِّين، وأبادَ جيوشَ الكافرين الجاحدين[(١)]، وحمى ساحةَ الإسلام والمسلمين بماضي عزمه، ونشر ألويةَ الشَّرائع والأحكام بثواقب حزمه، أدام اللهُ تعالى طلعتَه[(٢)] السَّعيدة في أُفُق هذا الزَّمان كوكباً منيراً، وخلَّد ذا الآراء السَّديدة في باهي مملكته عَضُداً ووزيراً، وأبَّد[(٣)] ذوي العقود الرَّشيدة في بروج أوامره ونواهيه نجوماً مُشْرِقة، وأيَّد[(٤)] ذوي القوَّة السَّديدة في مطالع غزواته وجعلهم على أعدائه شُهُباً محرقة؛ حتى تنجليَ غياهِبُ الشِّرك والإلحاد، وتضحكَ بالنَّصر والحُبُور ثغورُ البلاد والعباد، ونفعه والمسلمينَ بإمداد هذا الإمام، والحبر البحر الهُمَام، الذي شَهِدَتْ ببراءة ساحته المحترمة، عما رَمَتْه به الحَسَدَةُ الظَّلَمة، عامَّةُ أهل البلاد [من النَّاس]، ولا سيّما من لهم إلى جنابه قُرْبٌ والتماس، منهم ذو الأيادي البوادي، لدى الحاضر والبادي، التي أروى بنميرها

= «التيمارات»، وضمّها إلى أملاك السّلطان، وأجرى أول إحصاء للأراضي العثمانيّة في العصر الحديث، وأجرى تحسينات على شبكة المواصلات، فأنشأ كثيراً من الطرق الجديدة، وأدخل البرق، وخطوط السكك الحديدية، كما أنشأ جريدةً رسميةً للدولة، توفي سنة ١٢٥٥هـ=١٨٣٩م.

انظر: «الموسوعة الموجزة في التّاريخ الإسلامي» (١٠/ ١٧٠، ١٧١)، و«تاريخ سلاطين بني عثمان» (ص١٢٦)، و«الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث» (ص١٢٧)، و«التُّحفة الحَلِيميّة فى تاريخ الدّولة العليّة» (ص ١٩٦)، و«سلاطين الدّولة العثمانيّة عوامل النُّهُوض وأسباب السّقوط» (ص ٤٠٤).

(١) في المطبوعة: (الجاهدين).

(٢) في الأصل: (طاعته).

(٣) في المطبوعة: (وأيد).

(٤) في المطبوعة: (وعيد).

الصَّادي، في كلِّ محفلٍ ونادي، شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، في دمشق الشَّام، السيّد حسين أفندي المراديّ(١)، دامت فضائلُه غيرَ مصروفةٍ عن ذاته؛ لأنّه منتهى جموعِها، وفواضلُه تنفجرُ منه أنهارُها؛ لأنّه يَنْبُوعها.

فلذا أمر(٢) الفقيرَ بنَسْل نصال(٣) النّضال، من جُعْبَة فرسان المقال، وسلِّ لوامع قواطع الاستدلال، من غِمْد كتائب كتب فحول الرِّجال، وهزِّ رُدَيْنِيّ الردّ، على عواتق الدَّفع والصّدّ، عند النِّزال، في حَوْمة الجدال، لينقشعَ عن عين العيان، غَيْنُ البهتان والضَّلال، ويسلم صحيحُ الأفعال، من هَمْز الضَّعف(٤) والاعتلال، ويرتفع خفضُ المنصوب على التَّمييز للحال، بإبراز ضمائر الصِّفات والأفعال، ويظهرَ خفاءُ المتشابه والإجمال، بتفسير نصِّ المحكم من الأقوال.

فبادرتُ إلى التَّوجُّه والإقبال، على الطَّاعة والامتثال، لأمره(٥) الحَتْم بلا إهمالٍ ولا إمهال، فجمعتُ هذه الأوراق، الحلوة المذاق، لدى أهل الإشراق(٦)، كي يبدوَ نجمُها الخفَّاق، في أكناف أطراف الآفاق، ويسيرَ نَميرُها الدَّفَّاق، بما رقَّ وراق، في حِيَاض رياض الإطلاق، وتَغَنَّى بلابِلُها ذاتُ الأطواق، على غُصُون

---

(١) حسين أفندي بن علي أفندي المراديّ مفتي دمشق الشام، عالمٌ عاملٌ، وإمامٌ فاضلٌ، ولد سنة ١٢٠٠هـ، أخذ عن عمه خليل أفندي والسيد شاكر مقدم سعد، توفي سنة ١٢٦٧هـ، ودفن في سوق ساروجا. «حلية البشر» (ص٥٣٣).

(٢) في المطبوعة: (سأل).

(٣) في المطبوعة: (فصال).

(٤) في الأصل: (الضعيف).

(٥) في المطبوعة: (لسؤاله).

(٦) في المطبوعة: (الأشواق).

الأفكار والأحداق، وتتشنَّف مسامعُ المشتاق، بما عنه نطاقُ البيان ضاق، وتصدُّ أهل الافتراء والاختلاق، عن سوء الأفعال وسيِّئ الأخلاق، ليكونوا من الرِّفاق، أهلِ الصَّفا والوِفَاق، فقلتُ مستعيناً بعون الملك الخلَّاق، في سلوك مَهَامة هذه المشاق، وقمع المعاند والمُشَاقّ، مُسْتَمْنِحاً من فيض الكريم الرَّزَّاق، بسطَ موائد التَّوفيق في هذا المساق، وإصابةَ الصَّواب في اللّحاق والسِّباق، وتوفيرَ الثَّواب في يوم العرض والتَّلاق:

[قول الزاعم المراغم في صدر رسالته]

اعلم ـ وفَّقني اللهُ وإيّاك، وتولَّى هُدَاي وهداك، وحمانا من الوقوع في شَرَك الإشراك، واتِّباع[1] كلِّ كاذب أفَّاك ـ أنّي أريد أن أكشفَ لك الغِطَا، وأنبِّهكَ على بعض ما وقع في تلك الرِّسالة من الخَطَا؛ لئلا تزِلَّ بك الخُطَا، إلى مَهْمَه[2] تضلُّ فيه القَطَا، فنقول:

قال[3] ذلك الزَّاعمُ المُراغِمُ في صدر رسالته، المُنبِئة عن عدم تثبُّته لأمر ديانته: سُئِلتُ عن فلانٍ الثَّابت إقرارُه بتسخير الجنّ، واستعانته بالأرواح الأرضيَّة الخبيثة، ودعواه علمَ بعض الأمور الغيبيَّة عن إخبار الجانِّ له، وأنّه رَبَطَ وقتل كثيراً من العفاريت والجانّ، مع أنّه به يدَّعي الولايةَ والإرشادَ في الطَّريقة العليَّة النَّقشبنديَّة، ويصدِّقُه بعضُ النَّاس، [ويعتقدُ] أنّه على الحقّ، فهل هو وليٌّ ومرشدٌ مصدَّقٌ فيما ادَّعاه كما يزعمُ أم ساحرٌ؟ وما حكمُ قضاء القاضي بهما فيه؟ أفيدوا بالنَّقْل الصَّريح الصَّحيح من الكُتُب المعتبرة، في المذاهب الأربعة المعتمدة.

---

(١) في المطبوعة: (والتباك).

(٢) في المطبوعة: (مهمة).

(٣) في الأصل: (فنقول).

فلما كان السُّؤالُ متعلِّقاً برجلٍ مشخَّصٍ معيَّنٍ مذكورٍ باسمه؛ [اقتضى] التَّوقُّفَ والتَّفحُّصَ عن الأحوال؛ ليتحقَّقَ عندي جميعُ ما في السُّؤال؛ تجنُّباً عن [سوء] الظُّنون واستماع كلِّ ما يُقال، فشهد لديَّ جمٌّ غفيرٌ من الشُّهود العُدُول على تحقيق جميع ما كُتِبَ عليه في السُّؤال، منهم:

ـ الصَّالحُ الجليلُ المسلَّم صلاحيَّتُه عند أهل الحرمين وسائر البلاد الشَّيخُ إسماعيل النقشبنديّ(١).

ـ والشيخ أحمد علي آغا زاده الكرديّ السليمانيّ(٢).

ـ والشيخ محمد الهزامرذي(٣) الكرديّ السُّليمانيُّ.

ـ والشّريف أفندي الدّياربكريّ(٤)، وغيرهم من تلامذته المتقرَّبين إليه، بل من خلفائه الأرشدين بزعمه الباطل بلا إنكار أحدٍ، وقائلين بأنَّ المشهورَ بين الفرقة الخالديَّة الضالَّة المضلَّة: أنَّ هذا الأمرَ ليس مما يُنكرُه(٥) خالدٌ المعهودُ إلى الآن، بل كان يفتخرُ به، ويَعدّه من جملة خوارقه وعلامة ولايته بزعمه الباطل، وذلك مشهورٌ(٦) فيه عند جميع الأكراد، وعامَّة أهل بغداد، فثبت عندي صدقُ ما في السُّؤال

---

(١) السيد إسماعيل البرزنجي الخالدي النقشبنديّ: العالم الفاضلُ، النسيبُ الشريفُ الفقيه العاملُ، كان من خدمة مولانا خالد، يكتب له الكتب لجودة خطه، وكان يسمّيه: أخونا إسماعيل، كان حافظاً للمقامات الحريرية، وله شعر ونثرٌ رائق في العربية والفارسية، توفي سنة ألف ومائتين ونيف وخمسين. «حلية البشر»: ص٣٢٧.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) كذا في الأصل والمطبوعة، ولعل الصواب: (الهزامردي) أو (الهزارمردي).

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) في الأصل: (ينقله).

(٦) في المطبوعة: (مشهود).

ثبوتاً شرعيّاً [مرعيّاً]، فبادَرْتُ إلى الجواب، حذراً عما في «الفتاوى الخيريَّة»[١]:
«وَمَنْ كَتَمَ عِلْماً أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[٢].

إلى أن قال: «فأجبتُ متوكِّلاً على الملك التوَّاب، قائلاً: بأنّه ساحرٌ بالإجماع، أي: باتِّفاق المحقِّقين من علماء المذاهب الأربعة المعتمدة». هذا نصُّ كلامِه.

ثم استدلَّ على مرامه بنقل بعض ما قاله العلماء، من المحدِّثين والفقهاء، في أحكام الزِّنديق والسَّاحر والكاهن والعرَّاف، سالكاً سبيلَ الاعتساف[٣]، متجنِّباً عن طريق[٤] الإنصاف، حيث نزَّل هذه العبارات، على ما افترى على هذا الإمام من المقالات، الذي شهد الوجدانُ والعيانُ، ببراءة ساحته من هذا الزُّور والبُهْتان، فإنَّ الذي شاهدناه من حالته البديعة، الاستقامةُ على نهج الشَّريعة، وإحياءُ بُقَع المساجد والخَلَوَات، بإقامته[٥] الأذكار والأوراد والصَّلوات، ولم نَسْمَعْ[٦] منه ولا من أحدٍ من خلفائه ومريديه، شيئاً مما يَشِينه في دينه ويُرْدِيه، وهذا ما شهد به جماهيرُ العباد، في عامَّة البلاد.

---

(١) «الفتاوى الخيرية» (٢/ ١٠).

(٢) يشير به إلى الحديث الذي رواه الحاكم في «المُستَدْرك، كتاب العلم»، (رقم: ٣٤٦) بلفظ: «مَنْ كَتَمَ عِلْماً أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» ورواه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (١٦/ ٢٦٤)، (رقم: ١٠٤٢٠) بلفظ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»، والترمذي «كتاب العلم»، باب كتمان العلم، (رقم: ٢٦٤٩) بلفظ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» وحسَّنه. وغيرُهم بألفاظ متقاربة.

(٣) في الأصل: (الاعتكاف).

(٤) في المطبوعة: (طرق).

(٥) في المطبوعة: (بإقامة).

(٦) في المطبوعة: (تسمع).

وإنّما كان له بعضُ مريدين، رآهم من العُتَاة المتمرِّدين، فطردهم عن أبوابه، فتكلَّموا في جنابه، وانحازوا إلى بعض الحاسدين، ولفَّقوا معهم ما أَلْقَتْه إليهم الشَّياطين، وتزيَّوا بزِيِّ الصَّالحين، [ونقلوا كلامَ العلماء بصورة النَّاصحين]، والله أعلم بالجَلِيَّات والخفيَّات، و«**إنّما الأعمالُ بالنيَّات**»[١]. (شعر):

إِلَــى دَيَّــانِ يَــوْمِ الحَشْــرِ نَمْضِــي وَعِنْــدَ اللهِ تَجْتَمِــعُ الخُصُــومُ

[تكذيب الشيخ إسماعيل هذا الزاعم المراغم]

على أنّا اجتمعنا بهذا الشَّخص المُسَمّى بالشيخ إسماعيل، الذي زعم هذا الزَّاعمُ[٢] أنّه شَهِدَ عنده، وسمّاه «الصَّالحَ الجليل»، فسألناه عما نسبه إليه صاحبُ تلك الرِّسالة، فأنكر جميعَ هذه المقالة، وقال: إنَّ هذا الإمامَ شيخي وسيّدي، وساعدي وعَضُدي، طالما عَكَفْتُ في أعتابه، ولم أَرَ ما يُدَنِّسُ ساحةَ جَنَابه، فعلمنا أنَّ ما ذُكِرَ كذبٌ وافترا، بلا بَيْنٍ ولا مِرَا، وكيف يُتصوَّرُ ممن هو من أعظم علماء الدِّين، ورئيس المحقِّقين والمدقِّقين، وقد بذل جهدَه في نشر رايات الشَّريعة، وتشييد منازلها الرَّفيعة، وإرشاد السَّالكين، إلى طُرُق[٣] المقرَّبين، أن يدَّعيَ لنفسه [ما لا يُتصوَّرُ من أجهل الجاهلين، وطُغاة المتمرِّدين، الذين خلعوا من أعناقهم] رِبْقَةَ الدِّين، فإنّه لو لم يكن يخشَ الله تعالى من ذلك، وحاشاه من سلوك هذه المسالك؛ لخَشِيَ أن ينحطَّ

---

(١) رواه البخاري (باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، رقم: ١)، ومسلم (كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنيّة» رقم: ١٩٠٧) بلفظ (بالنية)، وأبو داوود (كتاب الطلاق، باب فيما عني به الطلاق والنيات، رقم: ٢٢٠١)، والنسائي، بلفظ (بالنيّة) (كتاب الطهارة، باب النية في الوضوء، رقم: ٧٥) كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: (الزعم).

(٣) في المطبوعة: (طريق).

قدرُهُ عند الأنام، لعلمه أنَّ هذا الكلامَ، لا يقبله هوامُّ العوامّ، فإنّه مما تأنفه الأسماعُ، وتمجُّهُ الطِّباع، فعُلِم أنَّ هذا اختلاقٌ واختراعٌ، تَنْفِرُ منه القلوبُ وترتاع.

نعم، أخبرني الشيخُ إسماعيل المذكور: أنّه وقع له في دار الأستاذ في بعض مجالسه الذِّكريَّة، عند اجتماع القلوب على الذِّكر الخفيّ والتوجُّه بالكليَّة: أنّهم [كانوا] يسمعون أصواتاً خفيَّة، ولا يرون أشخاصاً جليَّة، وأنَّ هؤلاء من مؤمني الجنّ ذوي النُّفوس المطمئنَّة، جاؤوا يرتعون حول رياض الذِّكر التي هي رياضُ الجَنَّة، وأنّه سمع مع رفيقٍ له أصواتاً من داخل مكانٍ مغلق، فلم يَرَ فيه أحداً، فثبت ذلك عنده وتحقَّق، وأنّه إنّما أخبر ذلك الحاسد، بما رآه من هذه المشاهد، وأنّه اجتمع به بعضُ من طرده الأستاذ، وجاء به إلى ذلك الحاسد واستعان به ولاذ، قال: إنَّ هذا الرَّجلَ شَهِدَ بما أقول، فبَنَوا تلك الفصولَ(١)، على مجرَّد هذا المقول.

[تبرُّؤ الشّيخ إسماعيل مما نسبوه اليه]

ثم إنَّ الشيخَ إسماعيل المذكورَ كتب بخطِّه إليهم كتاباً، تبرَّأ فيه مما نسبوه إليه وشافهني فيه خِطَاباً، وصورةُ ما كتبه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

أما بعدُ: فيقول المفتقرُ إلى ربه الغنيّ، إسماعيلُ بن أحمد النقشبنديُّ الخالديُّ الزّلزلويّ عُفِي عنه، المجاور بالمدينة المنوّرة على ساكنها أفضل التَّحيَّة:

---

(١) في المطبوعة: (الفضول).

أُشْهِدُ اللهَ تعالى على ما في قلبي وخطِّي ولساني ـ وكفى بالله شهيداً ـ بأنّي معتقدٌ في شيخي ومرشدي حضرة مولانا ضياء الدِّين الشَّيخ خالد النقشبنديّ ـ أدام الله ظلَّ فيوضاته وإحسانه على رؤوس الطَّالبين إلى يوم القيامة، آمين ـ بأنّه أعلمُ مَنْ رأيتُه، وأتقى وأَوْرَعُ وأكرمُ وأزهدُ مَنْ في الأرض في هذا العصر، وأقومُهم على الشَّريعة الغرَّا، والسُّنَّة النَّبويَّة الزَّهرا، والأخلاق الكريمة المحمديَّة العُلْيا، وناهِجٌ مناهجَ جادَّة الطَّريقة العليَّة النقشبنديَّة، كثَّر اللهُ تعالى أهاليها، وقدَّس أسرارَ مَواليها، وممهِّدٌ مسلَكَ السَّلفِ الصَّالحين من العلماء والأولياء والأتقيا، وكذا أتباعُه على هَدْيه وسيرته الشَّريفة الطَّاهرة الأسنى.

وكذلك أُشْهِدُ الله تعالى وأُشهدكم بأنّي متبرِّئٌ ممن توهَّمَ السِّحرَ أو الكفرَ أو الفسقَ أو البدعةَ ـ فضلاً عن الاعتقاد ـ في حقِّه أو حقِّ أتباعه الأمجاد، والعياذُ بالله تعالى من كلِّ ذلك، ومتبرِّئٌ ممن يعتقدُ فيه هذا الاعتقاد، في الدُّنيا والآخرة ويوم يقوم الأشهاد، لا سيّما من المُنْكِرِ المطرود الذي اسمه عبدُ الوهّاب، نسأل اللهَ تعالى أن يتوب عليه ويهديه إلى الصّواب. انتهى المقصودُ منه.

[أجوبةٌ أظلمُ من الليل الحالك]

فانظر بعد هذا بعين الإنصاف، إلى ما ادَّعاه ذلك الزَّاعمُ من الأوصاف، التي تلقَّفَها من سفيف ذي الرأي السَّفْساف، المشهور بالعداوة والإرجاف، وقد استشعر بأنّه سيُعترَضُ[1] عليه في ذلك، فأجاب عنه بما هو أظلمُ من اللَّيل الحالك، حيث قال ـ وعن الحقّ مال ـ:

فإن قيل: إنَّ بعضَ الشُّهود أعرضَ عن خالدٍ المذكور، وتبرَّأ منه،

(١) في الأصل: (سيعثر).

وحصلت العداوةُ بينهما، فكيف تُقبلُ شهادتُه على ساحريَّته وكافريَّته؟

قلنا: الذي تحقَّقَ - بل ثبت - عند المسلمين، الصُّلَحاء المنصفين المتشرِّعين، بل عند الفقهاء العلماء المحقِّقين العاملين: أنَّ العداوةَ الثَّابتةَ بينهما ليست إلا كونَ خالد جِنيّاً وكاهناً وساحراً وكافراً، ومن المعلوم القطعيِّ عند أهل الحقِّ: أنَّ هذه العداوةَ ليست إلا دينيَّةً، فتُقبلُ من عدوٍّ بسبب الدِّين؛ لأنَّها من التَّديُّن. كذا في «الدّر المختار» وغيره[1].

فإن قيل: إنَّ الشَّهادةَ لا تُقبلُ بدون تقدُّم الدَّعوى؟

قلنا: تقدُّمُ الدَّعوى في حقوق العباد شرطُ قبولها؛ [لتوقُّفها] على مطالبتهم، بخلاف حقوق الله تعالى؛ لوجوب إقامتها على كلِّ أحدٍ، فكلُّ أحدٍ خصمٌ، فكأنَّ الدَّعوى موجودةٌ. كذا في «الدر المختار» وغيره[2].

فالحاصلُ: إنَّ البيِّنَةَ العادلةَ حجَّةٌ شرعيَّةٌ قطعيَّةٌ [بلا] خلافِ أحدٍ من أهل المذاهب الأربعة، وإنَّ الفتوى على أنّه إذا أُخِذَ السَّاحرُ والزِّنديقُ المعروفُ الدَّاعي قَبْل توبته، ثم تاب؛ لم تُقبلْ توبتُه، ويُقتلُ. كذا في «الدرّ» وغيره[3]. انتهى ما قاله في رسالته، المنبّهة على تهوُّره وجهالته.

---

(١) انظر: «الدر المختار» (٤٨٧)، «الاختيار» (٢/ ١٤٨)، و«تبيين الحقائق» (٤/ ٢٢١)، و«مجمع الأنهر» (٢/ ٢٠١)، قال الزيلعي: «فتدل على قوة دينه وعدالته؛ وهذا لأن المعاداة قد تكون واجبةً».

(٢) انظر: «الدر المختار» (٤٩٣)، و«بدائع الصنائع» (٦/ ٢٧٧)، و«البناية» (٩/ ١٦٧).

(٣) انظر: «الدر المختار» (٣٤٧)، و«مجمع الأنهر» (١/ ٦٧١)، و«النهر الفائق» (٣/ ٢٥٤)، وجعله فيها روايتين نقلاً عن «الدراية»، ثم قال: «وينبغي أن يكون هذا التفصيل محمل الروايتين».

[تهور الزاعم المراغم وجهالته في الفتوى]

حيث زعم أنَّ هذه العداوةَ بينهما؛ لكون المشهود عليه جِنّياً وكاهناً وساحراً وكافراً، وأنَّ هذا أمرٌ تحقَّقَ وثبت عند المسلمين الصُّلحاء، والعلماء الفقهاء، فانظر إلى هذا الكذب الصُّراح[1] والاجتراء، والبهتان والافتراء، ولو كان [له] أدنى إلمامٍ وإذعانٍ، لَمَا ادَّعى ما يُكَذِّبُه فيه المشاهدةُ والعيان، ولكن مَنْ كان قصدُه إلباسَ الحقِّ بالباطل والصدَّ عن سبيل الله؛ لا يَشْعُرُ بما تكلَّمَ به أو فاه، فإنَّ هذا الدَّاءَ قد حمل المشركين والكفّارَ، على إنكار معجزات الأنبياء الأخيار، حتى نسبوهم إلى السِّحر والجنون، وأنَّهم على الله يفترون.

وليت شعري، إن كان صادقاً فيما ادَّعى [من] أنَّ هذا أمرٌ محقَّقٌ ثابتٌ عند المسلمين الصُّلحاء، بل عند العلماء الفقهاء؛ لِمَ توقَّفَ أوَّلاً عن التَّفحُّص من الشُّهود، وزكَّى نفسه بالتَّجنُّب عن سوء الظُّنون ليسود، وليصدِّقَ فيما يأتي به من الافتراء المردود؟!

وأيضاً كيف قَبِلَ[2] شهادةَ العدوّ المطرود، الذي طردُه بين عامَّة النَّاس غيرُ مجحود، وهلّا[3] نسبه إلى التُّهمة؟ حيث لم يشهد بذلك إلا بعد طَرْدِ أستاذه له عن أبوابه، وحرصه بعد ذلك على العود إلى خدمة جنابه، واعتقاده فيه مدَّة سنين، بأنّه[4] إمامُ العارفين، ومن [خُلَّص الموحِّدين]، وقد كان بين يديه على أبلغ ما يكون من

---

(١) في المطبوعة: (الصريح).

(٢) في الأصل: (شهد).

(٣) في الأصل: (وهذا).

(٤) في الأصل: (واعتقاد فيه مدة سنين، فإنه).

الخضوع، ولم يظهر منه هذا الطَّعنُ إلا بعد يأسه من الرُّجوع، فكيف تكون شهادتُه مقبولةً، وهي بالزُّور والافتراء مشمولةٌ؟!

وقد قال العلّامةُ ابنُ حجر(١) في «فتاويه الحديثيّة»: وكثيرٌ من النُّفوس التي يُرادُ بها عدمُ التَّوفيق إذا رأتْ من أستاذٍ شدَّةً في التَّربية تَنْفِرُ عنه، وترميه بالقبائح والنَّقائص مما هو عنه بريءٌ، ولْيَحْذَرِ الموفَّقُ من ذلك، فإنَّ النَّفْسَ لا تريدُ إلا هلاكَ صاحبها، فلا يُطِعْها في الاعتراض على شيخه وإن رآه على أدنى حالٍ، حيث أمكنه أن يُخْرِجَ أفعاله على تأويلٍ صحيحٍ، ومقصدٍ مقبولٍ شرعاً.

ومَنْ فَتَحَ بابَ التَّأويل للمشايخ، وأغضَّ من أحوالهم، ووَكَلَ أمرَهم إلى الله تعالى، واعتنى بحال نفسه، وجاهَدَها بحسب طاقته؛ فإنّه يُرجى له الوصولُ إلى مقاصده، والظَّفرُ بمراده في السِّرّ والعلانية في أسرع زمنٍ.

ومَنْ فتح بابَ الاعتراض على المشايخ، والنَّظر في أفعالهم، والبحث عنها؛ فإنَّ ذلك علامةُ حرمانه(٢) ....

---

(١) ابن حجر: شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد ابن حجر الهيتميُّ السعديُّ الأنصاريُّ، خاتمةُ المفتين، ولد سنة ٩٠٩هـ، أخذ عن الشيخ زكريا الأنصاري وعبد الحق السنباطي والطبلاوي، وأخذ عنه شيخ بن عبد الله العيدروس وأبو السعادات الفاكهي وجمال الدين الأشخر، من كتبه: «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» و«الإعلام بقواطع الإسلام»، توفي سنة ٩٧٤هـ. «النور السافر» (٢٥٨ ـ ٢٦٣)، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٥٤١ ـ ٥٤٣).

(٢) لأن هذا ينشأ من سوء الظن المتمكن في قلب المريد، وذا يَقطع الاسْتِفادة من المرشد. وقبل كل شيء ينبغي للمريد أن ينظر إلى أحوال مرشده بعين الرضا؛ كي لا يرى ناقصةً فيه، كما قال الشاعر: =

وسوء عاقبته[١]، [وأنّه] لا يُفلحُ[٢]. انتهى.

وتسميتُه هذه الشَّهادة عادلةً، من جملة دعاويه الباطلة، ودعواه أنَّ الشَّهادةَ العادلةَ قطعيَّةٌ بلا خلافٍ بين أهل المذاهب، من الجهل المركَّب الذي هو من أعظم المصائب؛ إذ لا شكَّ أنَّ الشهادةَ خبرٌ، والخبرُ الصَّادقُ إنّما يفيد الظنَّ دون القطع عند عامة العقلاء، إلا الخبرَ المتواترَ وخبرَ المؤيَّد بالمعجزة من الأنبياء، كما بُيِّن في أول «العقائد النسفية»[٣]، وغيرها من الكتب الكلاميَّة والأصوليَّة.

وإذا كانت هذه الشَّهادةُ على الطَّرد والإبعاد مبنيَّة، فكيف تكون عادلةً فضلاً عن كونها قطعيَّة؟ وأيضاً كيف تكون دينيَّة، حتى تُقبل بلا تقدُّم دعوى شرعيَّة؟ فإنَّ المرشدَ لا يطردُ من المريدين، إلا مَنْ هو من إخوان الشياطين.

= وَعَيْـنُ الرِّضَـا عَـنْ كُلِّ عَيْـبٍ كَلِيلَةٌ ... لَكِـنَّ عَيْـنَ السُّـخْطِ تُبْـدِي المَسَـاوِيا

(الثعالبي، الجواهر الحسان، ٥/ ٣٢٩) يقول الإمام الربّاني قدس سره: «ولا يَتْرُكْ في نفسه مجالاً للاعتراض على حركاتِه وسكناتِه أصلاً، وان كان الاعتراض مقدارَ حَبّة خردلة، فإنه لا نتيجة للاعتراض غير الحرمان، وأشقى جميعِ الخلائق وأبعدُهم عن السعادة الذين يرون عيوب هذه الطائفة، نجانا الله سبحانه من هذا البلاء العظيم» (المكتوبات ١/ ٣٤٧).

ويقول مولانا خالد قدس سره: «وأما الأدب بحسب الباطن، فهو أن لا يحضره وقلبه غافل، أو فيه خطرة، أو اعتراض، أو امتحان، أو كره؛ لأن كل ذلك يوجب نفرة قلب المرشد عن المريد، فربما يسقط عن نظر المرشد ويخرجه عن قلبه؛ لأن لكل مريد محلاً فى قلب المرشد، وقد قيل: «السقوط من السماء [السابعة] على الأرض السافلة خيرٌ من الوقوع من قلب أرباب الباطن». «الرّسالة الخالدية» (٤٧).

(١) وكذلك إطالةُ اللسان عليهم، كما قال الأكابر: «من وقع في أولياء الله تعالى، ابتلاه الله تعالى بانعقاد لسانه عن النطق بالشهادتين عند الموت». «لواقح الأنوار»، (١/ ١٣٠)

(٢) انظر: «الفتاوى الحديثية» (ص٥٦)، قال: «ومن ثَمَّ قالوا: من قال لشيخه: لِمَ؟ لم يفلح أبداً».

(٣) انظر: «شرح العقائد النسفية» (٧ ـ ٨٩) ط مكتبة المدينة كراتشي.

وما زعَمَه من قبول هذه الشَّهادة بلا تقدُّم الدَّعوى؛ لكونها ليست من حقوق العباد، ناشئٌ عن الجهل المركَّب أيضاً، أو عن الافتراء في الأحكام الشَّرعيَّة والعناد، فإنَّ تكفيرَ شخصٍ معيَّنٍ من أعظم حقوق العباد، التي لا بُدَّ لها من[1] حكمٍ شرعيٍّ لدى حاكمٍ موفَّقٍ ذي رأيٍ وسَدَاد. وليت شعري، كيف يدَّعي ثبوتَ ما ذكر عنده ثبوتاً شرعيّاً، ويجعله أمراً قطعيّاً، وحُكْماً مَرْعياً، مع أنَّه غيرُ مأذونٍ من قِبَل الإمام، أو أحدِ نُوَّابه بسماع الأحكام؟ ولم يَرْضَ لنفسه ادِّعاءَ منصب الإفتاء، حتى غصب منصبَ القضاء.

وكيف وَسِعَه الإقدامُ على الجزم بكفر مَنْ هو من أجلِّ الموحِّدين، بمجرَّد إخبار بعض الفَسَقة المتمرِّدين، أو بمجرَّد داء الحسد الذي يُضني الجسد بل يُفسِدُ الدين، ألم يسمعْ قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [سورة النساء: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٨]، وما أخرجه ابن ماجه[2]: «**الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ**»[3]،..........................

---

(١) في الأصل: (فان).

(٢) ابن ماجه: أبو عبد الله، محمد بن يزيد بن ماجه القزوينيّ الحافظُ، ولد سنة ٢٠٩هـ، أخذ عن الزعفراني والربيع بن سليمان والزبير بن بكار، وأخذ عنه أحمد بن روح وجعفر بن إدريس ومحمد بن عيسى الصفار، توفي سنة ٢٧٣هـ. انظر: «تهذيب الكمال» (٢٧/ ٤٠ ـ ٤٢)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦).

(٣) رواه ابن ماجه (كتاب الزهد، باب الحسد، رقم: ٤٢١٠) من حديث أنس رضي الله عنه، قال البوصيري: «هذا إسناد فيه عيسى بن أبي عيسى، وهو ضعيف». «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢٣٨).
وأبو داود (كتاب الأدب، باب في الحسد، رقم: ٤٩٠٣) بلفظ «إِيَّاكُمْ وَالحَسَدَ فَإِنَّ =

والدَّيلميّ(١): «الحَسَدُ يُفسِدُ الإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبِرُ العَسَلَ»(٢)؟

ألم يسمع ما أخرجه البخاريّ عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما أنّه ﷺ قال عن الله تبارك وتعالى: «مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً؛ فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ»(٣)، وما قاله بعضُ الأئمَّة:(٤) اعلم يا أخي ـ وفَّقك الله وإيانا، وهداك سبيل الخير وهدانا ـ أنَّ لحومَ العلماء مسمومةٌ، وعادةَ الله في هَتْك منتقِصهم(٥) معلومةٌ(٦)، [ومَنْ أطلق] لسانَه في

= الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال الحافظ العراقي: «قال البخاري: لا يصح، وهو في «تاريخ بغداد» [٢/ ٢٢٤] بإسناد حسن». «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (١/ ٤٥).

(١) الديلمي: شيرويه بن شهردار الهمذاني الديلميّ الحافظُ، أخذ عن المستملي وابن فنجويه وابن منده، أخذ عنه ابنه شهردار وأبو العلاء العطار والمديني. توفي سنة ٥٠٩هـ. «تذكرة الحفاظ» (٤/ ٣٨ـ٣٩).

(٢) كذا في «المقاصد الحسنة»، (ص٣٠٥)، (رقم: ٤٠٧)، و«جامع الأحاديث» (١٢/ ١٩٣)، (رقم: ١١٧٣٩)، و«كنز العمال» (٣/ ٤٦١)، (رقم: ٧٤٤٠) وغيرها، والذي وجدته في «الفردوس»، (رقم: ٤٣١٥): «الغضب» بدل «الحسد»، رواه من حديث معاوية بن جندة ـ أو حيدة ـ رضي الله عنه. قال المناوي: «وهو (أي الحسد) من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع من الغضب» «التيسير»، (١/ ٥٠٦)

(٣) الذي في البخاري (كتاب الرّقاق، باب التواضع، رقم: ٦١٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب».
أما لفظُ «الكتاب»؛ فرواه الطبراني في «المعجم الأوسط»، (رقم: ٦٠٩)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) ومنهم الحافظ ابن عساكر.

(٥) في الأصل: (منتصفهم).

(٦) انظر: «تبيين كذب المفتري»، للحافظ ابن عساكر (ص٢٩).

العلماء بالثَّلْب، بلاه[1] الله قبل موته بموت القلب[2]؟ ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣].

ألم تسمع قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [سورة الحج: ٣٠ ـ ٣١]، وما أخرجه الشَّيخان عن أبي بَكْرة[3] رضي الله تعالى عنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، فقال: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثلاثاً، «الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ»، وكان متكِئاً، فجلس فقال: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»، فما زال يكرِّرها حتى قلنا: ليته سكت[4].

ألم يسمعْ قولَه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما أخرجه مسلم: «إِذَا أَكْفَرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ؛ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»[5]، وفي روايةٍ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: كَافِرٌ؛ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا؛ رَجَعَتْ[6] ....

---

(١) في الأصل: (بالثابت بلاه)، وفي المطبوعة: (بالثابت بلاء)، والتصحيح من (تبيين كذب المفتري).

(٢) المرجع السابق: ص٤٢٥.

(٣) في الأصل: (بكر).

(٤) رواه البخاري (كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، رقم: ٢٥١١)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم: ٨٧).

(٥) رواه مسلم (كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، رقم: ٦٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: «كفّر»، وقد عزاه إليه بهذا اللفظ المزي في «تحفة الأشراف» (٦/ ١٦٦).

(٦) اختُلِف في تأويل هذا الرجوع، قال الشيخ شَبِّير أحمد العثماني بعد سرد الأقوال حول هذه المسألة:

«وأرجح من الجميع أن من قال ذلك لمن يعرف منه الإسلام، ولم يقم له شبهةٌ في =

عَلَيْهِ»[١].

قـال العلامـةُ المحقِّـقُ ابـنُ حجـرٍ الهَيْتَمِـيُّ[٢] فـي كتابـه «الإعلام بقواطـع الإسلام»[٣]:

«عن «الروضة»[٤]: قال المتولِّي[٥]: ولو قال لمسلمٍ: يا كافرُ بلا تأويلٍ كَفَرَ؛ لأنّه سمى الإسلامَ كفراً. ثم قال: واعتمد ذلك المتأخِّرون كابن الرِّفعة[٦] ....

= زعمـه أنـه كافـر؛ فإنه يكفـر بذلـك، كما سـيأتي تقريـره، فمعنى الحديـث: فقد رجـع عليه تكفيـره، فالراجـع التكفيـر لا الكفـر، فكأنـه كفّـر نفسَـه لكونـه كفّـر مَنْ هـو مثلـه، ومَنْ لا يكفّـره إلا كافـر يعتقـد بـطلان ديـن الإسلام، ويؤيـده أن فـي بعـض طرقـه: «وجـب الكفر علـى أحدهما». «فتـح الملهـم»، (٢/ ١٨)

(١) رواه مسلم (كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، رقم: ٦٠)، وابن حِبّان في (الصحيح) (كتاب الإيمان، ذِكْر وصفِ قوله ﷺ فقد باءَ به أحدُهما، رقم: ٢٥٠) كاملاً، وأحمد في «المسند» (٨/ ٣١٤)، (رقم: ٤٦٨٧)، والبخاري (كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، رقم: ٥٧٥٣) الشطرَ الأول منه.

(٢) في الأصل والمطبوعة: (الهيثمي) بالثاء.

(٣) «الإعلام بقواطع الإسلام» (ص٤٦ ـ ٥١).

(٤) «روضة الطالبين وعمدة المفتين» (١٠/ ٦٥).

(٥) المتولي: أبو سعد، عبد الرحمن بن مأمون المتولّي، أحد أئمة الشافعية، ولد سنة ٤٢٦هـ أو ٤٢٧هـ، أخذ عن القاضي حسين والقشيري والفوراني، من كتبه: (التتمة) و(مختصر في الفرائض)، توفي سنة ٤٧٨هـ. «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ١٠٦ ـ ١٠٨).

(٦) ابن الرفعة: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد ابن الرفعة، شافعيّ زمانه، أخذ عن محيي الدين الدميري، وأخذ عنه تقي الدين السبكي، من كتبه: «المطلب في شرح الوسيط»، و«الكفاية في شرح التنبيه»، توفي سنة ٧١٠هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٩/ ٢٦ ـ ٢٨)، =

والقَمُوليّ[١] والنشائيّ[٢] والإسنويّ[٣] والأذرعيّ[٤] وأبي زُرْعَةَ[٥] ....

= و«شذرات الذهب» (٨/ ٤١ ـ ٤٣).

(١) القمولي: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد، من الفقهاء الصالحين، من كتبه: «البحر المحيط في شرح الوسيط»، و«جواهر البحر»، توفي سنة ٧٢٩هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٩/ ٣٠ ـ ٣١).

(٢) كذا في النسخ، وفي (الإعلام): (التتائي)، وهو وهم.

والنشائيّ: عز الدين، عمر بن أحمد المدلجي، أخذ عن شرف الدين الدمياطي، وأخذ عنه مجد الدين الزنكلوني، من كتبه: «إشكالات الوسيط»، توفي سنة ٧١٦هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ٣٧١ ـ ٣٧٢).

ويحتمل أن يكون المقصود ابنه: كمال الدين أحمد بن عمر النشائي، أخذ عن شرف الدين الدمياطي، من كتبه:

«جامع المختصرات»، و«مختصر الجوامع»، توفي سنة ٧٥٨هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٩/ ١٩).

(٣) الإسنوي: جمال الدين، أبو محمد، عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي الأموي المصري، الإمام العالِم، ولد سنة ٧٠٤هـ، أخذ عن السنباطي والسبكي وأبي حيان، من كتبه: «المهمات»، و«نهاية السول في شرح منهاج الوصول»، توفي سنة ٧٧٢هـ. «طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة» (٣/ ٩٨ ـ ١٠١).

(٤) في الأصل: (والأوزري)، وفي المطبوعة: (والأزرعي).

والأذرعي: شهاب الدين، أبو العبّاس، أحمد بن حمدان الأذرعيّ صاحب التصانيف المشهورة، ولد سنة ٧٠٨هـ أو ٧٠٧هـ، أخذ عن المزي والذهبي وابن النقيب، من كتبه: «قوت المحتاج»، و«الفتح بين الروضة والشرح»، توفي سنة ٧٨٣هـ. «طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة» (٣/ ١٤١ ـ ١٤٣).

(٥) أبو زرعة: ولي الدين، أبو زرعة، أحمد بن الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ولد سنة ٧٦٢هـ، أخذ عن أبيه والقلانسي وابن البخاري، من كتبه: «تحرير الفتاوى»، و«شرح جمع الجوامع»، توفي سنة ٨٢٦هـ. «طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة» (٤/ ٨١ ـ ٨٢).

وصاحبِ «الأنوار»(١)، بل كثيرٌ منهم جزموا به من غير عَزْوٍ، ولم ينفرد المتولّي بذلك، بل سبقه إلى ذلك ووافقه عليه جمعٌ من أكابر الأصحاب، منهم الأستاذُ أبو إسحاق الإسفرائينيّ،(٢) والحَلِيميُّ،(٣) والشيخ نَصْر(٤) المقدسيُّ(٥)، وكذا الغَزَّاليُّ(٦) وابنُ دقيق العيد(٧)، بل قضيَّةُ كلام هؤلاء: أنّه لا فَرْقَ بين أن يؤوَّل أو لا». انتهى.

---

(١) انظر: «الأنوار» (٣/ ٢٧٤) يقصد به كتاب «الأنوار لأعمال الأبرار في الفقه الشافعي» للإمام الفقيه يوسف بن إبراهيم الأردبيلي الشافعي المتوفى عام ٧٩٩هـ. «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣/ ١٣٨).

(٢) أبو إسحاق الإسفراييني: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، أحد الأئمة أصولاً وفروعاً، أخذ عن أبي بكر الإسماعيلي وأبي بكر الشافعي ودعلج، وروى عنه البيهقي والقشيري والقاضي أبو الطيب، من كتبه: «الجامع في أصول الدين»، و«تعليقة في أصول الفقه»، توفي سنة ٤١٨هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٤/ ٢٥٦ ـ ٢٦٢).

(٣) الحليمي: أبو عبد الله، الحسين بن الحسن بن محمد الحليمي، شيخ الشافعية، ولد سنة ٣٣٨هـ، أخذ عن أبي بكر القفال وأبي بكر الأودني، روى عنه الحاكم والكنجروذي، من كتبه: «المنهاج في شعب الإيمان»، توفي سنة ٤٠٣هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٤/ ٣٣٣ ـ ٣٤٣).

(٤) في المطبوعة: (مصر).

(٥) نصر المقدسي: أبو الفتح، نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي، فقيهٌ زاهدٌ، من كتبه: «الحجة على تارك المحجة»، و«التهذيب»، أخذ عن سليم الرازي والكازروني وابن سلوان، روى عنه الخطيب والمصيصي وأبو الحسن السلمي، توفي سنة ٤٩٠هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ٣٥١ ـ ٣٥٣).

(٦) الغزالي: أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام، ولد سنة ٤٥٠هـ، أخذ عن إمام الحرمين وأبي نصر الإسماعيلي والراذكاني، من تلاميذه ابن العربي، من كتبه: «إحياء علوم الدين»، و«خلاصة المختصر»، توفي سنة ٥٠٥هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٦/ ١٩١ ـ ٣٨٩).

(٧) ابن دقيق العيد: تقي الدين، أبو الفتح، محمد بن علي بن وهب القشيري، شيخ الإسلام =

وقال العلامةُ ابن الشِّحنة[1] في شرحه على «الوهبانيّة»[2]:

«والمختارُ للفتوى في جنس هذه المسائل: أنَّ القائلَ لمثل هذه المقالات: إن أراد الشَّتمَ لا يعتقده كفراً لا يكفرُ، وإن كان يعتقدُه كفراً، فخاطَبَه بهذا [بناءً] على اعتقاده أنّه كافرٌ؛ يكفرُ؛ لأنّه لَمَّا[3] اعتقد المسلمَ كافراً؛ فقد اعتقد دينَ الإسلام كُفْراً، ومن اعتقد دينَ الإسلام كفراً؛ كَفَرَ، والله تعالى أعلم».

وفي «البحر الرائق»: [ويكفر] بقوله لمسلمٍ: «يا كافر» عند البعض، والمختارُ للفتوى: أنّه يكفر إن [اعتقده كافراً، لا إن أراد شَتْمَه[4]. انتهى.

فهذه الآياتُ والأخبار]، فيها للمتَّقي اعتبارٌ، وما أقبحَ مَنْ آثَرَ عليها التُّرَّهات، والتَّزويرات المفتريات، ومَنْ أراد إطفاءَ نورٍ أبى الله إلا أن يُتِمَّه؛ فقد أعمى اللهُ بصيرتَه وأصَمَّه.

ولم يزل هذا الإمامُ مبتلىً بعداوة الحُسَّاد، على عادة السَّادة الأمجاد، فيُشِيعون عنه الزُّورَ من الكلام، ويَسْعَون به إلى الأمراء والحُكَّام، فيتضاءلون عند الأنام حقارة، ويزدادُ كوكبُه إضاءةً وإنارة.

= المجتهد، ولد سنة ٦٢٥هـ، أخذ عن والده وابن الجميزي والمنذري، روى عنه الذهبي وابن نباتة المحدث، من كتبه: «الإلمام»، و«إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام»، توفي سنة ٧٠٢هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٩/ ٢٠٧ ـ ٢٤٩).

(١) ابن الشحنة: سري الدين، أبو البركات، عبد البر بن محمد ابن الشحنة، ولد سنة ٨٥١هـ، أخذ عن والده وجده، من كتبه: «شرح منظومة ابن وهبان»، و«الذخائر الأشرفية في ألغاز الحنفية»، توفي سنة ٩٢١هـ. «الكواكب السائرة» (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٢).

(٢) انظر: «شرح الوهبانية» (ق٦٢/ آ).

(٣) في المطبوعة: (لم).

(٤) «البحر الرائق» (٥/ ١٣٣).

حَسَدُوا الفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالكُلُّ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ
كَضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا حَسَداً وَبُغْضاً: إِنَّهُ لَدَمِيمُ(١)

وما أجدره أن يُنْشِد بلسان قاله، مُخْبِراً عن حقيقة حاله:

سَبَقْتُ العَالَمِينَ إِلَى المَعَالِي بِصَائِبِ فِكْرَةٍ وَعُلُوِّ هِمَّهْ
وَلَاحَ بِحِكْمَتِي نُورُ الهُدَى فِي لَيَالِي بِالضَّلَالَةِ مُدْلَهِمَّهْ
يُرِيدُ الجَاهِلُونَ لِيُطْفِؤُوهُ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّهْ(٢)

ولا شكَّ [أنّه لا يُحسَدُ] إلا أهلُ الفضائل، ولا يسلمُ إلا ذو الرَّذائل، ولذا قال القائل:

لَا مَاتَ حُسَّادُكَ(٣)، بَلْ خُلِّدُوا حَتَّى يَرَوْا مِنْكَ الَّذِي يُكْمِدُ
وَلَا خَلَاكَ الدَّهْرُ مِنْ حَاسِدٍ فَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَنْ يُحْسَدُ(٤)

فإن قلتَ: قد عرفنا مزيدَ فضل هذا الإمام، وكثرةَ الثَّناء عليه من عامَّة الأنام، وأنَّ مَنْ تكلَّم فيه بالنِّسبة إليهم أقلُّ القليل، ولكنَّ القاعدةَ التي عليها التَّعويل، بين أهلي التَّفريع والتَّأصيل: أنَّ الجرحَ مقدَّمٌ على التَّعديل.

قلتُ: هذا في غير مَنِ اشتُهِرَتْ عدالتُه، وظهرتْ ديانتُه، وفي غير مَنْ عُلِمَ

---

(١) ينسب إلى أبي الأسود الدؤلي. «خزانة الأدب» (٨/ ٥٦٨).

(٢) ينسب إلى عمر الخيام، وتذكره كتب البلاغة في بحث الاقتباس. «بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح» (٤/ ١١٨).

(٣) في المطبوعة: (خصادك).

(٤) ذكره محمد بن آيدمر المستعصمي وغيره دون نسبة إلى أحد. «الدر الفريد وبيت القصيد» (١١/ ٢٢٢).

أنَّ التَكلُّمَ فيه ناشئٌ عن عداوةٍ، أو جهالةٍ وغباوةٍ، فقد قال الحافظُ الباجيُّ[١]:

«الصَّوابُ عندنا: أنَّ [مَنْ] ثبتت إمامتُه وعدالتُه، وكَثُرَ مادحوه ومُزكُّوه، ونَدُرَ جارحوه، وكانت هناك قرينةٌ دالَّةٌ على سبب جرحه، من تعصُّبٍ مذهبيٍّ أو غيره؛ فإنّا لا نلتفتُ إلى الجرح فيه، ونعمل فيه بالعدالة، وإلا فلو فتحنا هذا البابَ، وأخذنا تقديمَ الجرح على إطلاقه؛ لَمَا [سَلِمَ] لنا أحدٌ من الأئمَّة؛ إذ ما من إمامٍ إلا وقد طعن فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون»[٢].

وقد عقد الحافظُ أبو عمر ابنُ عبد البرّ[٣] في كتاب «العلم»[٤] باباً في حكم قول العلماء بعضهم في بعضٍ، بدأ فيه بحديث الزُّبير رضي الله عنه: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ**» الحديث[٥]، وروى بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى

---

(١) الباجي: أبو الوليد، سليمان بن خلف التميمي، الفقيه الحافظ، ولد سنة ٤٠٣هـ أخذ عن الأصبغ وأبي ذر وابن مغيث، وروى عنه الخطيب وابن عبد البر والحميدي، من كتبه: «إحكام الفصول في أحكام الأصول»، و«التعديل والتجريح لما خرج عنه البخاري في الصحيح»، توفي سنة ٤٧٤هـ. «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨)، و«شجرة النور الزكية» (١/ ١٧٨).

(٢) لم أجد هذا القول منسوباً إلى الحافظ الباجي فيما راجعته من كتبه وسائر الكتب بل الذي وجدته منسوب إلى العلامة التاج السبكي. راجع «قاعدة في الجرح والتعديل» (ص ٢٠) و«طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٩)

(٣) ابن عبد البر: أبو عمر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، حافظُ المغرب، ولد سنة ٣٦٨هـ، أخذ عن الحافظ عبد الغني وخلف بن القاسم وأبي القاسم السقطي، من كتبه: «الاستذكار»، و«جامع بيان العلم وفضله»، توفي سنة ٤٦٣هـ. «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٢١٧ ـ ٢١٩)، و«شجرة النور الزكية» (١/ ١٧٦ ـ ١٧٧).

(٤) انظر: «جامع بيان العلم وفضله» (١٠٨٧ ـ ١١١٩).

(٥) رواه أحمد في «المسند»، (٣/ ٢٩)، (رقم: ١٤١٢)، و«الترمذي» (صفة القيامة، رقم: ٢٥١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣٢)، (رقم: ٢١٥٩٦).

عنهما قال: «اسمعوا علمَ العلماء، ولا تُصَدِّقوا بعضهم على بعضٍ، فوالذي نفسي بيده، لهم أَشَدُّ تغايراً من التُّيوس في زُروبها!»، وعن مالك بن دينار[١]: يُؤخذُ بقول العلماء والقُرّاء في كلّ شيءٍ إلا قولَ بعضهم في بعضٍ.

وقال الإمامُ المحقِّقُ الشيخُ تاجُ الدين السُّبكيُّ[٢] في «طبقاته الكبرى»[٣] بعد نقله لكثيرٍ من كلام الإمام ابن عبد البرّ محرِّراً لهذه المسألة:

«إنَّ الجارحَ لا يُقبلُ منه الجرحُ ـ وإن فسَّره ـ في حقّ مَن غلبتْ طاعاتُه[٤] على معاصيه، ومادحوه على ذامِّيه، ومزكُّوه على جارحيه، إذا كانت هناك قرينةٌ يشهدُ العقلُ بأنَّ مثلَها حاملٌ على الوقيعة في الذي جرحه من تعصُّبٍ مذهبيٍّ، أو منافسةٍ دنيويَّةٍ كما يكون بين النُّظَراء، أو غير ذلك.

فنقول مثلاً: لا يُلتفتُ إلى كلام [ابن] أبي ذِئْبٍ[٥] في مالك،...............

---

(١) مالك بن دينار: أبو يحيى البصري الناجيُّ الزاهد، روى عن أنس بن مالك والحسن البصري وعكرمة، وروى عنه أبو الربيع السمان وأبان بن يزيد وبسطام بن مسلم، توفي سنة ١٢٣هـ، وقيل: ١٢٧هـ، وقيل: ١٣٠هـ. «تهذيب الكمال» (٢٧/ ١٣٥ ـ ١٣٨).

(٢) تاج الدين السبكي: أبو نصر، عبد الوهاب بن علي السبكي، ولد سنة ٧٢٧هـ، أخذ عن المزي والذهبي وابن الشحنة، أخذ عنه ناصر الدين الخطيب وأبو موسى المقدسي وابن أبي الرضي الحموي، من كتبه: «طبقات الشافعية الكبرى»، و«معيد النعم ومبيد النقم»، توفي سنة ٧٧١هـ. «الدرر الكامنة» (٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٦).

(٣) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ١٢ ـ ٢٢).

(٤) في الأصل: (طاعته).

(٥) ابن أبي ذئب: أبو الحارث، محمد بن عبد الرحمن القرشي العامري، الإمام الثبتُ الفقيه، روى عن عكرمة والزهري ونافع، وروى عنه ابن المبارك والقطان والقعنبي، توفي سنة ١٥٩هـ. =

وابن مَعينٍ[(١)] في الشَّافعيّ، والنَّسائيِّ في أحمد بن صالح[(٢)]؛ لأنَّ هؤلاء أئمَّةٌ مشهورون، صار الجارحُ منهم كالآتي بخبرٍ غريبٍ، لو صحَّ؛ لتوفَّرت الدَّواعي على نقله، وكان القاطعُ قائماً على كذبه فيما قاله.

ومما ينبغي أن يُتفقَّدَ عند الجرح: حالُ العقائد، واختلافُها بالنِّسبة إلى الجارح والمجروح، فربَّما خالف الجارحُ المجروحَ في العقيدة، فجرحه لذلك، وإليه أشار الرَّافعيُّ[(٣)] بقوله: وينبغي أن يكون المزكّون بُرَآءُ من الشَّحناء والعصبيَّة في المذهب؛ خوفاً من أن يحملهم ذلك على جرحِ عدلٍ أو تزكيةِ فاسقٍ[(٤)]، وقد وقع هذا لكثيرٍ من الأئمَّة، جَرَحوا بناءً على معتقدهم، وهم المخطؤون، والمجروحُ مصيبٌ». وأطال الكلامَ في هذا المقام.

فإن قلت: إنَّ ما تقدم من تسليم حضور الجانّ في بعض مجالس هذا الأستاذ

= «سير أعلام النبلاء» (٢٥/ ٦٣٠ ـ ٦٤٤)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

(١) يحيى بن معين: أبو زكريا البغداديُّ الحافظ، إمام المحدثين، ولد سنة ١٥٨هـ، روى عن سفيان بن عيينة وابن المبارك وعبد الرزاق، وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود، توفي سنة ٢٣٣هـ. «تهذيب الكمال» (٣١/ ٥٤٣ ـ ٥٦٥)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ١٤ ـ ١٥).

(٢) أحمد بن صالح: أبو جعفر المصري الحافظ المعروف بابن الطبري، إمامٌ حافظ، ولد سنة ١٧٠هـ، روى عن ابن عيينة وعبد الرزاق وأبي نعيم، وروى عنه البخاري وأبو داود وأبو زرعة الرازي، توفي سنة ٢٤٨هـ. «تهذيب الكمال» (١/ ٣٤٠ ـ ٣٥٤)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٢).

(٣) الرّافعي: أبو القاسم، عبد الكريم بن محمد القزوينيّ الرافعيُّ، أخذ عن أبيه وأبي العلاء العطار وابن حسنويه، وأخذ عنه المنذري، من كتبه: «المحرر» في الفقه الشافعي، و«الأمالي الشارحة على مفردات الفاتحة»، توفي سنة ٦٢٣هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ٢٨١ ـ ٢٩٣).

(٤) انظر: «العزيز شرح الوجيز» (١٢/ ٥٠٥).

يقوِّي ما نسبه إليه أعداؤه من تسخير بعض الأرواح الأرضيَّة له المعدود من السِّحر، والموصل إلى دعوى علم الغيب؟

قلت: هذا مما لا يتوهَّمه عاقلٌ، فضلاً عن فاضل، بل ذلك كرامةٌ عظيمةٌ، ومِنْحةٌ جسيمةٌ، أكرمه الله تعالى ومنحه بها؛ ليَدُلَّ على حسن عقيدته، واستقامة طريقته، فإنَّ حضورَ الجنّ - بل الاجتماعَ بهم - أمرٌ جائز، والجنُّ غيرُ الشَّياطين التي يدَّعي السَّحرةُ تسخيرَها لهم، وحضورُ الجنِّ والاجتماعُ بهم ليس من هذا القبيل المسمّى سِحْراً، وليس ذلك من دعوى علم الغيب في شيءٍ.

ولنشرح لك هذا المقامَ، تتميماً للمرام، في أربعةِ فصولٍ:

الفصلُ الأوَّلُ: في بيان حقيقة الكرامة.

الثَّاني: في بيان حقيقة الجنِّ، والفرق بينهم وبين الشَّياطين، وجواز رؤيتهم والاجتماع بهم.

الثَّالثُ: في بيان السِّحر، وأقسامه، وأحكامه.

الرَّابعُ: في بيان دعوى علم الغيب.

ونُتْبع[1] ذلك بخاتمةٍ مشتملةٍ على نقل نبذةٍ يسيرةٍ عن بعض العلماء الأعلام، من معاصري هذا الإمام، الذين شهدوا له بالفضل التامِّ، وبأنّه من العلماء العاملين والأولياء الكرام.

---

(١) في المطبوعة: (وتتبع) بالتاء.

[الفصلُ الأوَّلُ:
في تعريف الوليّ وكرامة الأولياء]

قال المحقِّقُ التَّفتازانيُّ[1] في «شرح المقاصد»: الوليُّ: هو العارفُ بالله تعالى وصفاته، المواظِبُ على الطَّاعات، المجتنبُ عن المعاصي، المُعْرِضُ عن الانهماك في اللَّذَّات والشَّهوات، وكرامتُه: ظهورُ أمرٍ خارقٍ [للعادة] من قِبَله غيرِ مقرونٍ بدعوى النُّبوَّة، وبهذا يمتاز عن المعجزة، وبمقارنة الاعتقاد والعمل الصَّالح والتزام متابعة النبيِّ ﷺ عن «الاستدراج»، وعن مؤكِّدات تكذيب الكذَّابين، كما روي أنَّ مُسَيْلِمةَ دعا لأعورَ أن تصير عينُه العوراءُ صحيحةً، فصارت عينُه الصَّحيحةُ عوراءَ، ويسمّى هذا: «إهانةً»، وقد تظهر الخوارقُ من قِبَل عوامّ المسلمين؛ تخلُّصاً لهم من المِحَن والمكاره، وتسمّى: «معونةً»، فلذا قالوا: إنَّ الخوارقَ أنواعٌ أربعةٌ: معجزةٌ، وكرامةٌ، ومعونةٌ، وإهانةٌ[2].

وذهب جمهورُ المتكلِّمين[3] إلى جواز كرامة الأولياء، ومنعه أكثرُ المعتزلة،

---

(١) التفتازاني: سعد الدين، مسعود أو محمود بن عمر التفتازاني، إمام في المعقولات، ولد سنة ٧١٢هـ، من كتبه: «شرح العقائد النسفية»، و«شرح المقاصد»، توفي سنة ٧٩٢هـ أو ٧٩١هـ. «الدرر الكامنة» (٦/ ١١٢ ـ ١١٣)، و«شذرات الذهب» (٧/ ٥٤٧ ـ ٥٤٩).

(٢) كذا في «تبصرة الأدلة» (٢/ ١٠٩ ـ ١١٠).

(٣) في «شرح المقاصد»: (المسلمين).

والأستاذُ أبو إسحاق يميلُ إلى قريبٍ من مذاهبهم، كذا قال إمامُ الحرمين[١].

ثم المجوِّزون ذهب بعضهم إلى امتناع كون الكرامة بقصدٍ واختيارٍ من الوليّ، وبعضُهم إلى امتناع كونها على قضيَّة الدَّعوى، حتى لو ادَّعى الوليُّ الولايةَ، واعتضد بخوارق العادات؛ لم يَجُزْ، ولم يَقَعْ، بل ربَّما سقط عن مرتبة الولاية.

وبعضهم إلى امتناع كونها من جنس ما وقع معجزةً لنبيٍّ، كانفلاق البحر، وانقلاب العصى، وإحياء الموتى. قالوا: وبهذه الجهات تمتازُ عن المعجزات.

وقال الإمامُ: هذه الطُّرقُ ليست سديدةً، والمرضيُّ عندنا: تجويزُ جملة خوارق العادات في معرض الكرامات[٢]، وإنّما تمتازُ عن المعجزات بخُلُوِّها عن دعوى النُّبوَّة، حتى لو ادَّعى الوليُّ النبوَّةَ؛ صار عدوّاً لله تعالى، لا يستحقُّ الكرامةَ، بل اللَّعنةَ والإهانةَ[٣].

ثم ساق المحقِّقُ الأدلَّةَ على جواز الكرامة وعلى وقوعها، إلى أن قال:

«وبالجملة فظهورُ كرامات الأولياء يكادُ يلحقُ بظهور معجزة الأنبياء، وإنكارُها ليس بعجبٍ من أهل البِدَع والأهواء؛ إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم قطّ، ولم يسمعوا به من رؤسائهم الذين يزعمون أنّهم على شيءٍ، مع اجتهادهم في أمر العبادات،

---

(١) انظر: (الإرشاد لإمام الحرمين ٢٥٢).

وإمام الحرمين: أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله الجوينيّ النيسابوريُّ، شيخ الإسلام، ولد سنة ٤١٩هـ، أخذ عن أبيه أبي محمد والبيهقي وأبي القاسم الإسكاف، من كتبه: «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد»، و«نهاية المطلب في دراية المذهب»، توفي سنة ٤٧٨هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ١٦٥ ـ ٢٢٢).

(٢) انظر: «الإرشاد» (٢٥٢).

(٣) انظر: «شرح المقاصد» (٢/ ٢٠٣).

واجتناب السَّيِّئات، فوقعوا في أولياء الله تعالى أصحاب الكرامات، يمزِّقُون أديمَهم، ويمضغون لحومَهم، لا يُسَمُّونهم إلا باسم الجهلة المتصوِّفة، ولا يَعُدُّونهم [إلا] في أعداد[١] [آحاد] المبتدعة، ولم يعرفوا أنَّ مبنى هذا الأمر على صفاء العقيدة، ونقاء السَّريرة، واقتفاء الطَّريقة، واصطفاء الحقيقة[٢].

وإنّما العجبُ من بعض فقهاء أهل السُّنَّة، حيث قال ـ فيما روي عن إبراهيم بن أدهم[٣]: أنّهم رأوه بالبصرة يومَ التَّروية، وفي ذلك اليوم بمكَّة ـ: إنَّ مَن اعتقد جوازَ ذلك يكفرُ[٤]. والإنصافُ ما ذكره الإمامُ النَّسَفيُّ[٥] حين سُئل عما يُحكى [أنَّ] الكعبةَ

---

(١) في «شرح المقاصد»: (عِداد).

(٢) لكن هذا لا ينقص شيئاً من قدرهم أصلاً، بل يزيدهم شرفاً وفضلاً، ويُمَثِّل العلامة التفتازاني أحوالَ منتقصيهم بقوله: «قاعدين تحت المَثَل السائر: «أوسعتهم سباً وأودوا بالإبل». «شرح المقاصد» (٢/ ٢٠٤).

وقد بيّن المَيداني حديث هذا المثل بقوله: «وحديثُه أن رَجُلاً من العرب أغيرَ على إبله، فأُخِذت، فلما توارَوا صَعِد أكَمَةً، وجعل يَشتُمهم، فلما رجع إلى قومه سألوه عن ماله، فقال: (أوْسَعْتُهُ سَبّاً وَأَوْدَوْا بِالْإِبِلِ)». «مجمع الأمثال» (٢/ ٣٦٣).

(٣) إبراهيم بن أدهم: أبو إسحاق العجلي البلخيّ، العالم الزاهدُ العابدُ، ولد في حدود المائة، من كلامه: أطبْ مطعمك، ولا حرجَ عليك أن لا تقوم الليلَ ولا تصوم النهارَ، توفي سنة ١٦٢هـ. «حلية الأولياء» (٧/ ٣٦٧ ـ ٨/ ٥٨)، و«الرسالة القشيرية» (١/ ٣٥ ـ ٣٧).

(٤) نقله الخادِمي عن ابن مقاتل ومحمد بن يوسف ومشايخ العراق، وقال صدرُ الإسلام بجوازها في حقّ الولي. انظر: «بريقة محمودية» (٢/ ٦٨).

(٥) النسفي: نجم الدين، أبو حفص، عمر بن محمد النسفي، ولد سنة ٤٦١هـ أو ٤٦٢هـ، أخذ عن عمر العقيلي وأبي محمد التنوخي وأبي اليسر البزدوي، من كتبه: «طلبة الطلبة»، و«القند في علماء سمرقند»، توفي سنة ٥٣٧هـ. «الجواهر المضية» (١/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥)، و«تاج التراجم» (٢١٩ ـ ٢٢٠).

تزورُ واحداً من الأولياء، هل يجوز القولُ به؟ فقال: نقضُ العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائزٌ عند أهل السُّنَّة[(١)]. انتهى.

قال العلامةُ ابن الشِّحنة[(٢)]: «قلت: النَّسَفيُّ هذا هو الإمامُ نجمُ الدين عمر، مفتي الإنس والجنّ، رئيسُ الأولياء في عصره، وقد نقل هذا عنه الإمامُ ابن العلاء[(٣)] في «فتاواه»، ونقل فيها عن القاضي الإمام صدر الإسلام أبي اليسر البَزْدَويِّ[(٤)] في «أصول التوحيد»: «أنَّ المشيَ من بخارى إلى مكَّة في ليلةٍ واحدةٍ من جملة الكرامات»[(٥)].

ثم قال ابنُ الشِّحنة: «وقال [أبو] الأزد هارونُ بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الأخميميُّ المصريُّ[(٦)] في كتابه «المنقذ من الزَّلل» ـ وهو كتابٌ في أصول الدين، أجاد فيه غايةَ الإجادة[(٧)]، وبيَّن مذهبَ أهل الحقِّ أحسنَ إبانةٍ، بعد أنَّ ذكر الخلاف السَّابق ـ:

---

(١) انظر: «شرح المقاصد» (٢/ ٢٠٤).

(٢) انظر: «شرح المنظومة الوهبانية» (ق٦٢/آ).

(٣) ابن العلاء: فريد الدين، عالم بن العلاء الحنفي الأندربتي الدهلوي، أحد أعلام الحنفية، من كتبه: «الفتاوى التاتارخانية»، أو «زاد المسافر في الفروع»، توفي سنة ٦٨٧هـ. «نزهة النواظر» (٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠).

(٤) أبو اليسر البزدوي: محمد بن محمد بن الحسين، أخذ عنه ركن الأئمة وأبو بكر السمرقندي وولده، من كتبه: «المبسوط في الفروع»، توفي سنة ٤٩٣هـ. «الجواهر المضية» (٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، و«تاج التراجم» (٢٧٥).

(٥) انظر: «الفتاوى التاتارخانية» (٧/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧).

(٦) الإخميمي: بهاء الدين، هارون بن عبد الوهاب المراغي، ولد في حدود سبعمائة، أخذ عن تقي الدين السبكي وعلاء الدين القونوي، من كتبه: «المنقذ من الزلل في العلم والعمل»، توفي سنة ٧٦٤هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ١٢٣ ـ ١٢٤).

(٧) في المطبوعة: (الإجارة).

«والحقُّ منعُ ما تحدّى به نبيٌّ، كإحياء الموتى، وسورةٍ من القرآن، وانشقاق القمر، وإلا؛ خرج عن كونه دليلاً وجواز غيره، كإشباع الخلق الكثير من الطَّعام القليل، ولا التباسَ؛ لأنَّ المعجزةَ تظهرُ على أثر دعوى الرِّسالة، والوليُّ لو ادَّعى ذلك؛ يكفر[١] من ساعته، ولم تبقَ كرامةٌ، فكيف تلتبسُ بالمعجزة؟! انتهى[٢].

وأطلق جمعٌ من الشَّافعيَّة الجوازَ، وأنَّ الفارقَ بين المعجزة والكرامة: دعوى النُّبوَّة وعدمُها.

قلت: ويجب استثناءُ السُّورة من القرآن؛ للقطع بعدم وجوده، ويكفر مدَّعيه، وعليه يُحملُ ما نقله ابنُ حجر في «الفتاوى الحديثيَّة» عن إمام الحرمين من جواز استوائهما فيما عدا التَّحدِّي[٣].

ثم ذكر حكاياتٍ عن الأولياء من إحياء الموتى، وكلامهم معهم، وانفلاق البحر، وتسخير الماء، وكلام الجمادات والحيوانات لهم، وطاعة الأشياء لهم حتى الجنّ، وغير ذلك[٤] مما[٥] اشتُهرَ وتواتَرَ، كما ذكره في «الرسالة القشيرية»[٦].

---

(١) في المطبوعة: (لكفر).
(٢) انظر: «شرح المنظومة الوهبانية» (ق٦٢/ ب ـ ٦٣/ آ).
(٣) انظر: «الإرشاد» (٢٥٥)، و«الفتاوى الحديثية» (٢١٥).
(٤) المرجع السابق: ٢١٥ ـ ٢١٦.
(٥) في الأصل: (كما).
(٦) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٥٦) في قصة أبي عبيد البسريّ في إحياء الموتى.

[الفصلُ الثَّاني:
في الجنِّ والشَّياطين، ورؤيتهم، والاجتماع بهم]

قال في «شرح المقاصد»: ظاهرُ الكتاب والسُّنَّة ـ وهو قولُ أكثر الأمَّة ـ: أنَّ الملائكةَ: أجسامٌ لطيفةٌ نورانيَّةٌ قادرةٌ على التَّشكُّلات بأشكالٍ مختلفةٍ كاملةٍ في العلم والقدرة على الأفعال الشَّاقَّة، شأنُها الطَّاعاتُ، ومسكَنُها السَّماواتُ، هم رُسُلُ الله تعالى إلى أنبيائه عليهم الصلاةُ والسلامُ، وأُمَناؤه على وحيه، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٠]، ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [سورة التحريم: ٦].

والجنُّ: أجسامٌ لطيفةٌ هوائيَّةٌ تتشكَّلُ بأشكالٍ مختلفةٍ، وتظهر منها أفعالٌ عجيبةٌ، منهم المؤمنُ والكافرُ، والمطيعُ والعاصي.

والشَّياطينُ: أجسامٌ ناريَّةٌ شأنُها إلقاءُ النَّفْس في الفساد والغَوَاية بتذكير أسباب المعاصي واللَّذَّات، وإنساء منافع الطَّاعات، وما أشبه ذلك على ما قال تعالى حكايةً عن الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [سورة إبراهيم: ٢٢][1].

---

(١) قال إمام الحرمين في كتابه (الشّامل): «اعلموا رحمكم الله أن كثيراً من الفلاسفة وجماهير القدَريّة وكافّة الزّنادقة أنكروا الشّياطين والجنّ رأساً، ولا يبعد لو أنكر ذلك من لا يتدبر ولا يتشبث بالشريعة، وإنّما العَجَب من إنكار القَدَريّة مع نصوص القرآن وتواتر الأخبار =

قيل: تركيبُ(١) الأنواع الثَّلاثة من امتزاج العناصر الأربعة، إلا أنَّ الغالبَ على الشَّيطان عنصرُ النّار، وعلى الآخرين عنصرُ الهواء؛ وذلك أنَّ امتزاجَ العناصر قد لا يكون على القريب من الاعتدال، بل على قدرٍ صالحٍ من غَلَبة أحدهما، فإن كانت الغلبةُ للأرضيَّة؛ يكون الممتزجُ مائلاً إلى عنصر الأرض، وإن كانت للمائيَّة؛ فإلى الماء، أو للهوائيَّة؛ فإلى الهواء، أو للنَّاريَّة؛ فإلى النَّار، لا

= واستفاضة الآثار»، ثمَّ سَاق جملَةً من نُصُوص الكتاب والسُّنة.

وقال أبو قاسم الأنصاريُّ في «شرح الإِرشاد»: «وقد أنكرهم مُعظمُ المعتزلة، وَدلّ إنكارهم إياهم على قلّة مبالاتهم وركاكة دياناتهم، فليس فِي إثباتهم مُسْتَحِيلٌ عقليٌّ، وَقد دلّت نُصُوص الكتاب والسُّنة على إثباتهم، وحقّ على اللَّبِيب المعتصم بحبل الدّين أن يُثبِت ما قضى العقل بجوازه، ونَصَّ الشَّرع على ثُبُوته».

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: «وكثيرٌ من القدريّة يُثبتون وجود الجنّ قدِيماً وينفُون وجودهم الآن، ومنهم من يُقر بوجودهم وَيزْعُم أنهم لَا يُرَوْنَ؛ لرِقَّة أجسامِهم ونُفوذِ الشُّعاع فيها، ومنهم من قال: إنَّما لَا يُرَوْن؛ لأنهم لا ألوان لهم»، ثمّ قال إمام الحرمين: «والتمسك بالظواهر والآحاد تكلّف منا مع إجماعِ كافّة العلماء في عصر الصّحابة والتّابعين على وجودَ الجنّ والشّياطين والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم، ولا يراغم مثل هذا الاتّفاق متدين متشبث بمسكةٍ من الدّين»، ثمّ ساق عدّة أحاديث، ثمّ قال: «فمن لم يرتدع بهذا وَأمثاله فينبغي أن يتهم في الدّين، ويعترف بالانسلال منه على أنه ليس في إِثبات الشّياطين ومردة الجنّ ما يقدح في أصل من أُصُول العقل وقَضيّةٍ من قضاياه، وأكبر ما يستروحون إليه خطور الجنّ بنا ونحن لا نراهم، ولو شاءت أبدلت لنا أنفسها، وإنما يستبعد ذلك من لم يحط علماً بعجائب المقدورات، وقولهم في الجنّ يجرهم الى إنكار الحَفَظة من الملائكة عليهم السّلام، ومن انتهى بهم المذهب إلى هذا وضح افتضاحه».

«آكام المرجان في أحكام الجان» (١٩، ٢٠).

(١) في الأصل: (تركب).

يبرح ولا يفارِقُ، وليس لهذه الغلبة حدٌّ معيَّنٌ، بل تختلفُ إلى مراتبَ بحسب أنواع الممتزجات التي تسكنُ هذا العنصرَ.

ولكون هذا الهواء والنَّار في غاية اللَّطافة والشَّفيف؛ كانت الملائكةُ والجنُّ والشَّياطينُ بحيث يدخلون المنافذَ والمضايقَ حتى أجواف الأسنان(١)، ولا يُرَوْن بحسِّ البصر إلا إذا اكتسبوا من الممتزجات الأُخَر التي تغلب عليها الأرضيَّةُ والمائيَّةُ جلابيبَ وغواشٍ، فيُرَون في أبدانٍ كأبدان الإنسان أو غيره من الحيوانات.

والملائكةُ كثيراً ما تُعاوِنُ الإنسانَ على أعمالٍ يعجز هو عنها بقوَّته، كالغلبة على الأعداء، والطَّيران في الهواء، والمشي على الماء، وتحفَظُه من كثيرٍ من الآفات.

وأمّا الجنُّ والشَّياطينُ؛ فيخالِطُون بعض الأناسيِّ، ويعاونون على السِّحر والطِّلْسمَات والنِّيرَنْجات وما يُشاكِلُ ذلك(٢). انتهى.

---

(١) في «شرح المقاصد»: (الإنسان)، وفي هامش (المطبوعة): وفي «معراج الدراية شرح الهداية» آخر كتاب المفقود بعد أن ذكر حديثَ الذي اختطفه الجنُّ في زمن عمر رضي الله تعالى عنه قال:
«وفي هذا الحديث دليلٌ لمذهب أهل السُّنَّة: أنَّ الجنَّ يتسلَّطون على بني آدم، وأهلُ الزَّيغ يُنْكِرُون ذلك على اختلافٍ بينهم، فمنهم من يقول: المنكرُ دخولُهم في الآدميّ؛ لأنَّ اجتماعَ روحين في جسدٍ واحدٍ لا يتحقَّقُ، وقد يُتصوَّرُ تسلُّطُهم على الآدميّ من غير أن يدخلوا فيه، ومنهم من قال: الجنُّ أجسامٌ لطيفةٌ، فلا يُتصوَّرُ أن يحملوا جسماً كثيفاً من موضعٍ إلى موضعٍ، ولكنَّا ـ أهلَ السُّنة ـ نأخذ بما وردتْ به الآثارُ، قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «إنَّ الشيطانَ يجري من ابن آدم مجرى الدم»، وقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الشيطانَ يدخل في رأس الإنسان، فيكون على قافية رأسه»، فنتبع الآثارَ، ولا نشتغل بكيفيَّة ذلك». انتهى منه.
(٢) «شرح المقاصد» (٢/ ٥٤ ـ ٥٥).

وذكر قبله: أنّه حكي مشاهدةُ الجنِّ عن كثيرٍ من العقلاء وأرباب المكاشفات[١] من الأولياء[٢]. انتهى.

قلت: ويدلُّ على ذلك: ما صرّح به الفقهاءُ من الخلاف المشهور في صحَّة النِّكاح بين الجنِّ والإنس، حيث صحَّحه الشافعيَّةُ، ومنعه الحنفيَّةُ؛ لاشتراطهم في صحَّة النِّكاح: اتِّحادَ الجنس، لكن نقل في «القنية»[٣]: أنَّ السَّائل عن ذلك يُصفعُ لحماقته كما نقله في «الأشباه والنظائر»[٤].

ثم قال: وفي «يتيمة الدهر في فتاوى أهل العصر»: سُئل علي بن أحمد عن التَّزوُّج بامرأةٍ مسلمةٍ من الجنِّ، هل يجوز إذا تُصُوِّرَ ذلك، أم يختصُّ الجوازُ بالآدميين؟ فقال: يُصفعُ هذا السَّائلُ لحماقته وجهله.

قلت: وهذا لا يدلُّ على حماقة السَّائل، وإن كان لا يُتَصوَّرُ، ألا ترى أنَّ أبا اللَّيث[٥] ذكر في فتاواه: أنَّ الكُفَّار لو تترَّسوا بنبيٍّ من الأنبياء هل يُرْمى؟ فقال: يُسأَل ذلك النبيُّ، ولا يُتصوَّرُ ذلك بعد رسولنا ﷺ، ولكن أجاب على تقدير التَّصُّور، وكذا هذا، وسُئل عنها أبو حامدٍ، فقال: لا يجوز[٦]. انتهى.

---

(١) في الأصل: (المشاكلات).

(٢) المرجع السابق: ٢/ ٥٤.

(٣) انظر: (قنية المنية ٧٦).

(٤) انظر: «الأشباه والنظائر» (٢٨٢).

(٥) أبو الليث: نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، أخذ عن أبي جعفر الهندواني، من كتبه: «النوازل»، و«خزانة الأكمل»، توفي سنة ٣٩٣هـ. «الجواهر المضية» (٢/ ١٩٦)، و«تاج التراجم» (٣١٠).

(٦) «يتيمة الدهر للترجماني» (ق٦٨).

ورُوي المنعُ عن الحسن البصريّ[١] وقَتَادة[٢] والحاكم[٣] [و]ابن قُتَيْبة[٤] وإسحاق بن راهَوَيْهِ[٥] وعُقْبة الأصمّ[٦]، وتمامُ ذلك في «الأشباه والنظائر» للعلامة ابن نُجَيم[٧].

---

(١) الحسن البصري: أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، إمام التابعين، روى عن أبي بن كعب وأنس بن مالك وجابر، روى عنه قتادة وقرة بن خالد والأعلم، توفي سنة ١١٠هـ.
«تهذيب الكمال» (٦/ ٩٥ ـ ١٢٧)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٥٧).

(٢) قتادة: أبو الخطاب، قتادة بن دعامة السدوسي البصري، أحد الأئمة، ولد سنة ٦٠هـ، روى عن أنس بن مالك والحسن البصري وأبي بردة، روى عنه جرير بن حازم وسعيد بن أبي عروبة وشعبة، توفي سنة ١١٧هـ أو ١١٨هـ. «تهذيب الكمال» (٢٣/ ٤٩٨ ـ ٥١٧)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٩٢ ـ ٩٣).

(٣) الحاكم: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله المعروف بابن البيع النيسابوري الحافظ، ولد سنة ٣٢١هـ، أخذ عن أبيه وابن أبي هريرة وأبي سهل الصعلوكي، روى عنه الدارقطني والبيهقي وأبو ذر الهروي، من كتبه: «معرفة علوم الحديث»، و«المستدرك على الصحيحين»، توفي سنة ٤٠٥هـ. «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٦٢ ـ ١٦٦).

(٤) ابن قتيبة: أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوريّ، إمام في اللغة، أخذ عن أبي حاتم السجستاني، وأخذ عنه ابن درستويه، من كتبه: «غريب القرآن»، و«أدب الكاتب»، توفي سنة ٢٧٠هـ. «نزهة الألباء» (١٥٩ ـ ١٦٠).

(٥) إسحاق بن راهويه: أبو يعقوب المروزيُّ الحنظليُّ الحافظُ، ولد سنة ١٦١هـ، روى عن سفيان بن عيينة وابن المبارك وعبد الرزاق، وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود، توفي سنة ٢٣٨هـ. «تهذيب الكمال» (٢/ ٣٧٣ ـ ٣٨٨)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ١٧ ـ ١٨).

(٦) عقبة الأصم: عقبة بن عبد الله الأصم العبدي البصري، روى عن الحسن البصري وقتادة وعطاء، وأخذ عنه عبد الله بن المبارك وآدم بن أبي إياس وموسى الضبي، توفي سنة ٢٦٦هـ.
«تهذيب الكمال» (٢٠/ ٢٠٥ ـ ٢٠٨).

(٧) انظر: «الأشباه والنظائر» (٢٨٢ ـ ٢٨٣). =

وذكر فيها: أنَّ الجماعةَ تنعقدُ بهم، [وأنّه] إذا مرَّ الجنيُّ بين يدي المصلّي؛ يقاتَلُ [كما يقاتَلُ] الإنسيّ، وأنّه لا يجوز قتلُ الجنيِّ بغير حقٍّ كالإنسيّ، وأنّه لو وَطِئَ الجنّيُّ إنسيّةً[١] لا غُسْلَ عليها ما لم تُنْزِلْ[٢]. انتهى[٣].

وظاهرُ الإطلاق: عدمُ وجوب الغسل عليها وإن ظهر لها[٤] بصورةِ آدميٍ وأَوْلَجَ الحشفةَ؛ لأنّه وإن وجدت بينهما المجانسةُ الصوريّةُ، لكن مع تحقُّق المباينة المعنويّة لا يجب الغسلُ إلا بالإنزال، كما في وَطْء الميتة، ولذا عَلّل به بعضهم حرمةَ التَّناكح

= وابن نجيم: زين العابدين بن نجيم الحنفي، إمام علامةٌ، ولد سنة ٩٢٦هـ، أخذ عن الشرف البلقيني والشهاب ابن الشلبي وأبي الفيض السلمي، من كتبه: «الأشباه والنظائر»، و«النهر الفائق شرح كنز الدقائق»، توفي سنة ٩٦٩هـ أو ٩٧٠هـ.

«الكواكب السائرة» (٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨)، و«الطبقات السنية» (٢٨٩ ـ ٢٩٠).

(١) في المطبوعة: (الإنسية).

(٢) المرجع السابق: «مبحث أحكام الجان»: (ص٢٨١ ـ ٢٨٥)، وذكر في هذا المبحث قبول رواية الجنّ وحكم ذبيحتهم.

(٣) وفى كتب الفقه الحنفية مسألة مشهورة في هذا الصدد: «امرأة قالت: معي جني يأتيني في النوم مراراً، وأجد في نفسي ما أجد إذا جامعني زوجي، لا غسل عليها». انظر: «فتاوى قاض خان» (١/ ٢٠)، و«شرح فتح القدير» (١/ ٦٣)، و«الفتاوى الهندية» (١/ ١٥)، و«رد المختار على الدر المختار» (١/ ١٦١).

قال في «البحر الرائق» (١/ ٦٠): «ولو قالت معي جني يأتيني في النوم مراراً، وأجد ما أجد إذا جامعني زوجي لا غسل عليها».

وفي «فتح القدير»: «ولا يخفى أنه مقيد بما إذا لم تر الماء، فإن رأته صريحاً وجب كأنه احتلام، وقد يقال: ينبغي وجوب الغسل من غير إنزال لوجود الإيلاج؛ لأنها تعرف أنه يجامعها كما لا يخفى، ولا يظهر هذا الاشتراط إلا إذا لم يظهر لها في صورة الآدمي».

(٤) في المطبوعة: (عليها).

بينهما، كذا حقَّقه العلامةُ ابن أمير حاج[١] في شرحه على «منية المصلي»[٢].

ثم قال: «ومذهبُ الشَّافعي: وجوبُ الغسل عند تحقُّق الإيلاج، واستبعادُ وطء الإنسيّ للجنيَّة وعكسه مع التَّشكُّل في صورة بني آدم بعيدٌ، وقد اشتهر الوقوعُ، ولا شكَّ في الإمكان»[٣]. انتهى.

وأفاد أنَّه مع عدم التَّشكُّل غيرُ ممكنٍ؛ لِمَا علمتَ أنَّ الجنَّ أجسامٌ لطيفةٌ هوائيَّةٌ، ولعلّه محملُ ما مرَّ من أنَّ السَّائلَ عنه يُصفعُ، وكذا يحملُ عليه ما نقله في «الطبقات الكبرى» عن حَرْملة[٤] أنّه قال: سمعتُ الإمام الشافعيَّ رحمه الله تعالى يقول: «من زعم من أهل العدالة أنّه يرى الجنَّ أبطلنا شهادتَهُ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [سورة الأعراف: ٢٧]، إلّا أن يكون الزَّاعمُ نبيّاً»[٥]. انتهى.

---

(١) ابن أمير حاج: شمس الدين، محمد بن محمد الحلبي الحنفيّ، يعرف بابن الموقت، ولد سنة ٨٢٥هـ أخذ عن ابن حجر وابن الهمام وابن الأشقر، من كتبه: «شرح منية المصلي»، و«منار البيان لجامع النسكين بالقران»، توفي سنة ٨٧٩هـ. «الضوء اللامع» (٩/ ٢١٠ ـ ٢١١).

(٢) «حلبة المجلي وبغية المهتدي» (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦)، لكنّ ظاهر كلامه: أنَّ هذا فيما إذا علمتْ أنّه جنيٌّ حال الوطء، فقد قال بعد هذا: «لو ظهر لها في صورة آدمي، فوطئها وهي غير عالمة بأنه جني، أو ظهر له جنيةٌ في صورة آدمية، فوطئها غير عالمٍ بأنها جنية، ثم تفارقا في الصورتين بعد إيلاج الحشفة أو قدرها في الفرج من غير إنزال، ثم علما بما كان في نفس الأمر؛ وجب الغسل عليهما فيما يظهر».

(٣) المرجع السابق: ١/ ١٣٦.

(٤) حرملة: حرملة بن يحيى بن عبد الله التّجيبيُّ، أحد أصحاب الشافعي، ولد سنة ١٦٦هـ، روى عن الشافعي وابن وهب وابن أبي مريم، وروى عنه مسلم وابن ماجه وأبو زرعة الرازي، من كتبه: «المبسوط»، و«المختصر»، توفي سنة ٢٤٣هـ.
«تهذيب الكمال» (٥/ ٥٤٨ ـ ٥٥٢)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ١٢٧ ـ ١٣١).

(٥) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ١٣٠).

لكنَّ هذا ينافي ما مرَّ عن «شرح المقاصد» من حكاية مشاهدتهم عن كثيرٍ من العقلاء وأرباب المكاشفات، فإنَّ المتبادرَ أنَّ [المرادَ]: المشاهدةُ بدون تشكُّلٍ، إلا أن يكون ذلك من باب الكرامة، فإنَّ ما صحَّ أن يكون معجزةً لنبيٍّ؛ جاز أن يكون كرامةً لوليٍّ على ما مرَّ فيه من الكلام مبسوطاً.

وكلامُ الإمام الشافعيِّ رضي الله عنه في غير أصحاب الكرامات عند عدم التَّشكُّل، وإلا؛ فلا وجهَ لمنع رؤيتهم لكلِّ أحدٍ عند التَّشكُّل.

ولذا اختلفوا في قتل الحَيَّة البيضاء التي تمشي مستويةً، فقيل: لا تُقتلُ؛ لأنّها من الجانِّ؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «اقتلوا ذا الطُّفْيَتين والأبتر، وإيّاكم والحيَّةَ(١) البيضاءَ، فإنّها من الجنِّ»(٢).

[وقال الطَّحاويُّ(٣): لا بأس بقتل الكلِّ؛ لأنّه ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ عاهَدَ الجنَّ] أن لا يدخلوا بيوتَ أمّته، ولا يُظْهِروا أنفسَهم، فإذا خالفوا؛ فقد نقضوا العهدَ، فلا حُرمةَ لهم، وقد حصل في عهده ﷺ وفيمن بعده الضَّررُ بقتل

---

(١) في الأصل: (والجهة).

(٢) رواه البخاري (كتاب بدء الخلق، باب قول الله تعالى ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾، رقم: ٣١٢٣)، ومسلم (كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها، رقم: ٢٢٣٣) بلفظ «اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفيتين والأبتر، فإنهما يطمسان البصر ويستسقطان الحبل» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ثم قال: فبينا أنا أطارد حيّةً لأقتلها فناداني أبو لبابة: لا تقتلها، فقلت: إنّ رسول الله ﷺ «قد أمر بقتل الحيات»، قال: إنّه نهى بعد ذلك عن ذوات البيوت، وهي العوامر.

(٣) الطحاوي: أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة المصريُّ الأزديُّ الحافظُ، ولد سنة ٢٣٧هـ، روى عن يونس بن عبد الأعلى وابن عبد الحكم وابن رفاعة، روى عنه الطبراني والخشاب والأخميمي، من كتبه: «شرح معاني الآثار»، و«شرح مشكل الآثار»، توفي سنة ٣٢١هـ. «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٢١ ـ ٢٢).

بعض الحيَّات من الجنِّ[١]، فالحقُّ: أنَّ الحلَّ ثابتٌ، ومع ذلك فالأَوْلى الإمساكُ عمّا فيه علامةُ الجانّ، لا للحُرْمة، بل لدفع الضَّرر المتوهَّم[٢] من جهتهم، وقيل: يُنْذِرهم[٣]، فيقول: خَلّي طريقَ المسلمين أو ارجعي بإذن الله تعالى، فإن أَبَتْ؛ قتلها، كذا في «فتح القدير» للمحقّق ابن الهمام[٤]، وقد أطال تلميذُه ابن أمير حاج بذلك في شرحه على «المنية»[٥].

ثم نقل عن «شرح الجامع الصغير» لصدر الإسلام[٦] قال: والصَّحيحُ في الجواب: أن يُحتاطَ في قتل الحيَّات حتى لا يقتل جنياً، فإنّهم يؤذونه أذىً كثيراً، بل إذا رأى حيَّةً، وشكَّ أنّه جنيٌّ؛ يقول له: خلِّ طريقَ المسلمين ومُرَّ، فإن مرَّ تركه، فإنَّ واحداً من إخواني وهو أكبرُ سناً مني قتل حيَّةً كبيرةً في دارٍ لنا بنَسَف[٧]، فضربه الجنُّ حتى جعلوه زَمِناً، فكان لا تتحرَّكُ رجلاه قريباً من شهرٍ، ثم عالجناه وداويناه بإرضاء الجنِّ حتى تركوه، فزال ما به، وهذا مما عايَنْتُه بعيني. انتهى[٨].

---

(١) انظر في ذلك: (شرح مشكل الآثار للطحاوي ٧/ ٣٧٤ ـ ٣٨٣).

(٢) في المطبوعة: (التوهم).

(٣) في المطبوعة: (ينذرها).

(٤) «شرح فتح القدير» (١/ ٤١٧ ـ ٤١٨). وابن الهمام: كمال الدين، محمد بن عبد الواحد السيواسي القاهريُّ الحنفيُّ، ولد سنة ٧٩٠هـ أو ٧٨٩هـ، أخذ عن الهيثمي والبوصيري والشمني، أخذ عنه المناوي وابن هشام والقرافي، من كتبه: «فتح القدير»، و«التحرير في أصول الفقه»، توفي سنة ٨٦١هـ. «الضوء اللامع» (٨/ ١٢٧ ـ ١٣٢).

(٥) «حلبة المجلي وبغية المهتدي» (٢/ ٢٧٨ ـ ٢٨١).

(٦) انظر: «شرح الجامع الصغير» (ق٤٤/ ب، ٤٥/ آ).

(٧) في المطبوعة: (بسيف).

(٨) «حلبة المجلي وبغية المهتدي» (٢/ ٢٨١).

ومثلُه ما في «تيسير الوصول إلى جامع الأصول»[(١)] عن أبي السَّائب[(٢)] قال: دخلتُ على أبي سعيد، فوجدتُه يصلّي، فجلست أنتظرُه، فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت، فالتفتُّ، فإذا حيَّةٌ، فوثبت لأقتُلَها، فأشار إليّ: أن اجلس، فجلستُ، فلما انصرف أشار إلى بيتٍ في الدَّار، فقال: أترى هذا البيتَ؟ فقلت: نعم، فقال: كان فيه فتىً منّا قريب عهدٍ بعرسٍ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان الفتى يستأذنُ رسولَ الله ﷺ بأنصاف النَّهار، فيرجع إلى أهله، فاستأذن يوماً، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «**خذ سلاحَكَ، فإنِّي أخشى عليك قُرَيْظَةَ**»، فأخذ الرَّجلُ سلاحَه، فأتى أهلَه، فإذا امرأتُه بين البابين قائمةٌ، فأهوى إليها بالرُّمْح ليطعنها به، وأصابته غيرةٌ، فقالت له: اكفف عليك رمحَك، وادخل البيتَ حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل البيتَ، فإذا حيَّةٌ عظيمةٌ منطويةٌ على الفراش، فأهوى إليها بالرُّمح، فانتظمها به، ثم خرج، فركزه في الدَّار، فاضطربت عليه، فما ندري أيُّهما كان أسرعَ موتاً: الحيَّةُ أو الفتى؟ قال: فجئنا رسولَ الله ﷺ، فذكرنا ذلك له، وقلنا: ادع الله أن يحييه، فقال: «**استغفروا لصاحبكم**»، ثم قال: «**إنَّ بالمدينة جنّاً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً؛ فآذِنُوه ثلاثة أيامٍ، فإن بدا لكم بعد ذلك؛ فاقتلوه، فإنّما هو شيطانٌ**» أخرجه مسلم ومالك وأبو داود والترمذيُّ[(٣)].

---

(١) «تيسير الوصول» (٤/ ٦٦ ـ ٦٧).

(٢) أبو السائب: الأنصاري المدني مولى هشام بن زهرة، روى عن المغيرة بن شعبة وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة، روى عنه الزهري والعلاء بن عبد الرحمن وابن خلاد، وثقه ابن حبان. «تهذيب الكمال» (٣٣/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩).

(٣) رواه مسلم (كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها، رقم: ٢٢٣٦)، ومالك في «الموطأ» (الجامع، باب مَا جاء في قتل الحيّات وما يقال في ذلك، رقم: ٣٥٨١)، وأبو داود (كتاب الأدب، باب في قتل الحيات، رقم: ٥٢٥٧) مطولاً، والترمذي =

هذا، وللعلَّامة ابن حجر الهيتميِّ(١) كلامٌ طويلٌ في الجنِّ ذكره في «الفتاوى الحديثيّة»، ولنذكر نبذةً منه قال:

قال القاضي أبو يعلى(٢): الجنُّ أجسامٌ مؤلَّفةٌ، وأشخاصٌ ممثَّلةٌ، ويجوز كونُها رقيقةً وكثيفةً، خلافاً لزعم المعتزلة رقَّتَها، ولذلك لا نراها(٣).

وقال الباقلانيُّ(٤): إنّما رآهم مَنْ رآهم؛ لأنّهم أجسامٌ مؤلَّفةٌ وجُثَثٌ، وأخرج ابنُ

= «الأحكام والفوائد»، (رقم: ١٤٨٤) مختصراً.

(١) في الأصل والمطبوعة: (الهيثمي) بالثاء.

(٢) أبو يعلى: محمد بن الحسين بن محمد ابن الفرَّاء الحنبلي البغداديُّ، شيخ الحنابلة، ولد سنة ٣٨٠هـ، أخذ عن الحربي وابن معروف وابن حبابة، روى عنه الخطيب والكلوذاني وابن عقيل، من كتبه: «العدة» في أصول الفقه، و«أحكام القرآن»، توفي سنة ٤٥٨هـ. «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٨٩ ـ ٩٢).

(٣) قال القاضي أبو يعلى محمّد بن الحسين بن الفراء الحنبليّ: «الجنُّ أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة، ويجوز أن تكون كثيفةً، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إنّهم أجسام رقيقة ولرقتهم لا نراهم، والدّلالة على ذلك علمنا بأن الأجسام يجوز أن تكون رقيقةً، وَيجوز أن تكون كثيفةً، ولا يُمكن معرفةُ أجسام الجنِّ أنّها رقيقةٌ أو كثيفةٌ إلّا بالمشاهدة أو الخبر الوارد عن الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ، وكلا الأمرين مفقود، فوجب أن لا يصح أنهم أجسامٌ رقيقةٌ أصلاً، فأما قولهم: إن الجنّ إنما كانت أجساماً رقيقةً؛ لأننا لا نراها، وإنما نراها لِرِقَّتها، فلا يصح لأننا قد دللنا على أن الرقة ليست بمانعة عن الرّؤية في باب الرّؤية، ويجوز أن تكون الأجسام الكثيفة موجودةً ولا نراها إِذا لم يخلق الله تعالى فينا الإِدراك» «آكام المرجان في أحكام الجان» (٣٤).

(٤) الباقلاني: أبو بكر، محمد بن الطيب البصريُّ القاضي، إمام المتكلمين، أخذ عن القطيعي وابن ماشا، روى عنه أبو ذر، من كتبه: «إعجاز القرآن»، و(التقريب والإرشاد)، توفي سنة ٤٠٣هـ. =

أبي الدّنيا[١] والحكيمُ الترمذيُّ[٢] وأبو الشَّيخ[٣] وابن مَرْدَوَيْهِ[٤] أنّه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «خلق الله الجنَّ ثلاثةَ أصنافٍ: صنفٌ حيّاتٌ وعقاربُ وخشاشُ الأرض، وصنفٌ كالرِّيح في الهواء، وصنفٌ عليهم الحسابُ والعقابُ»[٥].

= «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، و«الديباج المذهب» (٢/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(١) ابن أبي الدنيا: أبو بكر، عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغداديُّ الحافظ، ولد سنة ٢٨٠هـ، روى عن علي بن الجعد وسعيد الجرمي وخلف بن هشام، روى عنه الحارث بن أبي أسامة وأبو بكر الشافعي وأبو بكر النجاد، من كتبه: «ذم الدنيا»، و«صفة الجنة»، توفي سنة ٢٨١هـ.
«تذكرة الحفاظ» (٢/ ١٨١ ـ ١٨٢).

(٢) الحكيم الترمذي: أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن الزاهدُ المحدِّث، أخذ عن أبيه وأبي تراب النخشبي وقتيبة بن سعيد، وروى عنه يحيى بن منصور القاضي، من كتبه: «نوادر الأصول»، و«الفروق»، توفي سنة ٢٥٥هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦).

(٣) أبو الشيخ: أبو محمد، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان الأنصاري، ولد سنة ٢٧٤هـ، أخذ عن ابن أبي عاصم وأبي يعلى الموصلي وابن أسد المديني، روى عنه ابن مردويه والماليني وأبو نعيم، من كتبه: «العظمة»، و«تاريخ أصبهان»، توفي سنة ٣٦٩هـ. «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٥ ـ ١٠٦).

(٤) ابن مردويه: أبو بكر، أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهانيُّ الحافظ، ولد سنة ٣٢٣هـ، روى عن أبي سهل القطان وميمون بن إسحاق وابن دحيم، روى عنه ابن منده وابن شكرويه وأبو مطيع، من كتبه: «المستخرج على صحيح البخاري»، و«التاريخ»، توفي سنة ٤١٠هـ. «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٦٩ ـ ١٧٠).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٢٣)، والحكيم الترمذي في «المنهيات» (٢٢٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١٦٣٩)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٠٧)، وأبو يعلى كما في «المطالب العالية» (١٤/ ١٩٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

قال السُّهيليُّ[(١)]: والصِّنفُ الثَّالثُ هو الذي لا يأكلُ ولا يشربُ إن صحَّ أنَّ الجنَّ لا تأكل ولا تشربُ[(٢)].

قال القاضي أبو يعلى: ولا طريقَ للشَّياطين على التَّنقُّل[(٣)] في الصُّور المختلفة ـ وكذا الملائكةُ ـ إلّا بأن يعلمه الله تعالى قولاً أو فعلاً إذا أتى به نَقَلَه من صورةٍ إلى صورةٍ أخرى؛ لأنَّ تصويرَه لنفسه محالٌ؛ لأنَّ انتقالَها من صورةٍ إلى أخرى إنّما يكون بنقض البُنْية وتفريق الأجزاء، وإذا انتقلتْ بطَلَت الحياةُ، واستحال وقوعُ الفعل من الجملة، فكيف تنتقلُ؟

وعلى هذا يُحملُ ما جاء: أنَّ إبليسَ تصوّر في صورة سُراقة[(٤)]، وجبريلَ

---

(١) السهيلي: أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي المالقيُّ الخثعمي الحافظُ، ولد سنة بضع وخمسمائة، أخذ عن ابن أخت غانم وابن الطراوة وابن العربي، روى عنه القرطبي وابن غلبون وابن السراج. من كتبه: «الروض الأنف»، و«الإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام»، توفي سنة ٥٨١هـ. «تذكرة الحفاظ» (٤/ ٩٦ ـ ٩٧).

(٢) انظر: (الروض الأنف ٤/ ٣١ ـ ٣٢)، وقد ذكره تعليقاً على روايةٍ أخرى بلفظ: «وصنف يخلون ويظعنون، وهم السَّعالي».

(٣) في الأصل والمطبوعة: «النقل»، والتصحيح من «الفتاوى».

(٤) روى الطبراني في «الكبير»، (رقم: ٤٥٥٠) عن رفاعة بن رافع: أنّ إبليس لما رأى ما تفعل الملائكة بالمشركين في بدرٍ أشفق أن يخلص القتلُ إليه، فتشبث به الحارثُ به هشام وهو يظنُّ أنّه سراقة بن مالك.

قال الهيثمي: (فيه عبد العزيز بن عمران، وهو ضعيف). «مجمع الزوائد» (٦/ ٧٧).

وروى الطبريُّ في «تفسيره» (١٣/ ٧) عن ابن عباس قال: جاء إبليسُ يوم بدرٍ في جندٍ من الشياطين معه رأيتُه في صورة رجل من بني مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم.

تمثَّلَ في صورة دِحْيَة[١]، ولما ذُكِرَ عند عمر الغَيْلانيِّ قال: إنَّ أحداً لا يستطيع أن يتغيَّرَ عن صورته التي خلقه الله عليها، ولكن لهم سحرةٌ كسحرتكم، فإذا رأيتم من ذلك شيئاً؛ فَأَذِّنُوا.

قال القاضي أبو يعلى: الجنُّ يأكلون ويشربون ويتناكحون كالإنس، وظاهرُ العمومات: أنَّ جميعَهم كذلك، وهو رأيُ قومٍ، ثم قال بعضهم: أكلُهم وشربُهم شمٌّ واسترواحٌ[٢]، لا مَضْغٌ، وهذا لا دليلَ عليه، وقال الأكثرُ: بل مَضْغٌ وبَلْعٌ.

وأخرج ابنُ جُرَيج[٣] عن وهبٍ[٤]: أنَّهم أجناسٌ، فأما خالصُهم؛ فهم[٥] ريحٌ لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون، ومنهم أجناسٌ يأكلون ويشربون

---

(١) روى البخاري (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: ٣٤٣٥)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم: ٢٤٥١) عن أبي عثمان النهدي قال: أنبئتُ أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة، فجعل يحدث، ثم قام، فقال النبي ﷺ لأم سلمة: من هذا أو كما قال، قال: قالت: هذا دحية، قالت أم سلمة: ايم الله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة نبي الله ﷺ يخبر جبريل أو كما قال.

(٢) في المطبوعة: (واستراح).

(٣) ابن جريج: أبو الوليد، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي الأموي، روى عن جعفر الصادق وابن كثير وعكرمة، وروى عنه الحمادان والأوزاعي، توفي سنة ١٤٩هـ أو ١٥٠هـ. «تهذيب الكمال» (١٨/ ٣٣٨ـ ٣٥٤).

(٤) وهب: ابن منبّه بن كامل اليمانيّ الصنعاني الذِّماري، تابعيٌّ ثقةٌ، ولد سنة ٣٤هـ، روى عن أنس بن مالك وجابر وابن عباس، وروى عنه همّام وعوف الأعرابي وسماك بن الفضل، توفي سنة ١١٠هـ أو ١١٤هـ أو ١١٦هـ. «تهذيب الكمال» (٣١/ ١٤٠ـ ١٦٢).

(٥) في الأصل والمطبوعة: (فمنهم)، والتصحيح من (الفتاوى).

ويتناكحـون ويموتـون، وهي هذه التي منها السَّـعالي والغول وأشـباه ذلك[١].

وصحَّ عن ابن مسعودٍ: أنّه انطلق مع النبيِّ ﷺ، [حتّى] إذا كانا بأعلى مكّة، فخطَّ له خطّاً، وأجلسه فيه، ثم افتتح ﷺ القرآنَ، فغَشِيه أسودةٌ[٢] كثيرةٌ حالوا بينهما حتى لم يسمعْ صوتَه، ثم تفرَّقوا عنه كقِطَع السَّحاب، وفرغ صلى الله تعالى عليه وسلم مع الفجر[٣].

وأخرج أبو نعيم[٤] عن إبراهيم النخعيّ[٥]: أنَّ نفراً من الجنِّ قالوا: إنّا خارجون إلى الحجِّ، وشقّتُنا بعيدةٌ، ونحن منطلقون، فزوِّدْنا، قال: لكم الرَّجيعُ، وما أتيتم من عظمٍ؛ فلكم عليه لحمٌ، وما أتيتم عليه من الرَّوث؛ فهو لكم ثمرٌ، فلما ولَّوا قلتُ: من هؤلاء؟ قال: جِنُّ نصيبين[٦].

---

(١) رواه عنه الطبريُّ في «تفسيره» (١٧/ ١٠٠) من طريق عبد الصمد بن معقل.

(٢) في الأصل: (أسورة).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك»، كتاب التفسير، تفسير سورة الجن، (رقم: ٣٨٥٨) بنحوه، قال الذهبي: هو صحيحٌ عند جماعة.

(٤) أبو نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانيُّ المهرانيُّ الحافظُ، ولد سنة ٣٣٦هـ، روى عن أبي العباس الأصمّ والطبراني وابن شوذب، وروى عنه الماليني والخطيب وأبو سعد المطرِّز، من كتبه: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، و«دلائل النبوة»، توفي سنة ٤٣٠هـ. «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٩٥ ـ ١٩٨).

(٥) إبراهيم النخعي: أبو عمران، إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفيُّ، من كبار التابعين، روى عن الأسود بن يزيد والربيع بن خثيم وأبي عبد الرحمن السلمي، وروى عنه الأعمش وابن شبرمة وأبو إسحاق السبيعي، توفي سنة ٩٦هـ. «تهذيب الكمال» (٢/ ٢٣٣ ـ ٢٤٠).

(٦) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٣٦٥ ـ ٣٦٦) بنحوه مطولاً. ونصيبين: بلدة مشهورة بالجزيرة أعنِي جزيرة ابْن عمر فِي الشرق، ووقع فِي كلام ابن التِّين: إنّها في الشَّام وهو وَهْمٌ وغَلَط «عمدة القاري» (١٦/ ٣١٠)

وأخرج مسلمٌ وغيره: «**إنَّ الشيطان يأكلُ بشماله، ويشرب بشماله**»[١] أي: حقيقةً، وحملُه على المجاز ردَّه ابنُ عبد البر بأنّه لا معنى لصرفه عن حقيقته الممكنة[٢].

وصحَّ عن الأعمش[٣] أنّه قال: تزوَّج إلينا جنيٌّ، فقلتُ له: ما أحبُّ الطَّعام إليكم؟ [قال:] الأرزّ، قال: فأتيناهم به، فجعلتُ أرى اللُّقمَةَ[٤] تُرفَعُ ولا أرى أحداً، فقلت له: أفيكم من هذه الأهواء التي بيننا؟ [قال:] نعم، قلت: فما الرافضةُ فيكم؟ قال: شرُّنا.

وجاء عن قتادة وغيره وعن السُّدِّي: أنَّ فيهم قدريَّةً ومرجئةً ورافضةً وشيعةً[٥]، وفي آثارٍ وأخبارٍ أخرى: أنَّ مؤمنيهم يصلُّون، ويصومون، ويحجُّون، ويطوفون، ويقرؤون القرآن، ويتعلَّمون العلوم، ويأخذونها عن الإنس وإن لم يشعروا بهم، وكذا روايةُ الحديث.

وأخرج الشِّيرازيُّ[٦]: ....

---

(١) رواه مسلم (كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم: ٢٠٢٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «الاستذكار» (٨/ ٣٤٢).

(٣) الأعمش: أبو محمد، سليمان بن مهران الأسدي الكاهليّ الكوفي، روى عن أنس بن مالك والشعبي وعطاء، وروى عنه جرير بن حازم وحماد بن أسامة وحمزة، توفي سنة ١٤٧هـ أو ١٤٨هـ. «تهذيب الكمال»: ١٢/ ٧٦ـ ٩١.

(٤) في المطبوعة: (اللقم).

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥١) عن السدي، والواحدي في «التفسير الوسيط» (٤/ ٣٦٦) عن الحسن، وانظر: «الدر المنثور» (٨/ ٣٠٤).

(٦) الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي، أبو إسحاق، العلامة المناظر، ولد في فيروزآباد بفارس، وانتقل إلى شيراز، فقرأ على علمائها، وانصرف إلى البصرة ومنها إلى بغداد سنة ٤١٥، فأتم ما بدأ به من الدرس والبحث، وله =

أنَّ سليمانَ عليه [السلام] أَوْثَقَ شياطينَ في البحر(١)، وإذا كان سنة خمس وثلاثين ومائةٍ خرجوا في صورة النَّاس، فجالسوهم في المجالس والمساجد، ونازعوهم القرآنَ والحديثَ(٢).

وأخرجه العقيليُّ(٣) وابنُ عديٍّ(٤) بزيادة: إنَّ تسعةَ أعشارهم تذهب إلى العراق، وعشرَهم بالشَّام(٥).

= تصانيف كثيرة، منها: «المهذب» في الفقه، و«اللمع وشرحه» في أصول الفقه، توفي سنة ٤٧٦هـ. «الأعلام» (١/ ٥١).

(١) فقد روى معمر بن راشد في «الجامع»، باب أشراط الساعة، (رقم: ٢٠٨٠٧)، وأبو نعيم في «الفتن»، علامات الساعة بعد طلوع الشمس من مغربها، (رقم: ١٨٠٧)، ومسلم (مقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، رقم: ٨) عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال: «إن في البحر شياطين مسجونةً أوثقها سليمان، يوشك أن تخرج، فتقرأ على الناس قرآناً».

(٢) عزاه المتقي الهنديّ له في (الألقاب) من حديث ابن عمر. (كنز العمال ١٠/ ٢١٣).

(٣) العقيلي: أبو جعفر، محمد بن عمرو بن موسى العقيلي الحافظُ، روى عن ابن خزيمة والصائغ والأنطاكي، وحدث عنه أبو بكر بن المقرئ ويوسف بن الدخيل وأبو الحسن الخزاعي، من كتبه: «الضعفاء الكبير»، و«الجرح والتعديل»، توفي سنة ٣٢٢هـ. «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٣٦ ـ ٣٧).

(٤) ابن عدي: أبو أحمد، عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجانيُّ الحافظُ، ولد سنة ٢٧٧هـ، حدّث عن النسائي وأبي يعلى وأبي خليفة الجمحي، وروى عنه ابن عقدة والماليني وحمزة السهمي، من كتبه: «الكامل في ضعفاء الرجال»، و«الانتصار»، توفي سنة ٣٦٥هـ. «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

(٥) رواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٣٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢١٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، قال العقيلي: (لا أصل لهذا الحديث).

وأخرج البخاريُّ عن سفيان الثوريِّ[١]: أخبره رجلٌ أنّه كان يرى الجنَّ، كان رأى قاصّاً كان يقصُّ في مسجد الخيف، فطلبه[٢]، فإذا هو شيطانٌ.

وجاءت آثارٌ أُخَر بنحو ذلك.

وجاء من[٣] عدَّةِ طرقٍ: أنّه ﷺ جيء إليه بمجنونٍ، فضرب ظهره وقال: «**اخرُجْ عدوَّ الله**»، فخرج[٤]، وتفل في فمِ آخرَ، وقال: «**اخرجْ يا عدوَّ الله، فإنِّي رسولُ الله**»[٥].

---

(١) سفيان الثوري: أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، أحد الأئمّة الأعلام، ولد سنة ٩٧هـ، روى عن الأعمش وشعبة وابن جريج، وروى عنه مالك وابن إسحاق ووكيع، توفي سنة ١٦١هـ. «تهذيب الكمال» (١١/ ١٥٤ ـ ١٦٩)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ١٥١ ـ ١٥٣).

(٢) في المطبوعة: (فتطلبه).

(٣) في الأصل: (عن).

(٤) رواه أحمد في «مسنده» (٢٩/ ٩٢)، (رقم: ١٧٥٤٩) من حديث مرة الثقفي: أن امرأةً جاءت إلى النبي ﷺ معها صبيٌّ لها به لممٌ، فقال النبي ﷺ: «اخرج عدو الله، أنا رسول الله»، قال: فبرأ. قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». «مجمع الزوائد» (٩/ ٦).
وروى أيضاً (٣٩/ ٤٩٠ ـ ٤٩١، رقم: ٥٤) من حديث الوازع، وفيه: يا رسول الله، إن معي خالاً لي مصاباً، فادع الله له، فقال: «أين هو؟ ائتني به»، فأتيته، فأخذ من ردائه، فرفعها حتى رأينا بياض إبطه، ثم ضرب بظهره، فقال: «اخرج عدو الله»، فولى وجهه وهو ينظر نظر رجلٍ صحيحٍ.
قال الهيثمي: «فيه هند بنت الوازع، ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات». «مجمع الزوائد» (٩١/ ٢).

(٥) رواه ابن ماجه (كتاب الطب، باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه، رقم: ٣٥٤٨) من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، قال البوصيري: «إسناده صحيح، رجاله ثقات». «مصباح الزجاجة» (٤/ ٨٠).

قال ابنُ تيمية(١): وعامَّةُ ما يقوله أهلُ العزائم فيه شركٌ(٢)، فليحذرْ.

[و]أخرج جماعةٌ: أنَّ ابن مسعودٍ قرأ في أذن مصروعٍ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥] إلى آخر السُّورة، فأفاق، ثم أخبر النبيَّ ﷺ بذلك، فقال: «والذي نفسي بيده، لو أنَّ رجلاً موقناً قرأها على جبلٍ لزالَ»(٣). انتهى ما في «الفتاوى الحديثية» ملخَّصاً(٤).

وذكر في موضعٍ آخر عن شيخ الإسلام الحافظ العسقلانيِّ(٥) في «إنباء الغمر»(٦) عن الثوريّ الأنصاريّ المتوفى سنة إحدى وثمانمائة: أنّه خرج عليه

---

(١) ابن تيمية: تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي، ولد سنة ٦٦١هـ، أخذ عن ابن عبد الدائم والقاسم الإربلي وابن علان، من كتبه: «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»، و«رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، توفي سنة ٧٢٨هـ. «الدرر الكامنة» (١/ ١٦٨ ـ ١٨٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٦١).

(٣) رواه أبو يعلى (٥٠٤٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٨٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٦٣)، قال الهيثمي: «فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح». «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٥)، وكذا قال السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٢٢٥).

(٤) انظر: «الفتاوى الحديثية» (٤٨ ـ ٥٣).

(٥) العسقلاني: شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي ابن حجر العسقلانيُّ الكنانيُّ، أمير المؤمنين في الحديث، أخذ عن الحافظ العراقي وابن الملقن والبوصيري، وأخذ عنه السخاوي وزكريا الأنصاري، من كتبه: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، و«إنباء الغمر بأبناء العمر»، توفي سنة ٨٥٢هـ. «الضوء اللامع» (٢/ ٣٦ ـ ٤٠).

(٦) في المطبوعة: (أبناء العمر).

ثعبانٌ مهولٌ، فقتله، فاحتُمِل فوراً من مكانه، فأقام عند الجنِّ إلى أن رفعوه لقاضيهم، فادَّعى عليه وليُّ المقتول، فأنكرَ، فقال له القاضي: على أيِّ صورةٍ كان المقتولُ؟ فقال: على صورة ثعبانٍ، فالتفت القاضي إلى من بجانبه، فقال: سمعتُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «من تزيّا بغير زيِّه فاقتلوه»، وأمر القاضي بإطلاقه، فرجعوا به إلى منزله. انتهى[1]. ثم ذكر قصَّةً نحوها[2].

تنبيهٌ: قد تحصَّل مما ذكرنا سابقاً ولاحقاً جوازُ رؤية الجنِّ بعد التَّشكُّل لكلِّ أحدٍ، وكذا بدون تشكُّلٍ لمن شاء الله تعالى من عباده، فضلاً عن حضورهم في مجالس الذِّكْر، وسماع أصواتهم، بل تصحُّ رؤيةُ الملائكة أيضاً وأرواح الأنبياء، فقد قال في «الفتاوى الحديثيّة» أيضاً: «ذكر الغزاليُّ وآخرون: أنَّ رؤيةَ الملائكة ممكنةٌ؛ لأنّها كرامةٌ يُكرِمُ الله تعالى بها من يشاء من أوليائه، وقد وقع ذلك لجماعةٍ من الصَّحابة، ولَمّا رأى ابنُ عباس جبريلَ قال له النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم: «**لن يراه خلقٌ إلا عَمِيَ، إلا أن يكون نبيّاً، ولكن يكون ذلك آخرَ عمرك**» رواه الحاكم[3]، وكذلك

---

(١) «الفتاوى الحديثية» (١٥). وانظر: «إنباء الغمر» (٢/ ٧٦ ـ ٧٧).

(٢) وهي ما نقله عن ابن عساكر في (تاريخ دمشق): أن رجلاً دخل بعض الخراب ليبول، فإذا حيةٌ، فقتلها، فما هو إلا أن نزل به تحت الأرض، فاحتوش به جماعةٌ، فقالوا: هذا قتل فلاناً، فقالوا: نقتله، فقال بعضهم: امضوا به إلى الشيخ، فمضوا به إليه، فإذا هو شيخ حسن الوجه كبيرُ اللحية أبيضها، فقال: ما قصتكم؟ فأخبروه، فقال: في أيِّ صورةٍ ظهر؟ فقالوا: في حية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا ليلة الجن: ومن تصور منكم في غير صورته فقتل فلا شيء على قاتله، خلوه، فخلوني. «الفتاوى الحديثية» (١٥)، و«تاريخ دمشق» (١٣/ ٢٢ ـ ٢٣).

(٣) «المستدرك على الصحيحين»، كتاب معرفة الصحابة، ذكر عبد الله بن عباس، (رقم: ٦٢٨٧)، وصححه على شرط الشيخين، وقال الذهبي: «بل منكر».

رأته عائشةُ وزيدُ بن أرقم وخلقٌ لَمّا جاء يسأل عن الإيمان، ولم يعموا؛ لأنَّ الظاهرَ أنَّ المرادَ: من رآه منفرداً به كرامةً له». انتهى(١).

وقال في موضعٍ آخر وقد سُئِل: هل تمكن رؤيةُ النبيِّ ﷺ في اليقظة؟ فأجاب بقوله: أنكر ذلك جماعةٌ، وجوّزه آخرون، وهو الحقُّ، فقد أخبر بذلك من لا يُتَّهَمُ(٢) من الصَّالحين، بل استدلَّ بحديث البخاريّ: «**من رآني في المنام؛ فسيراني في اليقظة**»(٣) أي: بعيني رأسه، وقيل: بعيني قلبه، واحتمالُ إرادة القيامة بعيدٌ من لفظ اليقظة، على أنّه لا فائدةَ في التَّقييد حينئذٍ؛ لأنَّ أُمَّتَه كلَّهم يرونه يوم القيامة، من رآه في المنام ومن لم يره.

[و]في شرح ابن أبي جَمْرَة(٤) للأحاديث التي انتقاها من البخاري ترجيحُ بقاء الحديث على عمومه في حياته صلى الله تعالى عليه ومماته لمن(٥) له أهليَّةُ الاتِّباع للسُّنَّة ولغيره، قال: ومن يدَّعي الخصوصَ بغير مخصِّصٍ منه صلى الله تعالى عليه وسلم؛ فقد تعسَّفَ.

---

(١) «الفتاوى الحديثية» (٤٧).

(٢) في المطبوعة: (من ولايتهم).

(٣) رواه البخاري (كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، رقم: ٦٥٩٢)، ومسلم (كتاب الرؤيا، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام: «من رآني في المنام فقد رآني»، رقم: ٢٢٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في الأصل: (حمزة).

وابن أبي جمرة: أبو محمد، عبد الله بن أبي جمرة، الإمام العالم، من كتبه: «جمع النهاية» وهو مختصر صحيح البخاري، و«بهجة النفوس في شرح جمع النهاية»، توفي سنة ٦٩٩هـ. «نيل الابتهاج» (٢١٦).

(٥) في الأصل: (ضمن)، وفي المطبوعة: (ممن)، والتصحيح من (الفتاوى).

ثم أَلْزَمَ المنكرَ ذلك بأنّه غيرُ مصدِّقٍ بقول[١] الصَّادق، وبأنّه جاهلٌ بقدرة القادر، وبأنّه مُنْكِرٌ لكرامات الأولياء مع ثبوتها بدلائل السُّنَّة الواضحة[٢].

ومرادُه بعموم ذلك: وقوعُ رؤية اليقظة الموعود بها لمن رآه بالنَّوم ولو مرَّةً واحدةً؛ تحقيقاً لوعد الشَّريف الذي لا يُخلَفُ، وأكثرُ ما يقع ذلك للعامَّة قبل الموت عند الاحتضار[٣]، فلا تخرجُ روحُه من جسده حتى يراه وفاءً بوعده، وأما غيرهم؛ فيحصل لهم ذلك قبل ذلك بقلَّةٍ أو كثرةٍ بحسب تأهُّلهم وتعلُّقهم، واتِّباعهم للسُّنَّة؛ إذ الإخلالُ بها مانعٌ كبيرٌ.

وفي «صحيح مسلم» عن عِمْران بن حُصَين رضي الله عنه: أنَّ الملائكةَ كانت تسلِّمُ عليه إكراماً[٤] له لصبره على ألم البواسير، فلما كواها انقطع سلامُ الملائكة عنه، فلما ترك الكيَّ ـ أي: بَرِئَ، كما في روايةٍ صحيحةٍ[٥] ـ عاد سلامُهم عليه[٦]، وفي رواية البيهقيِّ[٧]: كانت الملائكةُ تصافحه، فلما كَوَى تنحّتْ عنه.

---

(١) في المطبوعة: (بقوله).

(٢) انظر: «بهجة النفوس» (٤/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧).

(٣) في المطبوعة: (الاختصار).

(٤) في المطبوعة: (اكرما).

(٥) أخرجها الحاكم في «المستدرك»، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب عمران بن حصين الخزاعي، (رقم: ٥٩٩٤).

(٦) رواه مسلم (كتاب الحج، باب التمتع، رقم: ١٢٢٦)، وفيه: (وقد كان يسلم عليَّ).

(٧) البيهقي: أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الخسروجردي الحافظُ، ولد سنة ٣٨٤هـ، روى عن ابن فورك وأبي عبد الرحمن السلمي والحاكم، وروى عنه أبو إسماعيل الأنصاري والشحامي والفراوي، من كتبه: «السنن الكبرى»، و«مناقب الشافعي»، توفي سنة ٤٥٨هـ. «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٢١٩ ـ ٢٢١).

وفي «المنقذ[١] من الضلالة» لحُجّة الإسلام بعد مدح الصُّوفيَّة، وبيان أنّهم خيرُ الخلق: حتى إنّهم وهم بيقظتهم يشاهدون الملائكةَ وأرواحَ الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقَّى الحال من مشاهدة الصُّور والأمثال إلى درجاتٍ يضيقُ عنها نطاقُ النَّاطق[٢].

وقال تلميذُه الإمامُ أبو بكر بن العربيّ المالكيّ[٣]: ورؤيةُ الأنبياء والملائكة وسماعُ كلامهم ممكنٌ للمؤمن كرامةً، وللكافر عقوبةً[٤].

وفي «المدخل» لابن الحاجّ[٥]: رؤيتُه ﷺ بابٌ ضيِّقٌ، وقَلَّ من يقع له ذلك، إلا من كان على صفةٍ عزيزٍ وجودُها في هذا الزَّمَن، بل عُدِمَتْ غالباً، مع أنّنا لا نُنْكِرُ مَنْ يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرهم وبواطنهم[٦].

---

(١) في الأصل: (المتون).

(٢) «المنقذ من الضلال» (١٧٨).

(٣) ابن العربي: أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد المعافريّ الحافظُ، أخذ عن الغزالي والأكفاني والطرطوشي، من كتبه: «أحكام القرآن»، و«المحصول» في أصول الفقه، توفي سنة ٥٤٣هـ. «الديباج المذهب» (٢/ ٢٥٢_٢٥٦).

(٤) نقله السيوطي في «الحاوي» (٢/ ٣١٠)، والآلوسي في «تفسيره» (١١/ ٢١٨) عن ابن العربي في «قانون التأويل»، ولم أجده في المطبوع منه، والله أعلم.

(٥) ابن الحاج: أبو عبد الله، محمد بن محمد العبدريُّ الفارسيُّ، أخذ عن ابن أبي جمرة وتقي الدين الإسعردي، من كتبه: «المدخل»، توفي سنة ٧٣٧هـ. «الدرر الكامنة» (٥/ ٥٠٧_٥٠٨).

(٦) «المدخل» (٣/ ١٩٤).

[قال] البارِزيُّ(١): وقد سُمع من جماعةٍ من الأولياء في زماننا وقبله: أنّهم رأوا النبيَّ ﷺ يقظةً حيّاً بعد وفاته. انتهى(٢).

وتمامُ هذا البحث هناك، مع بيان بعض مَن وقع له ذلك من الأولياء المكرمين رضي الله تعالى عنهم أجمعين(٣).

---

(١) البارزي: شرف الدين، أبو القاسم، هبة الله بن نجم الدين الحمويُّ الشافعي، ولد سنة ٦٤٥هـ، أخذ عن ابن العديم وابن عبد السلام وإبراهيم الأرموي، من كتبه: «التمييز» في الفقه، و«الزبد» في الفقه، توفي سنة ٧٣٨هـ. «الدرر الكامنة» (٦/ ١٦٧ ـ ١٦٩).

(٢) انظر: «الفتاوى الحديثية» (٢١٢).

(٣) وانظر أيضاً (تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك) للإمام السّيوطي ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٢٤٢ ـ ٢٥٥) فإن فيه فوائد كثيرةً جداً.

[الفصلُ الثَّالث:
في السِّحر، وأقسامه، وأحكامه]

قال في «شرح المقاصد»: «السِّحرُ: أمرٌ خارقٌ للعادة من نفسٍ شرِّيرةٍ خبيثةٍ بمباشرةِ أعمالٍ مخصوصةٍ يجري فيها التَّعلُّم والتلمذ، وبهذين الاعتبارين تفارِقُ[1] المعجزةَ والكرامةَ، وبأنّه لا يكون بحسب اقتراح المعترضين، وبأنَّه يختصُّ بالأزمنة أو الأمكنة[2] أو الشَّرائط، وبأنَّه يتصدّى لمعارضته، ويُبذلُ الجهدُ في الإتيان بمثله، وبأنَّ صاحبَه ربَّما يتعلَّق[3] بالفسق، ويتَّصفُ بالرِّجس في الظَّاهر والباطن، والخزي في الدُّنيا والآخرة، إلى غير ذلك من وجوه مفارقةٍ، وهو عند أهل الحقِّ جائزٌ عقلاً، ثابتٌ سمعاً، وكذا الإصابةُ بالعين.

وقالت المعتزلةُ: بل هو مجرَّدُ إراءةِ[4] ما لا حقيقةَ له، بمنزلة الشَّعبذة التي سببُها خفَّةُ حركات اليد، وإخفاء وجه الحيلة فيه»[5]...........................

---

(١) كذا في الأصل والمطبوعة، وفي (شرح المقاصد): (يفارق)، وهو الأوفق لكلمة السحر. والله أعلم.

(٢) في الأصل: (والأمكنة).

(٣) في «شرح المقاصد»: (يعلن).

(٤) في الأصل: (إرادة).

(٥) واحتجّ القائلون بأن السِّحر محض التّمويه بمثل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ =

انتهى[1].

وفي «الفتاوى الحديثية»: وأما الفرقُ بين الكرامة والسِّحر؛ فهو أنَّ الخارقَ الغيرَ [المقترن] بتحدِّي النبوَّة: إن ظهر على يدِ صالحٍ ـ وهو القائمُ بحقوق الله تعالى وحقوق خلقه ـ، فهو الكرامةُ، أو على يد مَن ليس كذلك، فهو السِّحرُ والاستدراجُ.

قال إمامُ الحرمين: وليس ذلك مقتضى العقل، ولكنَّه متلقّىً من إجماع العلماء. انتهى[2].

وتمييزُ الصَّالح المذكور من غيره بيّنٌ لا خفاءَ فيه؛ إذ ليست السِّيماءُ كالسّيماء، ولا الأدبُ كالآداب، وغيرُ الصّالح لو لبَّسَ ما عسى أن يلبِّس؛ لا بُدَّ أن يَرْشَحَ من نَتَن فعله أو قوله ما يميِّزُه عن الصَّالح، ومن ثمة ناظَرَ صوفيٌّ بَرْهمياً، وللبرهميَّةِ قوَّةٌ تُظهِرُ لهم خوارقَ؛ لمزيد الرِّياضات، فطار البرهميُّ في الجوّ، فارتفعت إليه نعلٌ، ولم تزل تضرب رأسه وتصفعه حتى وقع على الأرض منكَّساً على رأسه بين يدي الشَّيخ، والناسُ ينظرون[3].

ثم ذكر عن جماعاتٍ من الأولياء نحوَ ذلك.

وأما حكمُ السِّحر؛ فقد قال في «الإعلام بقواطع الإسلام»:

«ومن المكفِّرات أيضاً: السِّحرُ الذي فيه عبادةُ الشَّمس ونحوها، فإن خَلَا عن

= ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]. قال القاضي: «لو كان السحر حقاً لكانوا قد سحروا قلوبَهم لا أعينَهم، فثبت أنّ المراد أنّهم تخيّلوا أحوالاً عجيبةً مع أنَّ الأمر في الحقيقة ما كان على وفق ما تخيَّلوه». انظر للتفصيل «مفاتيح الغيب» للرازي (١٤/ ٣٣٥).

(١) «شرح المقاصد» (٢/ ٢٠٦).

(٢) انظر: «الإرشاد» (٢٥٦).

(٣) «الفتاوى الحديثية» (٢١٦).

ذلك؛ كان حراماً لا كُفْراً، فهو بمجرَّده لا يكون كفراً ما لم ينضمَّ إليه مكفِّرٌ، ومن ثَمّ قال الماورديُّ[١]: «مذهبُ الشافعيِّ رضي الله عنه: أنّه لا يكفرُ بالسِّحر، ولا يجب به قتلُه، ويُسأَلُ عنه، فإن اعترف عنه بما يوجب كفرَه به؛ [كان كافراً بمعتقَده، لا بسحره، وكذا لو اعتقد إباحةَ السِّحر؛ كان كافراً باعتقاده لا بسحره، فيُقتلُ حينئذٍ بما انضمَّ إلى السِّحر، لا بالسِّحر[٢]»، هذا] مذهبنا.

وأطلق مالكٌ وجماعةٌ سواه الكفرَ على السَّاحر، وأنَّ السِّحرَ كفرٌ، وأنَّ السَّاحرَ يُقتلُ ولا يُستتابُ، سواء سحر مسلماً أو ذِمّياً، كالزِّنديق، لكن قال بعضُ أئمَّة مذهبه: والصَّوابُ: أن لا يُقضَى بهذا حتى يتبيَّن معقولُ السِّحر؛ إذ هو يُطلقُ على معانٍ مختلفةٍ[٣].

ومذهبُ أحمد في السَّاحر أقربُ إلى مذهب مالك فيه»[٤]. انتهى[٥].

---

(١) الماوردي: أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب الماوردي القاضي، أحد الأئمّة الأعلام، أخذ عن ابن المعلى الأزدي وأبي حامد الإسفراييني والحسن بن علي الجبلي، وأخذ عنه الخطيب وابن كادش، من كتبه: «الحاوي الكبير»، و«أدب الدنيا والدين»، توفي سنة ٤٥٠هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ٢٦٧ ـ ٢٨٥).

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» (١٣/ ٩٦).

(٣) انظر: «الذخيرة» (١٢/ ٣٣ ـ ٣٧)، وقال: «هذه المسألة في غاية الإشكال، فإن السحرةَ يعتمدون أشياء تأبى قواعدُ الشريعة تكفيرَهم بها»، ثم ذكر بعضها.

(٤) قال ابن قدامة في «المغني» (١٠/ ١٠٤): «قال أصحابنا: ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته، وروي عن أحمد ما يدل على أنه لا يكفر، فإن حنبلاً روى عنه قال: قال عمي في العراف والكاهن والساحر: أرى أن يُستتاب من هذه الأفاعيل كلها، فإنه عندي في معنى المرتد، فإن تاب وراجع يعني يخلى سبيله، قلت له: يقتل؟ قال: لا، يحبس لعله يرجع، قلت له: لم لا تقتله؟ قال: إذا كان يصلي لعله يتوب ويرجع، وهذا يدل على أنه لم يكفره؛ لأنه لو كفره لقتله، وقوله: «في معنى المرتد» يعني في الاستتابة».

(٥) انظر: «الإعلام» (٧٥ ـ ٧٦).

ثم قال: «وقالت الحنفيَّةُ: إن اعتقد أنَّ الشَّياطينَ تفعل له ما يشاءُ؛ فهو كافرٌ، وإن اعتقد أنّه تخييلٌ وتمويهٌ لم يكفرْ.

وقالت الشَّافعيَّة: يصفه، فإن وجد فيه كفراً، كالتقرُّب للكواكب، ويعتقد أنّها تفعلُ ما يلتمسُ منها؛ فهو كفرٌ، وإن لم نجدْ فيه كفراً، فإن اعتقد إباحتَه؛ فهو كفرٌ.

قال الطَّرسوسيُّ[(١)]: وهذا متَّفقٌ عليه؛ لأنَّ القرآنَ نطق بتحريمه». انتهى[(٢)].

وقال العلامةُ المحقِّقُ ابنُ الهمام في «فتح القدير»: ويجب أن لا يُعْدَلَ عن مذهب الشافعيِّ في كفر السَّاحر وعدمه، وأما قتلُه؛ فيجبُ ولا يُستتابُ إذا عُرِفَتْ مزاولتُه لعمل السِّحْر؛ لسعيه بالفساد في الأرض، لا بمجرَّد عمله إذا لم يكن في اعتقاده ما يوجبُ كفرَه. انتهى[(٣)].

وفي «مختارات النوازل» لصاحب «الهداية»: «ساحرٌ يسحرُ ويدَّعي الخَلْقَ من نفسه؛ يكفُرُ ويُقتلُ لردَّته، وساحرٌ يسحرُ وهو جاحدٌ؛ لا يُستتابُ منه، ويُقتلُ إذا ثبت سحرُه؛ دفعاً للضَّرر عن النَّاس، وساحرٌ يسحرُ تجربةً، ولا [يعتقدُ به؛ لا يكفرُ، والمراد من السَّاحر: غيرُ المشعوذ، ولا صاحبُ الطّلسم، ولا الذي] يعتقدُ الإسلامَ، والسِّحرُ في نفسه حقٌّ أمرٌ كائنٌ، إلا أنّه لا يصلح إلا للشرّ والضَّرَر بالخلق، والوسيلةُ إلى الشَّرِّ شرٌّ، فيصير مذموماً». انتهى[(٤)].

وقال قاضي خان[(٥)]: اتَّخذَ لعبةً ليفرِّقَ بين المرء وزوجه، قالوا: هو مرتدٌّ،

---

(١) في (الإعلام): (الطرطوشي).

(٢) انظر: «الإعلام» (٢٢٤).

(٣) «فتح القدير» (٦/ ٩٩).

(٤) «مختارات النوازل» (ق٤٦/ ب).

(٥) قاضي خان: فخر الدين، الحسن بن منصور الأوزجنديُّ الفرغانيُّ، أخذ عن أبي إسحاق =

ويُقتَلُ إذا كان يعتقدُ لها أثراً، ويعتقد التَّفريق من اللُّعبة؛ لأنَّه كافرٌ. انتهى(١).

والحاصلُ: إنَّ نفسَ السِّحر ليس كفراً عند الحنفيَّة كالشافعيَّة، بل لا يكفرُ صاحبُه به ما لم يقترن بمكفِّرٍ، ولذا نقل في «تبيين المحارم» عن إمام الهدى أبي منصور الماتريديِّ(٢): «أنَّ القولَ بأنَّ السِّحر كفرٌ على الإطلاق خطأٌ، ويجب البحثُ عن حقيقته، فإن كان في ذلك ردُّ ما لَزِمَ في شرط الايمان؛ فهو كفرٌ، وإلا؛ فلا». انتهى(٣).

نعم، يُقتلُ حدّاً؛ لإضراره بالنَّاس، كقطّاع(٤) الطريق، وإن لم يعتقدْ ما يوجب كفرَهُ، فلو اقترنَ به ما يوجِبُ كفرَه، كاعتقاده التَّأثيرَ بنفسه، أو تأثيرَ الكواكب أو الشَّياطين؛ فإنّه يكون كافراً، فيُقتلُ لإضراره وكفره، لكن إذا تاب السَّاحرُ قبل أن يؤخذَ؛ تُقبلُ توبتُهُ ولا يُقتلُ، وإن أُخِذَ ثم تاب؛ لم تُقبلْ توبتُه ويُقتلُ، وكذا الزِّنديقُ المعروفُ الدَّاعي، والفتوى على هذا القول كما في «البحر» عن الفقيه أبي اللَّيْث(٥).

= الصفاري وظهير الدين ونظام الدين والمرغينانيان، أخذ عنه شمس الأئمة الكردري والحصيري، من كتبه: «الفتاوى»، و«شرح أدب القاضي»، توفي سنة ٥٩٢هـ. «الجواهر المضية» (١/ ٢٠٥)، و«تاج التراجم» (١٥١ ـ ١٥٢).

(١) انظر: (فتاوى قاضي خان ٣/ ٢٦٣).

(٢) الماتريدي: إمام الهدى، أبو منصور، محمد بن محمد الماتريدي، إمام أهل السنَّة، أخذ عن أبي نصر العياضي. من كتبه: «التوحيد»، و«المقالات»، توفي سنة ٣٣٣هـ. «الجواهر المضية» (٢/ ١٣٠)، و«تاج التراجم» (٢٤٩ ـ ٢٥٠).

(٣) «تبيين المحارم» (ق١٦/ ب).

(٤) في المطبوعة: (كقطع).

(٥) «البحر الرائق» (٥/ ١٣٦).

[استشكال بعض الشافعية تكفيرَ معتقد تأثير الكواكب وتحْليلُه]

ثم اعلم أنَّ بعضَ أئمَّة الشَّافعيَّة استشكل تكفيرَ السَّاحر الذي يعتقدُ أنَّ الكواكبَ تفعلُ ذلك، أو أنَّ الشَّياطين تقدره لا بقدرة الله تعالى: بأنَّ هذا مذهبُ المعتزلة [من استقلال الحيوانات بقدرتها، لا بقدرة الله تعالى، فكما لا نكفِّرُ المعتزلةَ] بذلك؛ لا نكفِّرُ هؤلاء.

ومنهم من أجاب: بأنَّ الكواكبَ مَظِنَّةُ العبادة، فإذا انضمَّ إلى ذلك اعتقادُ القدرة والتَّأثير؛ كان كُفْراً.

واعترض: بأنَّ تأثيرَ الحيوان بالضّرّ والنَّفع في العادة مشاهَدٌ[1]، وأما كونُ المشتري أو زُحَل يوجِبُ شقاوةً أو سعادةً؛ فهو حزْرٌ[2] وتخمينٌ. انتهى.

أقول: الذي يظهر لي في الجواب عن هذا الإشكال: هو أنَّا إنّما لم نكفِّر المعتزلةَ بذلك؛ لأنَّهم بنوه على شبهةِ دليلٍ، وإن أخطؤوا فيه، فقالوا: إنَّ العبدَ يخلق أفعالَه؛ تباعُداً عن نسبة الشُّرور والقبائح إلى الله تعالى، زعماً منهم [أنَّ] خلقَها قبيحٌ، فقولهم بذلك زيادةٌ في التَّنزيه والتَّوحيد على زعمهم، وكذا بقيَّةُ أهل الأهواء من أهل القبلة،

---

(١) في المطبوعة: (مشاهدة).

(٢) في الأصل: (ضرر).

فإنَّ المعتمَدَ في مذاهب الأئمَّة عدمُ تكفيرهم لنحو ما قلنا، ولذا أنكر سيدنا عليٌّ ـ كرم الله وجهه ـ على من كفَّر الخوارج بقوله: «من الكفر فَرُّوا»[١].

والحاصلُ: إنَّ أهلَ الأهواء إنّما قصدوا تصحيحَ عقيدتهم، وتنزيهَ ربِّهم تعالى بما زعموه، أما السَّاحرُ الذي يعتقد تأثيرَ الأفلاك والشَّياطين؛ فهو طاعنٌ في العقائد الإسلاميَّة كلِّها، منكرٌ للتَّوحيد بإثبات التَّأثير والإيجاد والإبداع لغير الله تعالى [على] قواعد الحكماء والفلاسفة والطَّبائعيين[٢]، ولو سُلِّمَ أنّه لم يقصدْ ذلك، فليس بانياً اعتقادَه على دليلٍ شرعيٍّ ليكون شبهةً له تنفي تكفيرَه كما نفت[٣] التَّكفير عن أهل الأهواء؛ لأنّه غيرُ ساعٍ في تصحيح العقيدة والتَّنزيه، بل هو ـ كما تقدَّم ـ ذو نفسٍ شرِيرةٍ خبيثةٍ، ساعٍ في الإضرار والإفساد، [و]الغالبُ أنّه ليس له في الإسلام اعتقادٌ، فلذا أطلق العلماءُ القول بكفره وقتله. والله وليُّ الإرشاد، والتَّوفيق والسَّداد.

تنبيهٌ: قد عُلِمَ بما قرَّرنا أنَّ السِّحرَ لا يلزم أن يكون كفراً ما لم يقترن بمكفِّرٍ من قولٍ أو فعلٍ أو اعتقادٍ.

وفي «حاشية الإيضاح» لبيري زاده: قال الشُّمُني[٤]: تعلُّمُه وتعليمُه حرامٌ. أقول: مقتضى الإطلاق: ولو تعلَّم لدفع الضَّرر عن المسلمين.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢١/ ٤١٤، رقم: ١٨٦٥٦)، ورواه أيضاً ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠/ ١٥٠)، (رقم: ٣٧٨٤٨).

(٢) في المطبوعة: (والطبائعين).

(٣) في المطبوعة: (نفيت).

(٤) الشُّمُنيّ: تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد التميميُّ الداريُّ الشمنيُّ، ولد سنة ٨٠١هـ، أخذ عن الولي العراقي والهيثمي وابن ظهيرة، أخذ عنه السخاويّ، من كتبه: «مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا»، و«كمال الدراية في شرح النقاية»، توفي سنة ٨٧٢هـ. «الضوء اللامع» (١٧٤ ـ ١٧٨).

وفي «شرح الزّعفراني»: السِّحرُ حقٌّ عندنا وجودُه وتصوُّرُه وأثرُه.

وفي «ذخيرة الناظر»: تعلُّمُه فرضٌ لردِّ ساحر أهل الحرب، وحرامٌ ليفرّق بين المرأة وزوجها، وجائزٌ ليوفِّق بينهما. انتهى[١]. كذا في «شرح ابن عبد الرزاق على الدر المختار».

أقول: وقد ذكرتُ في حاشيتي التي سمَّيْتُها «ردَّ المحتار[٢] على الدر المختار»: أنَّ في الأخير نظراً؛ لِمَا ورد في الحديث من النَّهي عن التِّوَلَة ـ بوزن «عِنَبة» ـ، وهي ما يُفعلُ ليحبّب[٣] المرأةَ إلى زوجها، وقد نصَّ قاضي خان على حرمتها[٤]، وعلَّله ابنُ وهبان[٥]: بأنّه ضربٌ من السِّحر[٦].

قال ابنُ الشِّحنة[٧]: ومقتضاه: أنّه ليس مجرَّد كتابةِ آياتٍ، بل فيه شيءٌ زائدٌ». انتهى[٨].

وفي «الزواجر عن اقتراف الكبائر»[٩]: ثم السِّحرُ على أقسام:

---

(١) انظر: «ذخيرة الناظر» (١٢١/ ب).

(٢) في المطبوعة: (المختار).

(٣) في المطبوعة: (ليحب).

(٤) انظر: «فتاوى قاضي خان» (٣/ ٢٦١) نقلاً عن «الجامع الصغير».

(٥) ابن وهبان: عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي الحنفي، أخذ عن الصدر بن منصور وابن الفصيح وأبي العباس العتابي، من كتبه: «منظومة رائية في فروع الحنفية»، و«شرح درر البحار»، توفي سنة ٧٦٨هـ. «الدرر الكامنة» (٣/ ٢٣٠)، و«تاج التراجم» (١٩٨ ـ ١٩٩).

(٦) انظر: «عقد القلائد» (ق١٣٥/ آ).

(٧) انظر: «شرح المنظومة الوهبانية» (ق١٥٤ب).

(٨) انظر: «رد المحتار» (١/ ٤٤).

(٩) انظر: «الزواجر» (٢/ ١٦٤ ـ ١٦٥).

أوَّلُها: سحرُ عَبَدة الكواكب، وهم ثلاثُ فِرَقٍ:

الأولى: الذين يزعمون أنَّ الأفلاكَ والكواكبَ واجبةُ الوجود لذواتها، وأنّها غنيَّةٌ عن مُوجِدٍ[١] ومدبِّرٍ، وهي المدبِّرةُ لعالم الكون والفساد، وهم الصَّابئةُ[٢] الدَّهريَّةُ.

والثَّانية: القائلون بإلهيَّة الأفلاك، زاعمون أنّها هي المؤثِّرةُ للحوادث باستدارتها وتحرُّكها، فعبدوها، وعظَّموها، واتخذوا لكلِّ واحدٍ منها هيكلاً مخصوصاً، وصنماً معيَّناً، واشتغلوا بخدمتها، وهذا دينُ عَبَدة الأصنام والأوثان.

والثّالثة[٣]: أثبتوا لهذه النُّجوم والأفلاك فاعلاً مختاراً أَوْجَدها بعد العَدَم، إلا أنّه تعالى أعطاها قوَّةً غالبةً نافذةً في هذا العالم، وفوَّضَ تدبيرَه إليها.

النَّوعُ الثَّاني: سحرُ أصحاب [أهل] الأوهام والنُّفوس القويَّة، أي: الذين يزعمون أنَّ الإنسانَ تبلغ روحُه بالتَّصفية في القوَّة والتَّأثير إلى حيث يقدرُ على الإيجاد والإعدام، والإحياء والإماتة، وتغيير البنية والشَّكل.

الثَّالثُ: الاستعانةُ بالأرواح الأرضيَّة، أي: المسمّى بالعزائم وتسخير الجنِّ.

الرَّابعُ: التَّخيُّلاتُ والأخذُ بالعيون.

الخامسُ: الأعمالُ العجيبةُ التي تظهر من تركيب الآلات على النِّسَب الهندسيَّة، مثل: صورة فرسٍ في يده بوقٌ، إذا مضت ساعةٌ من النَّهار صوَّت البوقُ من غير أن يمسَّه أحدٌ.

السادسُ: الاستعانةُ بخواصِّ الأدوية المبلّدة والمزيل للعقل ونحوها.

---

(١) في المطبوعة: (موجود).

(٢) في المطبوعة: (الصابئية).

(٣) في المطبوعة: (والثانية).

السَّابعُ: تعليقُ القلب، وهو أن يدَّعي إنسانٌ أنّه يعرف الاسمَ الأعظمَ، وأنَّ الجنَّ تطيعُه وينقادون له، فإذا كان السَّامعُ ضعيفَ العقل قليلَ التَّمييز؛ اعتقد أنّه حقٌّ، وتعلَّقَ قلبُه بذلك، وحصل في نفسه نوعٌ من الرُّعب والخوف، فحينئذٍ يتمكَّنُ السَّاحرُ من أن يفعل فيه ما شاء.

وأنكر المعتزلةُ الأنواعَ الثَّلاثةَ الأُوَل، قيل: ولعلَّهم كفَّروا من قال بها وبوجودها، وأما أهلُ السُّنَّة؛ فجوَّزوا الكلَّ، وقدرةَ السَّاحر على أن يطير في الهواء، وأن يقلبَ الإنسانَ حماراً، والحمارَ إنساناً، وغير ذلك من أنواع الشَّعوذة، إلا أنَّهم قالوا: إنَّ الله تعالى هو الخالقُ لهذه الأشياء عند إلقاء السَّاحر كلماته المعيَّنة، ويدلُّ على ذلك قولُه تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢][(١)].

واختلف العلماءُ في السَّاحر: هل يكفرُ أو لا؟ وليس من محلِّ الخلاف النَّوعان الأوَّلان من أنواع السِّحر السَّبعة[(٢)]؛ إذ لا نزاعَ في كفر من اعتقد أنَّ الكواكبَ مؤثِّرةٌ لهذا العالم، أو أنَّ الإنسانَ يصل بالتَّصفية إلى أن تصير نفسُه مؤثِّرةً في إيجاد جسمٍ أو حياته، أو تغييرِ شكلٍ.

وأما النَّوعُ الثَّالثُ ـ وهو أن يعتقد السَّاحرُ أنَّه بلغ في التَّصفية وقراءة الرُّقَى وتدخين بعض الأدوية إلى أنَّ الجنَّ تُطيعُه في تغيير البنية والشَّكل ـ؛ فالمعتزلةُ كفَّروه[(٣)] دون غيرهم.

وأما بقيَّةُ أنواعه؛ فقال جماعةٌ: إنّها كفرٌ مطلقاً؛ لأنَّ اليهودَ لَمّا أضافوا السِّحرَ

---

(١) «الزواجر»: ٢/ ١٦٦.

(٢) في (الزواجر): (السابقة).

(٣) في (الزواجر): (يقرونه)، وهو خطأ.

إلـى سـليمان ـ صلـى الله على نبينا وعليه وسـلم ـ قال تعالى تنزيهـاً عنه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢]، فظاهرُ هـذا: أنّهـم كفـروا بتعليمهـم السِّـحرَ؛ لأنَّ ترتيـبَ الحكـم علـى الوصف المناسـب يُشـعرُ بعلِّيَّتـه، وتعليـمُ مـا لا يكون كفـراً لا يوجـب الكفرَ، وهـذا يقتضي أنَّ السـحرَ علـى الإطلاق كفرٌ.

وأجاب القائلون بعدم الكفر ـ كالشَّافعيّ وأصحابه ـ: بأنَّ حكايةَ الحال يكفي في صدقها صورةٌ واحدةٌ، فيُحملُ على سحرِ مَن اعتقد إلهيّة النُّجوم، وأيضاً فلا نسلِّمُ أنَّ ذلك فيه ترتيبُ حكمٍ على وصفٍ يقتضي إشعارَه بالعِلِّيَّة؛ لأنَّ المعنى: إنّهم كفروا وهم مع ذلك يعلِّمون السِّحرَ». انتهى ما في «الزواجر»[(١)] ملخَّصاً.

ثم ذكر[(٢)] أنَّ النَّوعَ الثَّالثَ وما بعده: «إن اعتقد أنَّ فعلَه مباحٌ؛ قُتِلَ لكفره؛ لأنَّ[(٣)] تحليلَ المحرَّم المجمع على تحريمه المعلوم من الدِّين بالضَّرورة كفرٌ، وإن اعتقد أنّه حرامٌ، فعند الشَّافعيِّ: إنّه جنايةٌ، وعند أبي حنيفة: إنَّ السَّاحرَ يُقتلُ مطلقاً؛ لسعيه في الأرض بالفساد». انتهى[(٤)].

وقـد ذكر هذه الأقسـامَ العلامةُ المحقِّقُ المفتي أبو السّـعود أفنـدي العماديّ[(٥)]

---

(١) «الزواجر» (٢/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

(٢) في المطبوعة: (ذكره).

(٣) في المطبوعة: (لا).

(٤) «الزواجر» (٢/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

(٥) أبو السعود: محمد بن محمد العماديّ الحنفي، شيخ الإسلام، أخذ عن قادري جلبي، من كتبه: «إرشاد العقل السليم»، و«حسم الخلاف في المسح على الخفاف»، توفي سنة ٩٨٢هـ. «الكواكب السائرة» (٣/ ٣١ ـ ٣٣).

في تفسيره، وفصَّل في النَّوع الثَّالث الذي خالف فيه المعتزلةُ تفصيلاً حسناً وفَّق به بين القولين، حيث قال:

«ولعلَّ التَّحقيقَ: أنَّ ذلك الإنسانَ إن كان خَيِّراً متشرِّعاً في كلِّ ما يأتي ويذرُ، وكان من يستعين به من الأرواح الخَيِّرة، وكانت عزائمُه ورُقَاه غيرَ مخالفةٍ للأحكام الشَّريفة الشَّرعية، ولم يكن فيما ظهر بيده من الخوارق ضررٌ شرعيٌّ لأحدٍ؛ فليس ذلك من قبيل السِّحر. وإن كان شِرِّيراً غيرَ متمسِّكٍ بالشَّريعة الشَّريفة؛ فظاهرٌ أنَّ من يستعينُ به من الأرواح الخبيثة الشِّرِّيرة لا محالةَ، ضرورةَ امتناع تحقُّق التَّضامِّ والتَّعاون بينهما من غير اشتراكٍ في الخُبْث والشَّرارة، فيكون كافراً قطعاً». انتهى[١].

والحاصلُ: أنَّ السِّحرَ حرامٌ مطلقاً بأنواعه، وأنَّ القولَ بأنَّه كفرٌ مطلقاً خطأٌ ما لم يتضمَّن اعتقاداً مكفِّراً، كما مرَّ عن إمام الهدى الماتريديِّ، وعن «فتح القدير» وغيره.

ومثلُه ما قاله الإمامُ القَرافيُّ[٢] من الأئمَّة المالكيَّة: إنَّ السَّحرةَ يعتمدون أشياءَ تأبى قواعدُ الشَّريعة[٣] أن نكفِّرَهم بها، كجمع عقاقير يجعلونها في الأنهار والآبار، أو في قبور الموتى، أو في بابٍ يفتح إلى الشَّرق، ويعتقدون أنَّ الآثارَ تحدثُ عن تلك الأمور بخواصِّ نفوسهم التي طبعها اللهُ تعالى على الرَّبط بينها وبين تلك الآثار عند صدق العزم، فلا يمكننا تكفيرُهم[٤] بذلك؛ لأنَّهم جرَّبوا ذلك، فوجدوه لا يحرم عليهم

---

(١) «إرشاد العقل السليم» (١/ ١٣٧).

(٢) القرافي: شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن إدريس الصنهاجيُّ المصريُّ، أخذ عن العز ابن عبد السلام والشريف الكوكي وأبي بكر المقدسي، من كتبه: «الذخيرة» في الفقه، و«الفروق»، توفي سنة ٦٨٤هـ. «الديباج المذهب» (١/ ٣٣٦ـ٣٣٩).

(٣) في المطبوعة: (قواعد الشرعية).

(٤) في الأصل والمطبوعة: (نكفرهم).

لأجل خواصّ نفوسهم، فكان ذلك كاعتقاد الأطبَّاء عند شرب الأدوية، وخواصُّ النُّفوس لا يمكن التَّكفيرُ بها؛ لأنّها ليست من كسبهم، ولا كُفْرَ بغير مكتسبٍ.

وأما اعتقادُهم أنَّ الكواكبَ تفعل ذلك بقدرة الله تعالى؛ فهذا خطأٌ؛ [لأنَّها] لا تفعل ذلك، وإنّما جاءت الآثارُ من خواصِّ نفوسهم التي ربط الله تعالى بها تلك الآثارَ عند ذلك [الاعتقاد].

والذي لا مِرْيَةَ في أنّه كفرٌ: اعتقادُ أنَّ الكواكبَ مستقلَّةٌ بنفسها، لا تحتاج إلى الله تعالى، فهذا مذهبُ الصَّابئة، وهو كفرٌ صراحٌ. انتهى ملخَّصاً[1].

تنبيهٌ: قد ظهر لك بما قرَّرناه، ونقلناه عن الأئمَّة وحررناه، بطلانُ ما زعمه ذلك الحاسدُ المعاندُ من إطلاقه القولَ بتكفير السَّاحر، وجزمه بأنَّ تسخيرَ الجنِّ والعفاريت موجِبٌ للكفر، فإنّك قد علمتَ من كلام إمام الهُدَى وغيره: أنَّ تكفيرَ السَّاحر مطلقاً خطأٌ، ما لم يكن فيه ردٌّ لِمَا لزم في شرط الإيمان، وحينئذٍ فإذا ثبت على شخصٍ ادِّعاؤه تسخيرَ الجنِّ؛ يُسأَلُ عن حقيقته، فإن فَسَّرَ ذلك بما فيه كفرٌ من قولٍ أو فعلٍ أو اعتقادٍ؛ نحكمُ بكفره، وإلا؛ فلا يكون كافراً إلا على قول المعتزلة كما عَلِمْتَه من كلام «الزواجر» في بيان حكم النَّوع الثَّالث من الأنواع السَّبعة، وعلمتَ التَّوفيق.

ومثلُ هذا يقال في دعوى رَبْط الجانِّ والعفاريت، وقتلهم، فإنّه ليس بكفرٍ ما لم يقترنْ بمكفِّرٍ، وقد مر في كلام «الأشباه والنظائر»: أنّه لا يجوز قتلُ الجنيِّ بغير حقٍّ كالإنسيِّ[2]، وهذا صريحٌ في أنّه يمكن قتلُ الجنيِّ، وأنَّ قتلَه بحقٍّ جائزٌ شرعاً، فقولُ ذلك الحاسد: إنَّ ذلك موجبٌ للكفر بلا مِرْية، هو كذبٌ وفِرْيةٌ؛ لأنه لا يكون كفراً ما لم يقترن بمكفِّرٍ كما قرَّرناه.

---

(١) «الفروق» (٤/ ١٥٤ ـ ١٦٢).

(٢) «الأشباه والنظائر» (٢٨٣).

ومن الخطأ أيضاً قولُه: إنَّ ذلك متضمِّنٌ لادِّعاء ما هو خاصٌّ بنبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ للآية، وفيه ادِّعاءُ الاستعلاء على الأنبياء عليهم الصَّلاةُ والسلامُ، لا سيّما نبينا ﷺ حيث قال: «**إِنَّ عِفْرِيتاً مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ**[١] **عَلَيَّ البَارِحَةَ؛ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، فَأَمْكَنَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْهُ، فَأَخَذْتُهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ:** ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [سورة ص: ٣٥]، **فَرَدَدْتُهُ خَاسِئاً**» متفق عليه[٢]، كذا في «المشكاة»[٣].

قال في «الفتح»: وفيه إشارةٌ إلى ـ أنّه صلى الله تعالى عليه وسلم ـ كان يقدرُ على ذلك، إلا أنّه تركه رعايةً لسليمان عليه السلام، ويحتمل أن تكون خصوصيَّةُ سليمان استخدامَ الجنِّ في جميع ما يريده، لا في هذا القدر فقط. انتهى[٤].

فإنّه على الاحتمال الأخير لا يكون رَبْط العفريت خاصّاً بسليمان عليه السلام، وإنّما تركه ﷺ تأدُّباً مع سليمان عليه السلام؛ لكونه من جنس معجزته المختصَّة به من تسخير الشَّياطين له فيما يشاء[٥].

---

(١) في الأصل والمطبوعة: (نقلت).

(٢) رواه البخاري (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: «وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ»، رقم: ٣٢٤١)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة، رقم: ٥٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٣) انظر: «مشكاة المصابيح» (١/ ٣١٢).

(٤) «فتح الباري» (٦/ ٤٥٩).

(٥) قال القاضي محمد ثناء الله المظهري: «ويمكن أنه أراد به لا ينبغي لأحد من بعدي في المرتبة، قال ذلك شفقةً على الناس، يعني من كان مثلي في انقطاع التعلقات عن الخلق، واشتغال قلبه بحب الله ومعرفته لا يضره ولا يشغله عن الله شيء، فكان له الدنيا وسيلة =

وإرادتُه عليه الصلاة والسلام أوّلاً لربطه، ثم عدولُه عن ذلك دليلٌ على أنَّ ذلك ممكنٌ، وأنّه غيرُ مكفِّرٍ، وحاشاه ﷺ أن يهمَّ بما فيه كفرٌ ولو نسياناً، بل من اعتقد فيه ذلك؛ فهو كافرٌ.

فقولُ هذا الحاسد المعاند: إنَّ ادِّعاءَ ذلك مستلزمٌ لإنكار النصِّ الموجب للكفر اتِّفاقاً كلامٌ باطلٌ يُخشى عليه من الوقوع في الكفر؛ لاستلزامه الطَّعنَ في جناب نبيّنا ﷺ، نعوذ بالله من علمٍ لا ينفعُ، ومن حَسَدٍ يُعمي ويُصِمُّ حتى يوقعَ صاحبَه في مثل هذا المَهْيَع.

على أنَّ الآيةَ فيها احتمالاتٌ ذكرها المفسِّرون، ففي تفسير القاضي والمفتي: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ [سورة ص ٣٥] لا يتسهَّلُ له، ولا يكونُ؛ ليكون معجزةً لي مناسبةً لحالي، أو لا ينبغي لأحدٍ أن يسلبَه منّي بعد هذه السَّلبة، أو لا يصحُّ لأحدٍ من بعدي لعظمته، كقولك: «لفلانٍ ما ليس لأحدٍ من الفضل والمال»، على إرادة وصف الملك بالعظمة، لا أن لا يعطى أحدٌ مثله، فيكون منافسةً. انتهى(١).

= لكسب الحسنات، ومن لم يكن كذلك كانت الدنيا له شاغلا عن الله، فكانت له سمّا قاتلا.

فإن قيل: الحديث يأبى عمّا قلت، فإن النبي ﷺ كان أعلى مرتبة من سليمان ولم يكن يعط ملكا مثله، ولذلك لم يربط العفريت بالسارية.

قلنا: نعم، إنه ﷺ كان أعلى مرتبة من سليمان، ولكن لا نسلِّم أنه لم يُعطَ مُلكا مثله لأجل دعائه، بل الله سبحانه خيّره بين أن يكون نبيّا ملكا أو يكون نبيا عبدا، فاختار كونه نبيّا عبدا؛ لكون الفقر أفضل عنده، ودلّ هذا الحديث أيضاً على أن الله تعالى مكنه على العفريت أن يربطه بالسارية، لكنه ﷺ لم يربط باختياره؛ حياءً من سليمان عليه السلام، وكان النبي ﷺ نافذا حكمه على الجن والانس». «تفسير المظهري» (٨/ ١٨١).

(١) انظر: «أنوار التنزيل للقاضي البيضاوي» (٥/ ٣٠)، و«إرشاد العقل السليم» للمفتي =

زاد المفتي أبو السُّعود: وقيل: كان مَلِكاً عظيماً، فخاف أن يعطى مثلَه أحدٌ، فلا يحافظَ على حدود الله تعالى. انتهى[١].

فقولُه: «من بعدي» على الوجه الثَّاني بمعنى: غيري ممن هو في عصري، فإنَّ سليمان ـ عليه السلام ـ قد كان سُلِبَ منه ملكُه مرَّةً، فإنّه كان ملكُه في خاتمه، وكانت له أمُّ ولدٍ اسمها: أمينة، وكان إذا دخل عليها للطَّهارة أعطاها الخاتمَ، فأعطاها يوماً، فتمثَّل لها بصورته شيطانٌ اسمه: صَخْر، وأخذ الخاتمَ، فتختَّم به، وجلس على كُرْسِيِّه، فاجتمع عليه الخلقُ، ونفذ حكمُه في كلِّ شيءٍ، إلا فيه وفي نسائه... إلى آخر القصَّة[٢].

فمعنى الآية على هذا الوجه: الدُّعاءُ بعدم سلب ملكه عنه في حياته بعد هذه السَّلبة.

ولا يخفى أنّه على هذا لا يمتنع وقوعُ مثله لغيره بعده، وكذا على الوجه الثَّالث، وهو قولُه: «ولا يصحُّ لأحدٍ من بعدي لعظمته»، فإنَّ قوله: «من بعدي» بمعنى: غيري أيضاً، ولكنَّه مطلقٌ، لا يختصُّ بعصره، وهو كنايةٌ عن عظمته، سواءٌ كان لغيره أم لا، فإنَّ الكنايةَ لا تنافي إرادةَ الحقيقة وعدمها[٣]، ومثلُه: «لفلانٍ ما ليس لأحدٍ من كذا»، وربَّما كان في الناس أمثالُه؛ إذ المرادُ: إنَّ له

= أبي السعود (٧/ ٢٢٧).

(١) «إرشاد العقل السليم» (٧/ ٢٢٧).

(٢) انظر: «جامع البيان» للطبري (٢١/ ١٩٦)، و«الكشف والبيان عن تفسير القرآن» للثعلبي (٨/ ٢٠٣)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٥٠٥)، و«اللباب في علوم الكتاب» لابن عادل الدمشقي (١٦/ ٤٢٠)، و«غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري» (٥/ ٥٩٥).

(٣) انظر «روح المعاني» للآلوسي (١٢/ ١٩٢).

حظّاً عظيماً وسهماً جسيماً كما أوضحه في «الكشاف»[١].

ومعنى الآية على هذا الوجه: الدُّعاءُ بأن يهب له ملكاً عظيماً، لا أن لا يعطى أحدٌ مثله حتى يكون منافسةً في الدُّنيا ـ أي: بُخْلاً ـ، وتقديماً لنفسه على من سواه شرهاً على الدُّنيا كما طعن به بعضُ الملحدين على سليمان عليه السلام.

والوجهُ الرَّابعُ الذي زاده[٢] المفتي أبو السُّعود هو بمعنى الوجه الأوَّل، والفرقُ بينهما: هو أنَّه على الأوَّل إنّما طلب أن لا يسهل لغيره مطلقاً؛ لأنَّه إنَّما كان من بيت النبوَّة والملك، وكان زمن الجبَّارين، وتفاخرُهم بالملك، ومعجزةُ كلِّ نبيٍّ من جنس ما اشتهر في عصره، كما غلب في عهد الكليم السِّحرُ، فجاءهم بما يتلقَّفُ ما أتوا به، وفي عهد المسيح الحكمةُ والطبُّ، فجاءهم بإحياء الموتى، وفي عهد خاتم الرُّسل ﷺ الفصاحةُ، فجاءهم بما أعجزهم[٣] من معارضة أقصر سُورة، فطلب سليمانُ ذلك لإعجاز أهل عصره ليُطِيعوه إلى دعوة الإيمان، لا طلباً للمفاخرة بأمور الدُّنيا كما زعمه بعضُ الملحدين.

وعلى الوجه الرَّابع: إنّما طلب عدم تسهُّله لغيره؛ خوفاً على الغير من عدم محافظته على حدوده، لكن على هذا الوجه يتعيَّن كونُ المراد من قوله: «من بعدي»: لغيري في حياتي وبعد موتي، أما على الوجه الأوَّل؛ فلا؛ لأنَّ إعجازَ أهل عصره لا ينافي تسهُّلَ مثله لمن بعد موته، نعم، إذا لم يتسهَّلْ لمن بعد موته؛ يكون أبلغَ في الإعجاز كما في إعجاز القرآن، هذا ما ظهر لي.

---

(١) «الكشاف» (٤/ ٩٥).

(٢) في الأصل: (رآه).

(٣) في المطبوعة: (عجزهم).

ثم لا يخفى أنَّ ملكَ سليمان ـ عليه السلام ـ الذي طلبه لم يكن خصوصَ ربط العفاريت، بل ذلك من بعض جزئيَّاته المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [سورة ص: ٣٨]، ولا شكَّ أنَّ تصرُّفَه في الجنِّ والشَّياطين بما أراد لم يقع لغيره، وأما تسخيرُ بعض الجنّ في بعض أمورٍ خاصَّةٍ؛ فهو أمرٌ ممكنٌ، ليس فيه مشاركةٌ لسليمان ـ عليه السلام ـ في ملكه الذي هو أعمُّ وأشملُ من ذلك بيقينٍ، ولذا أخذ نبيُّنا ﷺ ذلك العفريتَ كما قال: «فأمكنني اللهُ منه، فأخذته»، فإنَّ أخذَه له تصرُّفٌ في الجنس[١] بنوعٍ ما، فلو كان ذلك مشاركةً لسليمان، لَمَا أخذه.

وأما قوله: «فأردت أن أربطه... إلخ»؛ ففيه دليلٌ على أنّه [كان] قادراً على ذلك كما قدَّمناه، وأنّه أمرٌ ممكنٌ جائزٌ، ولكن تركه تأدُّباً[٢] لدعوة سليمان عليه السلام، كما قال عليه الصُّلاةُ والسَّلامُ: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى»[٣]، مع أنّه ﷺ

---

(١) في المطبوعة: (الجن).

(٢) في المطبوعة: (تأدياً).

(٣) قال السيوطي: «لم أقف عليه بهذا اللفظ». «مناهل الصفا» (٧٥).

روى البخاري (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: «وإن يونس لمن المرسلين»، رقم: ٣٤١٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

وروى البخاري (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى «وهل أتاك حديث موسى»، رقم: ٣٢١٥)، ومسلم (كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام وقول النبي ﷺ... رقم: ٢٣٧٧) من حديث ابن عباس مرفوعاً: «لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى».

ورواه البخاري أيضاً (كتاب التفسير، سورة الصافات، رقم: ٤٥٢٧) بلفظ «مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وروى أبو داود (كتاب السّنة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، رقم: ٤٦٦٩) من حديث عبد الله بن جعفر مرفوعاً: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

أفضلُ الخلائق أجمعين(١)، ولو كان ذلك منازعةً لسليمان في ملكه المختصِّ به؛ لَمَا قصده ﷺ، فعُلِمَ أنَّ وقوعَ ذلك جائزٌ لا ينافي الاختصاصَ بما هو أعمُّ منه، ألا ترى أنَّ حضرة مولانا السُّلطان أعزّه الله تعالى قد اختصَّ بما خصَّه الله تعالى من الملك العظيم، والتَّصرُّف التامِّ في مملكته، ومع هذا لا يُنافي وقوعَ التَّصرُّف لبعض رعيَّته في بعض ما خوَّلهم الله تعالى؛ لأنّهم وإن كان لهم قدرةُ التَّصرُّف في شيءٍ من ذلك، لكنَّ تصرُّفَ حضرة السُّلطان أعمُّ وأشملُ، فلا يُنافي اختصاصَه بالتَّصرُّف في الكلِّ، وحينئذٍ فلا منافاةَ بين ما في الآية والحديث.

وقد ظهر لك بما قرَّرناه وحررناه: أنَّ الآيَةَ لا تقتضي أنَّه لا يمكن لأحدٍ أن يتصرَّفَ نوعَ تصرُّفٍ في الجانِ، وأنَّ من قال: إنَّ اعتقادَ الجواز كفرٌ؛ فهو مفترٍ على الشَّرع المصان، بل لو ادَّعى مُدَّعٍ أنَّ له في الجانِّ التَّصرُّفَ التَّامَّ كتصرُّف سليمان عليه السلام؛ لم يجز الجزمُ بكفره؛ لِمَا علمتَ من أنَّ الآية ليست نصّاً في اختصاص سليمان عليه السلام بذلك؛ لِمَا علمت من الأوجه الأربعة في تفسيرها، بل يُسألُ عن وجه تصرُّفه، فإن كان فيه مكفِّرٌ من قولٍ أو عملٍ أو اعتقادٍ؛ فهو كافرٌ بذلك، وإلا؛ فلا،

---

(١) قال ابن قتيبة: «إنما أراد أنه سيد ولد آدم يوم القيامة؛ لأنه الشّافع يومئذٍ والشهيد، وله لواء الحمد والحوض، وهو أوّل من تنشق عنه الأرض، وأراد بقوله «لا تُفَضِّلوني عَلَى يُونُسَ» طريق التواضع، وكذلك قول أبي بكر رضي الله عنه: «وُلِّيتُكم ولست بخيركم»، وخص يونس؛ لأنه دون غيره من الأنبياء مثل إبراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم أجمعين، يريد فإذا كنت لا أحب أن أفضل على يونس، فكيف غيره ممن هو فوقه، وقد قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [سورة القلم: ٤٨] أراد أنَّ يونس لم يكن له صبر كصبر غيره من الأنبياء، وفي هذه الآية ما دلَّك على أنّ رسول الله ﷺ أفضل منه؛ لأن الله تعالى يقول له: لا تكن مثله، وذلك على أن النبي ﷺ أراد بقوله: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَيْهِ» طريق التواضع. «تأويل مختلف الحديث» (١١٦)، وانظر أيضاً «شرح مشكل الآثار» (٣/ ٤٦ ـ ٥٧).

فإنَّ ذلك قد يكون كرامةً [له]، فإنَّ ما ساغ أن يكون معجزةً لنبيٍّ؛ ساغ كونُه كرامةً لوليٍّ كما قدَّمناه(١).

وانظر إلى ما [حُكِيَ عن الأولياء من وقائعهم مع الجنِّ تعلم صدقَ ما قلنا، وانظر إلى ما] في «بهجة»(٢) القطب الربانيّ، والهيكل الصَّمَدانيِّ، سيدي عبد القادر الكيلانيِّ، من انقياد الجنِّ وإطاعة(٣) ملكهم له، ومن مقاتلته لعفاريتهم وشياطينهم، وحرقه لهم، فإنَّ فيها ما يكفي.

ومن ذلك: حكايةُ الذي اختُطِفت بنتُه، فأمره أن يذهب إلى مكان كذا، ويخطَّ دائرةً في الأرض يجلس فيها، ففعل، فرآهم يَعْبُرون زُمَراً زُمَراً، إلى أن جاء ملكُهم راكباً فرساً، وبين يديه أممٌ منهم، فوقف بإزاء الدَّائرة، وقال: يا إنسيُّ، ما حاجتك؟ فقال: بعثني الشيخُ عبد القادر إليك، فنزل من على فرسه،

---

(١) قال بعض الأئمة: «ما وقع معجزةً لنبيٍّ لا يجوز تقدير وقوعه كرامةً لوليٍّ، كقلب العصى ثعباناً وإحياءِ الموتى»، والصحيح تجويز جملة خوارق العادات كراماتٍ للأَوْلياء، وفي «الإرشاد» لإمام الحرمين مثلُه.
وفي «شرح مسلم» للنّووي في باب البرِّ والصِّلة «أن الكرامات تجوز بخوارق العادات على اختلاف أنواعها، ومنعه بعضهم، وادعى أنها تختص بمثل إجابة دعاء ونحوه»، وهذا غلطٌ من قائله وإنكارٌ للحسّ، بل الصّواب جريانها بقلب الأعيان ونحوها. «غاية البيان شرح زبد ابن رسلان» (١٥).

(٢) «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب السادة الأخيار من المشايخ الأبرار» أولهم: الشيخ عبد القادر، وآخرهم: الإمام أحمد بن حنبل، للشيخ نور الدين أبي الحسن، علي بن يوسف اللخمي الشافعي المعروف بـ«ابن جهضم الهمداني» مجاور الحرم، توفي سنة ٧١٣هـ. «كشف الظّنون» (١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧).

(٣) في المطبوعة: (والطاعة).

وقبَّل الأرض، وجلس خارج الدَّائرة، وسأله، فذكر له قصَّة بنته، فسألهم عمَّن أخذها، فأُتِيَ بمارِدٍ من مَرَدة الصِّين وهي معه، فضرب عنقَ المارد، وأخذ ابنته، ثم قال: ما رأيتُ كاللَّيلة في امتثالك أمر الشيخ، قال: نعم، إنَّه لينظر من داره إلى المَرَدَة منَّا وهم بأقصى الأرض، فيَفِرُّون من هيبته إلى مساكنهم، وإنَّ الله تعالى إذا أقام قُطْباً؛ مكَّنه من الجنِّ والإنس. انتهى(١).

فإن قلت: قد مرَّ أنَّ من أنواع السِّحر: أن يعتقدَ أنَّه بلغ في التَّصفية وقراءة الرُّقى وتدخين بعض الأدوية إلى أنَّ الجنَّ تطيعه في تغيير البنية والشَّكل، وأنَّ المعتزلةَ قالوا بكفره، وغيرُهم ـ وإن لم يقل بكفره ـ يقول: إنَّ ذلك حرامٌ، وإنَّه يكفرُ مستحلُّه، وما كان

---

(١) كما مكَّن مَن شَاء من عِبادِه، فإنَّ الله عزَّ وجلّ يقول: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٧]، فالمؤمن بهذه الآية وأمثالها كيف يُنكِر أن يؤتي الله عز وجلّ بعض عباده أنواعاً من التصرفات في العالَم؟ ولا عجب من ذلك، وقد جاء في الأثر: «يَا عَبْدِي، أَنَا أَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ، أَطِعْنِي أَجْعَلْكَ تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ، يَا عَبْدِي أَنَا الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، أَطِعْنِي أَجْعَلْكَ حَيّاً لَا تَمُوتُ»، أورده ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٧٧).

وقد اعترض البعض على كتاب «بهجة الأسرار» بادِّعاء احتوائه مبالغاتٍ لا تليق إلا بالربوبية في حق الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره، فأجاب كاتب چلبي هذا الاعتراض بقوله الجيد المفيد: «ما المبالغات التي عُزيت إليه مما لا يجوز على مثله؟ وقد تتبعتُ فلم أجد فيها نقلاً إلا وله فيه متابعون، وغالبُ ما أورده فيها نقله اليافعي في «أسنى المفاخر»، وفي «نشر المحاسن»، و«روض الرياحين»، وشمس الدين بن الزكي الحلبي أيضاً في «كتاب الأشراف»، وأعظم شيءٍ نقل عنه أنه أحيى الموتى، كإحيائه الدَّجاجة، ولعمري إن هذه القصة نقَلها تاج الدين السبكي، ونقل أيضاً عن ابن الرفاعي وغيره، وأنَّى لِغَبِيٍّ جاهلٍ حاسدٍ ضيَّع عمرَه في فهم ما في السطور، وقنع بذلك عن تزكية النفس وإقبالها على الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يفهم ما يعطي الله ـ سبحانه وتعالى ـ أولياءَه من التصريف في الدنيا والآخرة، ولهذا قال الجنيد: التصديق بطريقتنا ولاية». «كشف الظُّنون» (١/ ٢٥٧).

متردِّداً بين كونه حراماً أو كفراً، كيف يجوز وقوعُه من آحاد المؤمنين، فضلاً عن الأولياء؟

قلت: لا شك أنَّ كُلّاً من المعجزة والكرامة والسِّحر أمورٌ خارقةٌ للعادة، وإنَّما الفرقُ بينها من حيث النِّسبةُ إلى من ظهرتْ على يديه، فإنْ ظهر ذلك الخارقُ ممن هو أفضلُ النَّاس نشأةً وشرفاً، وخُلُقاً وخَلْقاً، وصدقاً وأدباً، وأمانةً وزهادةً، وإشفاقاً ورِفْقاً، وبُعداً عن الدَّناءة والكذب والتَّمويه، وكان له أصحابٌ في غاية العلم والدّيانة؛ كان ذلك الخارقُ معجزةً مصدِّقةً لدعواه، وإن ظهر على يدي متَّبعٍ لنبيٍّ، مقتفٍ لهديه، مواظبٍ على الطَّاعات، مُعْرِضٍ عن المخالفات، يدعو إلى تصحيح العقائد، وإقامة الشَّريعة والأذكار والعبادات؛ كان ذلك الخارقُ كرامةً له أكرمه الله تعالى بها، لا بقراءةِ رُقىً ولا بتدخينٍ، وإن ظهر على يدي ذي نفسٍ شريرةٍ خبيثةٍ؛ كان سِحْراً. وهذا فرقٌ باعتبار الظَّاهر.

وثَمَّ فرقٌ باعتبار الباطن ونفس الأمر، وهو أنَّ السِّحر كالسِّيميا [والهيميا] يكون بخواصّ أرضيَّةٍ أو سماويَّة، وكالطِّلْسمَات يكون بنقش أسماءٍ خاصَّةٍ لها تعلُّقٌ بالأفلاك والكواكب على زعمهم، وكالعزائم والاستخدامات يكون بتلاوةِ [أسماءٍ] خاصّةٍ تعظِّمُها ملوكُ الجانِّ مع تبخيراتٍ وهيئاتٍ معلومةٍ غالبُها مكفِّرةٌ، وكلُّ ذلك أسبابٌ عاديةٌ، جرتْ عادةُ الله تعالى [بترتُّب] مسبَّباتها عليها، لكنَّها خفيَّةٌ، لم تظهرْ إلا لقليلٍ من النَّاس، فهي في الحقيقة ليس فيها شيءٌ خارقٌ للعادة إلا من حيث الظَّاهرُ، أما في نفس الأمر؛ فلا؛ لارتباطها [بأسبابها] الخفيَّة، كالحشائش التي يُعملُ منها النِّفطُ التي تخرق[1] الحصونَ، وكالدُّهن الذي من ادَّهنَ به لم يقطعْ فيه حديدٌ، ولا تؤثِّرُ فيه النار، ونحو ذلك، بخلاف المعجزة والكرامة، فإنَّه ليس في الحشائش والأدهان وغيرها ما يقدرُ فيه الإنسانُ على قطع المسافة البعيدة في زمنٍ يسيرٍ، أو

---

(١) في المطبوعة: (تحرق).

على المشي على وجه الماء، أو على إحياء الموتى، وفَلْق البحر، ونحو ذلك مما هو معجزةٌ أو كرامةٌ تظهر بمجرَّد خلق الله تعالى، بلا استعمالِ أسبابٍ مُعَدَّةٍ لذلك.

وقدَّمنا أوّلَ هذا الفصل عن «شرح المقاصد» وجوهاً أُخَرَ فارقةً بين السِّحر وغيره، وكذا حكايةُ الصوفيِّ مع البرهميِّ.

وأما إذا ظهر ذلك الخارقُ على يد أحدٍ من عوامِّ المؤمنين؛ فإنّه يسمّى: معونةً كما مرَّ في الفصل الأوّل.

فإذا علمتَ ذلك؛ ظهر لك أنَّ ما نسَبه هذا الحاسدُ، إلى حضرة مولانا خالد، كرامةٌ له عظيمة، ومِنْحَةٌ جسيمة، أشاعها عنه الحاسدُ بلسانه لمن لا يعلمها، ولو عَقَلَ لكان يستُرُها ويكتمها، ولله دَرُّ القائل:

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا [لِسَانَ] حَسُودِ

فإنَّ مما لا يشكُّ فيه عاقلٌ، ولا يجحده إلا المعاندُ الجاهل، أنَّ حضرةَ مولانا خالد، قد أرغم اللهُ [به] أنفَ الحاسد، حيث حاز أسنى المقامات في اتِّباع الشَّريعة، ووصل إلى أعلى منازلها الرَّفيعة، وشهد بذلك طلعتُه الوسيمة، وعقيدتُه السَّليمة، ودأبُه على إرشاد العباد، ورسوخُ حبّه في قلوب عامَّة أهل البلاد، واستقامةُ أحوال خلفائه ومريديه، وخذلانُ أعدائه وحاسديه، وهذا أعدلُ شاهدٍ عند ذوي المقامات، على أنّه من أهل الكرامات، وإن كان هو لا يدَّعي ذلك تواضعاً، ويراه من نفسه ممتنِعاً، فقد سمعته مرَّةً يقول: «أعوذ بالله أن أكون ممن يدَّعي الكرامات، بل أنا من كِلَاب السَّادات ذوي المقامات»، وهذا مقامُ ذوي العِرْفان، من أهل الشُّهود والإحسان، كلَّما علا مقامُ أحدهم وارتفع، خفضَ نفسه واتَّضع، ثم اللهُ سبحانه يرفعُه ويؤيِّدُه، ويشتِّتُ شملَ عدوه ويبدِّدُه.

[الفصل الرابع
في دعوى علم الغيب]

ذكر الحنفيَّةُ في عِدَّةٍ من كتبهم: أنَّ من ادَّعى لنفسه علم الغيب كَفَرَ[١].

وفي «الفتاوى الخانية»: سمع صوتَ هامةٍ، فقال: يموت واحدٌ، قيل: يكفرُ، وقيل: لا يكفرُ؛ لأنَّ هذا إنما يقال على وجه التَّفاؤل، وكذا لو خرج إلى السَّفر، فصاح العَقْعَقُ، فرجع، فهو على هذا الخلاف أيضاً. انتهى[٢].

وصرح صاحبُ «الهداية» في «مختارات النوازل» في مسألة الهامة: بأنَّ الصحيحَ أنه لا يكفرُ[٣].

وفي «البزازية»: من قال: «أعلم الأشياءَ المسروقةَ» يكفرُ، وكذا لو قال: «أُخْبرُ بأخبار الجنِّ» يكفرُ أيضاً؛ لأنَّ الجنَّ كالإنس لا يعلمون الغيبَ[٤]، ومن صدَّقه؛ كَفَرَ؛

---

(١) انظر: «مجمع الأنهر» (٤/ ٢٤٣)، ونقله المصنِّف في «رد المحتار» (١/ ٤٤) عن «مختارات النوازل».

وقال في ٤/ ٢٤٣: «دعوى علم الغيب معارضة لنصِّ القرآن، فيكفر بها، إلا إذا أسند ذلك صريحاً أو دلالةً إلى سببٍ من الله تعالى كوحي أو إلهام...» إلى آخر ما قال.

(٢) انظر: «فتاوى قاضي خان» (٣/ ٥٢٠ ـ ٥٢١).

(٣) «مختارات النوازل» (ق٤٦/ ب).

(٤) «الفتاوى البزازية» بهامش «الفتاوى الهندية» (٦/ ٣٢٦).

لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «**مَنْ أَتَى كَاهِناً، فَصَدَّقَهُ فِيمَا قَالَ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»[١].

وذكر في «جامع الفصولين» مسألةً بالفارسية حاصلُها: فيما لو تزوَّجها بلا شهودٍ، وقال: إنَّ اللهَ ورسولَه أو المَلَكَ يشهدان: إنّه يكفرُ؛ لأنَّه اعتقد أنَّ الرسولَ أو الملكَ يعلم الغيبَ.

ثم استشكل ذلك بما أخبر به ﷺ من المغيَّبات، وكذا ما أخبر به عمرُ وغيرُه من السَّلَف.

ثم أجاب: بأنّه يمكن التَّوفيقُ: بأنَّ المنفيَّ هو العلمُ بالاستقلال، لا العلمُ بالإعلام[٢]، أو المنفيُّ: هو المجزومُ، لا المظنونُ، ويؤيِّدُه قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ الآية [سورة البقرة: ٣٠]؛ لأنّه غيبٌ أخبر به الملائكةُ ظنّاً منهم أو بإعلامٍ، فينبغي أن يكفرَ لو ادَّعاه مستقلّاً، لا لو أخبرَ به بإعلامٍ في نومه أو يقظته في نوعٍ من الكشف؛ إذ لا منافاةَ بينه وبين الآية؛ لِمَا مرَّ من التَّوفيق، والله تعالى أعلم. انتهى[٣].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك»، كتاب الإيمان، (رقم: ١٥) بلفظ: «مَنْ أَتَى عَرَّافاً أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ فِيمَا يَقُولُ... الحديث»، وأحمد في «المسند» (١٥/ ٣٣١)، (رقم: ٩٥٣٦) بلفظ: «مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ... الحديث»، والترمذي (أبواب الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، رقم: ١٣٥) بلفظ: «مَنْ أَتَى حَائِضاً أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِناً... الحديث»، وابن ماجه (كتاب الطهارة، باب النهي عن إيتان الحائض، رقم: ٦٣٩) بلفظ: «مَنْ أَتَى حَائِضاً أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ... الحديث» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: (بالاعلام).

(٣) «جامع الفصولين» (٢/ ١٦٦).

وقال في «الإعلام»: قال الرافعيُّ عنهم ـ أي: ناقلاً عن الأئمة الحنفيَّة ـ: ولو قرأ القرآنَ على ضرب الدُّفّ أو القضيب، أو قيل له: أتعلمُ الغيبَ؟ فقال: نعم؛ فهو كفرٌ. واختلفوا فيمن خرج لسفرٍ، فصاح العَقْعَقُ، فرجع، هل يكفر؟ انتهى كلام الرافعيّ[١].

زاد في «الروضة»: قلتُ: الصَّوابُ: أنّه لا يكفرُ في المسائل الثَّلاثة[٢].

واعتُرِضَ تصويبُه في الثَّانية؛ لتضمُّن قوله: «نعم» تكذيبَ النصِّ، وهو قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٩]، وقوله عزَّ وجل: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [سورة الجن: ٢٦ ـ ٢٧]، ولم يستثنِ اللهُ تعالى غيرَ الرَّسول.

ويجاب: بأنَّ قوله ذلك لا ينافي النصَّ، ولا يتضمَّنُ تكذيبَه؛ لصدقه بكونه يعلم الغيبَ في قضيَّةٍ، وهذا ليس خاصّاً بالرُّسُل، بل يمكن وجودُه لغيرهم من الصِّدِّيقين، فالخواصُّ يجوز أن يعلموا الغيبَ في قضيَّةٍ أو قضايا، كما وقع لكثيرٍ منهم واشتهر، والذي اختُصَّ تعالى به إنَّما هو علمُ الجميع، وعلمُ مفاتح الغيب المشار إليها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ الآية [سورة لقمان: ٣٤].

وينتج من هذا التَّقرير: أنَّ مَن ادَّعى علمَ الغيب في قضيَّةٍ أو قضايا لا يكفرُ، وهو محملُ[٣] ما في «الروضة»، ومَن ادَّعى علمَه في سائر القضايا؛ كَفَرَ، وهو محملُ ما في أصلها، إلا أنَّ عبارتَه لَمّا كانت مطلَقةً تشملُ هذا وغيره؛ ساغ للنَّوويِّ[٤] الاعتراضُ

---

(١) انظر: «العزيز شرح الوجيز»، ط العلمية، (١١/ ١٠٢).

(٢) انظر: «روضة الطالبين» (١٠/ ٦٧)، وفي (الإعلام): (الثلاث)، وهو الصوابُ.

(٣) في المطبوعة: (محل)، وكذا فيما بعده.

(٤) النووي: محيي الدين، أبو زكريا، يحيى بن شرف النوويُّ، شيخ الإسلام، ولد سنة ٦٣١هـ، =

عليه، فإن أطلقَ، فلم يُرِدْ شيئاً؛ فالوجهُ ما اقتضاه كلامُ النوويِّ من عدم الكفر، ثم رأيتُ الأَذْرعيَّ قال: والظَّاهرُ عدمُ كفره عند الإطلاق[١]. انتهى.

وسئل في «الفتاوى الحديثيَّة» عمَّن قال: «إنَّ المؤمنَ يعلم الغيبَ»، [هل يكفرُ للآيتين، أو يُستفصلُ لجواز العلم بجزئيَّاتٍ من الغيب؟]

فأجاب بقوله: لا يُطلقُ القولُ بكفره؛ لاحتمال كلامه، ومن تكلَّم بما يحتمل الكفرَ وغيرَه؛ وجب استفصالُهُ كما في «الروضة» وغيرها[٢]، ومن ثَمَّ قال الرافعيُّ: ينبغي إذا نُقِلَ عن أحدٍ لفظٌ ظاهرُه الكفرُ أن يُتأمَّلَ ويُمْعَنَ النَّظرُ فيه، فإن احتمل ما يُخْرِجُ اللَّفظَ عن ظاهره ـ من إرادةِ تخصيصٍ، أو مجازٍ، أو نحوهما ـ، سُئِلَ اللَّافظُ عن مراده، وإن كان الأصلُ في الكلام الحقيقةَ والعمومَ وعدمَ الإضمار؛ لأنَّ الضَّرورةَ ماسّةٌ إلى الاحتياط في هذا الأمر، واللفظُ محتملٌ، فإن ذكر ما ينفي عنه الكفرَ مما يحتمله اللفظُ؛ تُرِكَ، وإن لم يحتمل اللَّفظُ خلافَ ظاهره، أو ذكر غيرَ ما يحتملُ، أو لم يذكرْ شيئاً؛ استُتيب، فإن تاب؛ قُبِلَتْ توبتُه، وإلا، فإن كان مدلولُ اللَّفظ كفراً مجمعاً عليه، حُكِم بردَّته، فيُقتلُ إن لم يتبْ[٣]، وإن كان في محلِّ الخلاف؛ نَظَرَ في الرَّاجح

= أخذ عن ابن عبد الدائم والرضي ابن البرهان والحافظ عبد الغني، وأخذ عنه علاء الدين العطار والمزي وابن أبي الفتح، من كتبه: «روضة الطالبين وعمدة المفتين»، و«رياض الصالحين»، توفي سنة ٦٧٦هـ. «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٧٤ ـ ١٧٦)

(١) انظر: «الإعلام» (١١٤ ـ ١١٦)، وآخر عبارته هكذا: «والظاهرُ عدم كفره عند الإطلاق في سائر الصور سوى مسألة علم الغيب».

(٢) انظر: «روضة الطالبين» (١٠/ ٧٤)، و«أسنى المطالب» (٤/ ١٢١).

(٣) نقل السّخاوي عن شيخه ابن حجر أنه قال: «والذي يظهر أن الذي يُحكم عليه بالكفر مَنْ كان الكفر صريح قوله، وكذا من كان لازم قوله وعرض عليه فالتزمه، أما من لم يلتزمه =

من الأدلَّة إن تأهّل، وإلا؛ أخذ بالرَّاجح عند أكثر المحقِّقين من أهل النَّظَر، فإن تعادَلَ الخلافُ؛ أخذ بالأحوط، وهو عدمُ التَّكفير، بل الذي أميلُ إليه: إذا اختُلف بالتَّكفير؛ وُقِفَ حالُه، وتُرِكَ الأمرُ فيه إلى الله تعالى. انتهى كلامُ الرافعيِّ.

[و]قوله: «وإن كان في محلّ الخلاف... إلخ» محلُّه في غير قاضٍ مقلِّدٍ رُفِعَ إليه أمرُه، وإلا؛ لزمه الحكمُ بما يقتضيه مذهبُه إن انحصر الأمرُ فيه، سواءٌ وافق الاحتياطَ أم لا.

وما أشار إليه الرَّافعيُّ من الاحتياط في إراقة الدِّماء ما أمكن وجيهٌ، فقد قال حجَّةُ الإسلام الغزاليُّ: تركُ قتلِ ألفِ نفْسٍ استحقُّوا القتلَ أهونُ من سفكِ مِحْجمٍ [من] دمِ مسلمٍ بغير حقٍّ[1].

ومتى استُفصلَ، [فقال]: أردتُ بقولي: «المؤمنُ يعلم الغيبَ»: إنَّ بعضَ الأولياء قد يُعْلِمُه الله ببعض المغيَّبات؛ قُبِلَ منه ذلك؛ لأنَّه جائزٌ عقلاً، وواقعٌ[2] نقلاً؛ إذ هو من جملة الكرامات الخارجة عن الحصر[3] على ممرِّ الأعصار، فبعضهم يَعْلَمه بخطابٍ، وبعضهم يَعْلَمه بكشفِ حجابٍ، وبعضهم يُكشفُ له عن اللَّوح المحفوظ حتى يراه.

= وناضل عنه، فإنه لا يكون كافراً ولو وكان اللازم كفراً، وينبغي حمله على غير القطعي؛ ليوافق كلامه الأول». «فتح المغيث» (١/ ٣٣٤).

(١) انظر: «الاقتصاد في الاعتقاد» (١٣٥): «والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم».

(٢) في المطبوعة: (ووافق).

(٣) في المطبوعة: (الحضر).

[و]يكفي بذلك ما أخبر به القرآنُ عن الخَضِر بناءً على أنَّه وليٌّ، وهو ما نُقِلَ عن جمهور العلماء وجميع العارفين، وإن كان الأصحُّ أنَّه نبيٌّ(١)، وما جاء عن أبي بكر

---

(١) قال ابن حجر: «قال الله تعالى في خبره عن موسى، حكايةً عنه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [سورة الكهف: ٨٢]، وهذا ظاهرٌ أنه بأمرٍ من الله، والأصل عدم الواسطة، ويحتمل أن يكون بواسطة نَبِيٍّ آخر لم يذكره، وهو بعيدٌ، ولا سبيل إلى القول بأنّه إلهامٌ؛ لأنّ ذلك لا يكون من غير النَّبِي وحياً، حتَّى يعمل به ما عمل، من قتل النَّفس، وتعريض الأنفس للغرق.

فإن قلنا: إنَّه نَبِيٌّ، فلا إنكار في ذلك، وأيضاً كيف يكون غير النَّبِي أعلمَ من النَّبِيِّ، وقد أخبر النَّبِيُّ في الحديث الصّحيح، أنّ الله تعالى قال لمُوسى: «بلى! عَبدنَا خضر»، وأيضاً كيف يكون النَّبِيُّ تابعاً لغير النَّبِيِّ. وقال الثَّعْلَبِيُّ: هو نَبِيٌّ فِي جميع الأقوال. وكان بعض أكابر العلماء يقول: أول عُقدةٍ تحل من الزندقة، اعتقاد كون الخضر نَبِيّاً؛ لأَنَّ الزَّنادقَة يتذرَّعون بكونه غير نَبِيٍّ، إلى أنَّ الوليَّ أفضل من النَّبِيِّ؛ كما قال قائلهم:

مقَـامُ النُّبـوَّة فِي بَـرْزَخٍ فُوَيْـقَ الرَّسُـول وَدُونَ الـوَلِيِّ

وذهب إلى أنّه كان وليا، جماعةٌ من الصُّوفِيَّة؛ وقال به أبو عليّ بن أبي موسى من الحنابلة، وأبو بكر بن الأَنْبَارِيّ في كتابه (الزَّاهِر)، بعد أن حكى عن العلماء قولين: هل كان نبياً أو ولياً؟

وقال أبو القاسم القُشيري في (رسالته): لم يكن الخضر نبياً، وإنما كان ولياً.

وحكى الماوَرْدِيُّ قولاً ثالثاً: أنّه ملكٌ من الملائكة يتصوَّر فِي صور الآدَمِيّين مغيراً ذاتاً.

وقال أبو الخطّاب بن دِحْيَة: لا ندري: هو ملكٌ، أو نبيٌّ، أو عبدٌ صالحٌ.

قال ابن جرير: «وذكر ابن إسحاق أنّ الله تعالى استخلف على بني إسرائيل رجلاً منهم [يقال له: ناشية بن أموص] وبعث الخضر معه نبيّاً».

وقال ابن جرير: «بين هذا الوقت وبين أفريدون أزيد من ألف عام».

وقال: «وقول من قال: إنّه كان في أيّام أفريدون أشبه [بالحقّ]، إلّا أن يحمل على أنّه لم يبعث نبيّاً إلّا فِي زمن ذلك الملك». =

الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه: أنّه أخبر عن حمل امرأته أنّه ذكرٌ، وكان كذلك[١]، وعن عمر رضي الله تعالى عنه: أنّه كُشِفَ له عن ساريةَ وجيشه وهم بالعجم، فقال على منبر المدينة وهو يخطب يوم الجمعة: «يا ساريةُ الجبلَ»، يحذِّرُه الكمينَ الذي أراد استئصالَ المسلمين[٢]، وما صحَّ عنه ﷺ أنّه قال في حقِّ عمر رضي الله تعالى عنه: «إنّه من المحدَّثين الملْهَمين»[٣].

= قلت: «بل يحتمل أن يكون قوله: «وبعث الخضر معه نَبيّاً» أي: أيده، لا أنّ ذلك الوقت كان وقت إنشاء نبوّته، فلا يمتنع أن يكون نَبِيّاً قبل ذلك، وإنما قلت ذلك؛ لأنّ غالب أخباره مع موسى، هي الدّالّة على تصحيح قول من قال: إنّه كان نَبِياً.

ثم اختلف من قال: إنّه كان نَبِيّاً، هل كان مرسلاً؟ فجاء عن ابن عبّاس ووهب بن مُنبّه، أنّه كان نَبِيّاً غير مرسل، وجاء عن إسماعيل بن أبي زياد، ومحمّد بن إسحاق، وبعض أهل الكتاب: أنه أرسل إلى قومه، فاستجابوا له، ونصر هذا القول أبو الحسن الرماني، ثم ابن الجوزيّ، وقال الثَّعْلَبِيّ: هو نَبِيٌّ على جميع الأقوال، معمَّر، محجوب عن الأبصار.

وقال أبو حَيَّان في «تَفْسِيره»: والجمهور على أنّه نَبِيٌّ، وكانَ علمه معرفة بواطن أوحيت إليه، وعلم موسى الحكم بالظّاهر. «الزهر النضر في حال الخضر» (٦٦ ـ ٧٠).

(١) وفي الحديث الذي رواه مالك في «الموطأ»، كتاب الأقضية، باب ما لا يجوز من النحل، (رقم: ١٤٣٨)، أنّه قال لعائشة: «وإنما هو اليوم مالُ وارثٍ، وإنما هما أخواك وأختاك، فاقتسموه على كتاب الله، قالت عائشة: فقلت: يا أبتِ، والله لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماء، فمن الأخرى؟ فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجة، أراها جاريةً»، صحّحه ابن الملقن. «البدر المنير» (٧/ ١٤٣)، وقد سمّتها عائشة: أم كلثوم، وتزوّجها طلحة بن عبيد الله. «الاستيعاب» (١٨٠٧)، و«أسد الغابة» (٦/ ٦٠). وبهذا يتبين أن الذي ذُكر في المتن «أنه ذكر» سبق القلم من المؤلف رحمه الله تعالى.

(٢) روى القصة اللالكائي في «شرح السنة» (١٤٠٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٧٠)، وألّف القطبُ الحلبيُّ جزءاً في صحّتها.

(٣) روى البخاري (كتاب الأنبياء، باب «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم»، رقم: =

وفي «رسالة القُشيريّ»، و«عوارف السُّهْرَوَرْديّ» وغيرهما من كُتُب القوم وغيرهم ما لا يُحْصَى من القضايا التي فيها إخبارُ الأولياء بالمغيَّبات[1].

ثم ذكر جملةً من ذلك، إلى أن قال: ولا ينافي الآيتان المذكورتان في السُّؤال؛ لأنَّ علمَ الأنبياء والأولياء إنّما هو بإعلامٍ من الله تعالى لهم، وعِلْمُنا بذلك إنّما هو بإعلامهم لنا، وهذا غيرُ علمِ الله تعالى الذي تفرَّد به، وهو صفةٌ من صفاته القديمة الأزليَّة الدَّائمة الأبديَّة المنزَّهة عن التَّغيير وسِمَات الحدوث والنَّقص والمشاركة والانقسام، بل هو علمٌ واحدٌ عَلِمَ به جميعَ المعلومات، كليَّاتها وجزئيَّاتها، ما كان منها وما يكون، ليس بضروريٍّ ولا كسبيٍّ ولا حادثٍ، بخلاف علم سائر الخلق.

إذا تقرَّر ذلك؛ فعلمُ الله تعالى المذكورُ هو الذي تمدَّح به، وأخبر في الآيتين المذكورتين بأنَّه لا يشاركه فيه أحدٌ، فلا يعلم الغيبَ إلا هو، وما سواه إن علموا جزئيَّاتٍ منه؛ فهو بإعلامه وإطلاعه لهم، وحينئذٍ لا يُطلقُ أنّهم يعلمون الغيبَ؛ إذ لا صفةَ لهم يقتدرون بها على الاستقلال بعلمه، وأيضاً هم ما عَلِمُوا، وإنّما عُلِّمُوا. وأيضاً ما علموا غيباً مطلقاً؛ لأنَّ من أُعْلِمَ بشيءٍ منه يشاركُه فيه الملائكةُ ونظراؤه ممن أُطلع.

ثُمَّ إعلامُ الله تعالى للأنبياء والأولياء ببعض الغيوب ممكنٌ[2] لا يستلزم محالاً بوجهٍ، فإنكارُ وقوعه عنادٌ، ومن البداهة أنّه لا يؤدِّي إلى مشاركتهم له

= ٣٢٨٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم: ٢٣٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدَّثون، وإنّه إن كان في أمتي هذه منهم؛ فإنه عمر بن الخطاب». قال مسلم: قال ابن وهب: تفسير محدَّثون: مُلْهَمون.

(١) انظر: «الفتاوى الحديثية» (٢٢٢).

(٢) في المطبوعة: (ممن).

تعالى فيما تفرَّد به من العلم الذي تمدَّح به، واتَّصف به في الأزل وما لا يزال(١).

(١) قال علي القاري في شرح حديث «وَإِذَا رَأَيْتَ الحُفَاةَ العُرَاةَ الصُّمَّ البُكْمَ، مُلُوكَ الأَرْضِ فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ»: «فإن قلت: قد أخبر الأنبياء والأولياء بشيء كثير من ذلك، فكيف الحصر؟ قلت: الحصر باعتبار كليّاتها دون جزئياتها، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [سورة الجن ٢٦ ـ ٢٧] بناءً على اتصال الاستثناء الذي هو الأصل، وأيضاً ما ذكره بعض الأولياء من باب الكرامة بإخبار بعض الجزئيات من مضمون كليّات الآية، فلعله بطريق المكاشفة أو الإلهام أو المنام التي هي ظنّيات، لا تسمّى علوماً يقينيَّات.

وقال في موضع آخر: إنّ للغيب مَبَادئ ولواحقَ، فمباديه لا يطّلع عليه مَلَك مقرّب ولا نبيٌّ مرسلٌ، وأما اللواحق فهو ما أظهر الله على بعض أحِبّائه لوحة علمه، وخرج ذلك عن الغيب المطلق، وصار غيباً إضافيّاً، وذلك إذا تنوّر الرّوح القدسيّة وازداد نوريّتها وإشراقها بالإعراض عن ظلمة عالم الحسّ، وتخلية مرآة القلب عن صدأ الطّبيعة، والمواظبة على العلم والعمل، وفيضان الأنوار الإلهية حتى يقوى النور وينبسط في فضاء قلبه، فتنعكس فيه الفيّاض الأقدس بمعرفته التي هي أشرف العطايا فكيف بغيرها».

قال الشيخ شبّير أحمد بعد هذا النقل ما نصّه: «إنّ الشيء إذا كان له أصول وفروع، فعلمه بالحقيقة إنما هو العلم بأصوله، أما العلم بالفروع بدون العلم بأصولها فليس بعلم يعتد به عند العلماء والحذّاق، وإنّما هو علمٌ بمعناه اللّغوي عند العوام القاصرين، مثاله: إذا حفظ أحد من النّاس ألوفاً من المسائل الجزئية الفقهية: كالواجبات والمحرّمات والمندوبات والمكروهات، فلا يسمّى عندهم عالماً أو فقيهاً، حتى يعرف أصولها وكلياتها، بخلاف من اطلع على أصول الأحكام ومصادرها فهو عالم فقيه عندهم، وإن فاته استحضار بعض الجزئيات والفروع، فإن الأصول والكلّيات هي مفاتيح الفروع والجزئيات دون العكس، وهكذا ينبغي أن يفهم في هذا المقام أنّ إطلاق عالم الغيب لا يليق إلا بمن يعلم أصول الغيب وكلّياته، وأما الاطلاع على بعض المغيّبات ـ ولو كثرت ـ لا يُسمى علماً ولا المطلع عليه عالماً، إلا بضربٍ من الاتساع حتى يعرف أصوله ومباديه، وهذه الأصول والكُليَّات هي مفاتيح الغيب التي عند الله تعالى لا يعلمها إلا هو، فهذه الأمور الخمسة المذكورة =

وما ذكرناه في الآية صرّح به النوويُّ ـ رحمه الله تعالى ـ في «فتاواه»، فقال:

«معناها: لا يعلم ذلك استقلالاً وعلمَ إحاطةٍ بكلِّ المعلومات إلا اللهُ، وأما المعجزاتُ والكراماتُ، فبإعلام الله تعالى لهم عُلِمَتْ، وكذا ما عُلِمَ بإجراء العادة[١]. انتهى[٢].

قلت: ومثلُ هذا ما ذكره العلامةُ المفتي أبو السُّعود أفندي في تفسير قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [سورة الجن: ٢٦] حيث قال:

«والفاءُ لترتيب عدم الإظهار على تفرُّده تعالى بعلم الغيب على الإطلاق، أي: فلا يُطْلِعُ على غيبه إطلاعاً كاملاً ينكشفُ به جَلِيَّةُ الحال انكشافاً تامّاً موجباً لعين اليقين أحداً من خلقه، ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [سورة الجن: ٢٧] أي: إلا رسولاً ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلِّقة برسالته، كما يُعْرِبُ عنه بيانُ من ارتضى بالرّسول تعلقاً ما: إما لكونه من مبادئ رسالته، بأن يكون معجزةً دالَّةً على صحَّتها، وإما لكونه من أركانها وأحكامها، كعامَّة التَّكاليف الشَّرعيَّة التي أمر بها المكلَّفون، وكيفيَّات أعمالهم، وأجزيتُها المترتِّبة عليها في الآخرة، وما تتوقَّفُ هي عليه من أحوال الآخرة التي من جملتها قيامُ السّاعة والبعث وغير ذلك من الأمور الغيبيّة

= في حديث الباب قد اختصّ علمها بالله سبحانه وتعالى، بحيث لا مَطْمَع لأحدٍ من الخلق أن يدرك أصولها وكلّيّاتها، كما يدرك أحدهم وقت انكساف الشمس أو القمر بالقواعد الحسابية العادية مثلاً، ويخبر به قبل وقوعه مع تعيّن مقداره في البلاد الشّاسعة، ولهذا لا يعدّ أمثاله من علم الغيب عند العلماء، فإنّه قد حصل بما نصب عليه من الأدلّة. «فتح الملهم» (١/ ٣٤١، ٣٤٢).

(١) انظر: «فتاوى النووي» (٢٤١).

(٢) انظر: «الفتاوى الحديثية» (٢٢٣).

التي بيانُها من وظائف الرِّسالة، وأما ما لا يتعلَّقُ بها على أحد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقتُ قيام السَّاعة؛ فلا يُظْهِرُ عليه أحداً أبداً، على أنَّ بيانَ وقته مُخِلٌّ بالحكمة التَّشريعيَّة التي يدور عليها فَلَكُ الرِّسالة.

وليس فيه ما يدلُّ على نفي كرامات الأولياء المتعلِّقة بالكشف، فإنَّ اختصاصَ الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرُّسل لا يستلزم عدمَ حصول مرتبةٍ من تلك المراتب لغيرهم أصلاً، ولا يدَّعي أحدٌ من الأولياء ما في رتبة الرُّسل -عليهم السلام- من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصَّريح. انتهى[(١)].

وحاصلُه: إنَّ الله سبحانه وتعالى متفرِّدٌ بعلم الغيب المطلق المتعلِّق بجميع المعلومات، وإنَّه إنَّما يُطْلِعُ رسله على بعض غيوبه المتعلِّقة بالرِّسالة إطلاعاً جليّاً واضحاً لا شكَّ فيه بالوحي الصَّريح، ولا ينافي ذلك أن يُطْلِعَ بعض أوليائه على بعض ذلك إطلاعاً دونه في الرُّتبة، فمن ادَّعى علمَ بعض الحوادث الغائبة بوحيٍ من أهله، أو بكشفٍ من ذوي الكرامات؛ فهو صادقٌ، ودعواه جائزةٌ؛ لأنَّ ما اختُصَّ به تعالى هو الغيبُ المطلقُ، على أنَّ ما يدَّعيه العبدُ ليس غيباً حقيقةً؛ لأنه إنّما يكون بإعلامٍ من الله تعالى كما مرَّ.

وكذا لو ادَّعاه أحدٌ من آحاد النَّاس مستنِداً في ذلك إلى أَمَارةٍ نصبها تعالى على ذلك، فقد قال الإمامُ المَرْغِينانيُّ[(٢)] صاحب «الهداية» في كتابه «مختارات النوازل»:

---

(١) «إرشاد العقل السليم» (٩/ ٤٧ ـ ٤٨).

(٢) المرغينانيّ: برهان الدين، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني الرشداني، أخذ عن نجم الدين النسفي وضياء الدين صاعد، وأخذ عنه شمس الدين الكردري، من كتبه: «الهداية شرح بداية المبتدي»، و«كفاية المنتهي»، توفي سنة ٥٩٣هـ. «الجواهر المضية» (١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤)، و«تاج التراجم» (٢٠٦ ـ ٢٠٧).

«وأما علمُ النُّجوم؛ فهو في نفسه حَسَنٌ غيرُ مذمومٍ؛ إذ هو قسمان: حسابيٌّ، وإنّه حقٌّ، وقد نطق به الكتابُ، قال تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [سورة الرحمن: ٥] أي: سيرُهما بحسابٍ، واستدلاليٌّ بسير النُّجوم وحركة الأفلاك على الحوادث بقضاء الله تعالى وقدره، وهو جائزٌ، كاستدلال الطَّيب بالنَّبض على الصحَّة والمرض. ولو لم يعتقدْ بقضاء الله تعالى، أو ادَّعى علمَ الغيب لنفسه؛ يكفرُ، ثم تعلُّم علم النُّجوم مقدارَ ما يعرف به مواقيتُ الصَّلاة والقبلة لا بأسَ به». انتهى[١].

ومفهومُه: أنَّ تعلُّمَ الزَّائدِ على ذلك مما يُستدلُّ به على الحوادث فيه بأسٌ؛ لأنّه مكروهٌ؛ لِمَا فيه من إيقاع العامَّة في الشكِّ؛ لعدم علمهم بأنّه إنّما علم ذلك بسببٍ عاديٍّ[٢] نصبه الله تعالى لذلك، أو لِمَا فيه من خوف الوقوع في اعتقاد تأثير النُّجوم في تلك الحوادث، أو لِمَا فيه من إظهار ما أحبَّ الله خفاءه، فإنّه لو أحبَّ إظهارَه، لنصب عليه علامةً ظاهرةً، كما في الأمور التي جعل اللهُ تعالى لها أسباباً ظاهرةً يعلمها عامَّةُ الناس، فلم يُخْفِ الله تعالى ما أخفاه منها إلا لحِكَم باهرةٍ، فالتَّوصُّلُ إلى إظهاره والاطِّلاع عليه إخلالٌ بتلك الحِكَم، والله تعالى أعلم.

وذكر في «الفتاوى الحديثية» عن ابن الحاجّ المالكيّ فيمن قال: «النُّجومُ تدلُّ على كذا، لكن بفعل الله تعالى، يُجْرِي الأمرَ في خلقه»: «إنّه بدعةٌ من القول منهيٌّ عنها، فيؤدَّبُ، ولا يكفرُ، إلا إن جعل للنَّجم تأثيراً، فيُقتلُ.

قال: وظاهرُ كلام المازريِّ[٣] الجوازُ، إلا إذا نسب ذلك لعادةٍ أجراها الله

---

(١) «مختارات النوازل» (ق٤٦/ ب).

(٢) في المخطوط: (بسبب عادة).

(٣) المازريّ: أبو عبد الله، محمد بن علي بن عمر التميميُّ المازريُّ، أخذ عن اللخمي =

تعالى[١].

وقال ابن رُشْد[٢]: ليس قولُ الرَّجل: «الشَّمسُ تُكسفُ غداً بعلم الحساب» كقوله[٣]: «فلانٌ يقدمُ غداً في جميع الوجوه»؛ لأنَّ دعوى الكسوف ليست من علم الغيب؛ لأنّه يُدْرَكُ بالحساب، فلا ضلالَ فيه ولا كفرَ، لكن يكره الاشتغالُ به؛ لأنّه [مما] لا يعني، ولأنَّ الجاهلَ إذا سمع به؛ ظَنَّ أنّه من علم الغيب، فيُزجرُ فاعلُه، ويؤدَّب عليه[٤].

وعن ابن[٥] الطيِّب[٦]: إنَّ ذلك جائزٌ؛ لأنّه مما يُعلمُ بدقيق الحساب كالمنازل،

= وعبد الحميد السوسي، وأخذ عنه القاضي عياض، من كتبه: «إيضاح المحصول من برهان الأصول»، و«نظم الفرائد في علم العقائد»، توفي سنة ٥٣٦هـ. «الديباج المذهب» (٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢).

(١) انظر: «المعلم» (٣/ ١٨١ ـ ١٨٥).

(٢) ابن رشد: أبو الوليد، محمد بن أحمد بن محمد المالكيُّ القرطبيُّ، أحد أئمّة المالكية، ولد سنة ٤٠٥هـ، أخذ عن ابن رزق والجياني وابن فرج، وأخذ عنه القاضي عياض، من كتبه: «البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل» و«المقدمات لأوائل كتب المدونة»، توفي سنة ٥٢٠هـ. «الديباج المذهب» (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠).

(٣) في المطبوعة: (كقول).

(٤) انظر: «البيان والتحصيل» (٩/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥).

(٥) كذا في النسختين، وفي (الفتاوى): (أبي).

(٦) ابن الطيب: لعلَّه: أحمد بن الطيِّب الخراساني السرخسي المعروف بابن الفرانقي، أخذ عن الكندي ابن حمدون وابن شبة، وأخذ عنه جحظة البرمكي والخفاف وأبو علي التنوخي، من كتبه: «المدخل إلى صناعة النجوم»، و«الجلساء والمجالسة»، توفي سنة ٢٨٦هـ. «بغية الطلب» (٨٣٥ ـ ٨٤٦)، و«معجم الأدباء» (١/ ٢٨٧ ـ ٢٩٢).

وهذا جائزٌ تعلُّمُه وتعليمُه إجماعاً، فكذا الكسوفُ، واعترض القولَ بتأديب قائله: بأنَّا إذا كنا نرى بالعيان صدقَه وإصابتَه؛ كان ذلك مكابرةً للحسِّ.

واختلفوا في المنجِّم يقضي بتنجيمه، فيقول: إنّه يعلم متى يقدم فلانٌ، وما في الأرحام، ووقت نزول الأمطار، وحدوث الفتن والأهوال، وما يسرُّ الناسَ من الأخبار، وغير ذلك من المغيَّبات، فقال بعضُ المالكية: إنّه كافرٌ يُقتلُ بلا استتابةٍ، وقال بعضهم: يُقتلُ بعد الاستتابة، فإن تاب، وإلا؛ قُتِل، وقال بعضهم: يُزجَرُ ويؤدَّبُ(١).

---

(١) قال الإمام القرافي: قال صاحب «المقدمات»: «يتعلم منها ما يستدل به على القبلة وأجزاء الليل وما مضى منه، وليهتدي في ظلمات البرِّ والبحر، ويعرف مواضعها من الفلك وأوقات طلوعها وغروبها، وهو مستحب لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الأنعام ٩٧] وأما ما يُفْضِي إلى معرفة نقصان الشهر ووقت رؤية الهلال فمكروهٌ؛ لأنه لا يعتمد عليه في الشرع، فهو اشتغالٌ بغير مفيد، وكذلك ما يعلم به الكسوفات مكروهٌ؛ لأنه لا يغني، ويوهم العامة أنه يعلم الغيب بالحساب، فيزجر عن الإخبار بذلك ويؤدب عليه، وأما ما يخبر به المنجم من الغيب من نزول الأمطار أو غيره، فقيل: ذلك كفر يقتل بغير استتابةٍ؛ لقوله ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: «مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ» فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: «مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا»، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ»، وقيل: يُستتاب، فإن تاب وإلَّا قتل، قاله أشهب، وقيل: يزجر عن ذلك ويؤدب، وليس اختلافاً في قول، بل باختلاف حال، فإن قال: «إن الكواكب مستقلة بالتأثير» قتل ولم يستتب إن كان يسر به؛ لأنه زنديق، وإن أظهره فهو مرتد يستتاب، أو اعتقد أن الله تعالى هو الفاعل عندها زجر عن الاعتقاد الفاسد الكاذب؛ لأنه بدعة تسقط العدالة، ولا يحل لمسلم تصديقه، قال: والذي ينبغي أن يعتقد فيما يصيبون فيه أن ذلك على وجه الغالب هو قوله: إذا نشأت سحابة بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة. «الذخيرة» (١٣/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣).

ووفَّق بعضُ محقّقيهم[١]: بأنّه إن كان يعتقدُ في النُّجوم أنّها الفاعلةُ لذلك كلِّه مستسرّاً بذلك، فحضرته البيِّنةُ، أو أقرَّ؛ قُتِلَ بلا استتابةٍ كالزِّنديق، وإن [كان] مُعْلِناً به غيرَ مسرٍّ بظهوره؛ فهو كالمرتدِّ، فيُستتابُ، وإلا؛ قُتلَ، وإن كان مقرّاً بأنَّ النُّجومَ لا تأثيرَ لها في العالم، والفاعلُ هو الله تعالى، لكنّه جعلَ النُّجومَ دالَّةً، ولها أمارةٌ على ما يحدث في العالم؛ فهذا يُزجرُ عن اعتقاده، ويؤدَّبُ عليه حتى يتوب عنه، فإنّه بدعةٌ»[٢].

ثم قال في «الفتاوى الحديثية»: «وحاصلُ مذهبنا ـ يعني: مذهبَ الشافعيَّة ـ في ذلك: أنّه متى اعتقد أنَّ لغير الله تعالى تأثيراً؛ كَفَرَ، فيستتاب، فإن تاب، وإلا؛ قُتِلَ، سواءٌ أسرَّ ذلك أو أظهره، وكذا لو اعتقد أنّه يعلم الغيبَ المشارَ إليه بقوله تعالى: ﴿لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [سورة الأنعام: ٥٩]؛ لأنّه مكذِّبٌ للقرآن، فإن خلا عن اعتقاد هذين؛ فلا كُفْرَ، بل ولا إثمَ إن قال: علمتُ ذلك بواسطة القرينة أو العادة الإلهيَّة، أو نحو ذلك». انتهى[٣].

وكذا قال في كتابه «الزواجر»: «المنهيُّ عنه من علم النُّجوم: هو ما يدَّعيه أهلُها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزَّمان، كمجيء المطر، ووقوع الثَّلج، وهبوب الرِّيح، وتغيُّر الأسعار[٤]، ونحو ذلك، يزعمون أنّهم يُدْرِكُون ذلك بسير الكواكب؛ لاقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان، وهذا علمٌ استأثر الله تعالى به، لا

---

(١) في الأصل والمطبوعة: (محققهم)، والتصحيح من (الفتاوى).

(٢) انظر: «الفتاوى الحديثية» (٢٠٠ ـ ٢٠١)، وهذا القولُ لابن رشد كما في «البيان والتحصيل» (٩/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦).

(٣) «الفتاوى الحديثية» (٢٠٢).

(٤) في المطبوعة: (الأسفار).

يعلمه أحدٌ غيره، فمن ادَّعى علمَه بذلك؛ فهو فاسقٌ، بل ربَّما يؤدِّي به ذلك إلى الكفر، فأمّا من يقول: إنَّ الاقترانَ والافتراقَ هو كذا جعله الله تعالى علامةً بمقتضى ما اطَّردت به العادةُ الإلهيَّةُ على وقوع كذا، وقد يتخلَّفُ؛ فإنّه لا إثمَ عليه بذلك، وكذا الإخبارُ عمّا يُدرَكُ بطريق المشاهدة من علم النُّجوم الذي يُعرَفُ بها الزَّوالُ وجهةُ القبلة وكم مضى وكم بقي من الوقت، فإنّه لا إثمَ فيه، بل هو فرضُ كفايةٍ». انتهى[(١)].

وقد علمتَ مما قدَّمناه عن «مختارات النوازل»: أنَّ مذهبَ الحنفيَّة[(٢)] في ذلك كمذهب الشافعيَّة[(٣)].

فقد اتَّضح لك ما قرَّرناه من جواز الاطِّلاع على بعض الأمور الغيبيَّة بمعجزةٍ أو كرامةٍ أو أمارةٍ وعلامةٍ عاديَّةٍ بتقدير الله تعالى، أما لو ادَّعى ذلك من نفسه استقلالاً، أو بطريق إخبار الجنِّ له بذلك زاعماً علمَهم الغيب، أو بطريق الاستناد إلى تأثير الكواكب؛ فهو كافرٌ، وأمّا إذا أطلق، وقال: «سيقع في اليوم الفلانيّ كذا وكذا»؛ فينبغي النَّظرُ في حال القائل، فإن كان من أهل الدّيانة والصَّلاح والاستقامة؛ يكون ذلك منه كرامةً؛ لأنّه لا يُخْبِرُ بذلك إلا عن صادق الإلهام، أو عن كشفٍ تامٍّ، أو عن رؤيةِ منامٍ[(٤)]،

---

(١) «الزواجر» (٢/ ١٧٨).

(٢) في المطبوعة: (الحنيفة).

(٣) وفي «المحيط البرهاني» (٥/ ٢٨٨): «وتعلم علم النجوم قدر ما يعرف القبلة، ومواقيت الصلاة لا بأس به، وفيما عدا ذلك فهو حرام»، كذا في «قاضي خان» (٣/ ٢٦١)، و«الفتاوى الهندية» (١/ ١٩٧).

(٤) قال الإمام الشعراني نقلاً عن ابن عربي قدس سرهما: «اعلم أن وحي الأنبياء لا يكون إلّا على لسان جبريل يقظةً ومشافهةً، وأما وحي الأولياء فيكون على لسان ملك الإلهام وهو على ضروب:

ـ فمنه ما يكون ملتقى بالخيال، كالمبشرات في عالم الخيال، وهو الوحي في المنام؛ =

فقد وقع ذلك من أئمَّة أعلام[١]، كما مرَّ عن الإمامين أبي بكر وعمر وغيرهما، وإن كان من آحاد الناس؛ فقد مرَّ عن «البزازية» من كتب الحنفيَّة أنّه لو قال: «أعلمُ الأشياءَ المسروقةَ» يكفرُ، وكذا ما مرَّ عنهم من أنَّه لو ادَّعى علمَ الغيب نفسه يكفر، وأما عند الشافعيَّة؛ فقد علمتَ ما مرَّ من تفصيل الإمام الرافعيِّ، وينبغي إجراءُ هذا التَّفصيل عند الحنفيَّة أيضاً، وحملُ ما نقلناه عنهم على ما إذا ظهرتْ قرينةٌ من حال ذلك القائل تدلُّ على إرادة علمه ذلك من نفسه، أو من إخبار الجنِّ أو الكهنة، معتقداً صدقَ ذلك.

ففي «جامع الفصولين»: روى الطحاويُّ عن أصحابنا: لا يُخرجُ الرَّجلَ من الإيمان إلا جحودُ ما دخل فيه، ثم ما تُيُقِّنَ أنّه ردَّةٌ؛ يحكمُ بها، وما يُشكُّ

= فالملتقى حينئذ خيال والنازل كذلك والموحى به كذلك.

ـ ومنه ما يكون خيالاً في حسٍّ على ذي حسٍّ.

ـ ومنه معنىً يجده الموحى إليه في نفسه من غير تعلّقِ حسٍّ ولا خيالٍ ممن نزل عليه، وقد يكون ذلك كتابةً، ويقع هذا كثيراً للأولياء، وبه كان يوحى لأبي عبدالله قضيب البان وغيره كبَقِيِّ بْنِ مَخْلَد تلميذ الإمام أحمد رضي الله عنه، لكنّه كان أضعف الجماعة في ذلك، فكان لا يجده إلّا بعد القيام من النوم مكتوباً في ورقةٍ... فما صورة تنزل وحي الإلهام على قلوب الأولياء؟ فالجواب صورته: أنّ الحقّ تعالى إذا أراد أن يوحي إلى وليٍّ من أوليائه بأمر ما تجلىّ إلى قلب ذلك الولي في صورة ذلك الأمر، فيفهم من ذلك الولي التجلي بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه أو كلام نبيه ﷺ، فهناك يجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم من الشريعة قبل ذلك، كما وجد النبي ﷺ العلم في الضربة باليد الإلهية كما يليق بجلاله تعالى، وكما وجد العلم في شربة اللبن ليلة الإسراء، ثم إنّ من الأولياء من يشعر بذلك، ومنهم من لا يشعر، بل يقول: «وجدت كذا وكذا في خاطري» ولا يعلم من أتاه به، ولكن من عرفه فهو أتم؛ لحفظه حينئذ من الشّيطان «اليواقيت والجواهر» (٤٥٥ ـ ٤٥٧).

(١) في المطبوعة: (أئمة الأعلام).

أنّـه ردّةٌ؛ لا يُحكـمُ بهـا؛ إذ الإسـلامُ الثَّابـتُ لا يزول بشـكٍّ، مـع أنَّ الإسـلامَ يعلو، وينبغـي للعالـم إذا رفـع إليـه هـذا أن لا يبـادِرَ بتكفيـر أهل الإسـلام، مع أنّـه يقضَى بصحّـة إسـلام المكـره[١]. انتهى.

وفـي «الفتـاوى الصغـرى»: الكفرُ شـيءٌ عظيمٌ، فـلا أجعل المسـلم كافراً متى وجدتُ روايـةً أنّه لا يكفـر[٢]. انتهى.

في «الخلاصة» وغيرها: «إذا كان في المسألة وجوهٌ توجِبُ التّكفيرَ، ووجهٌ واحدٌ يمنع التّكفيرَ؛ فعلى المفتي أن يميلَ إلى الوجه الذي يمنع التّكفيرَ تحسيناً للظنِّ بالمسلم[٣].

زاد في «البزازية»: إلا إذا صرَّح بإرادة موجب الكفر، فلا ينفعه التَّأويلُ حينئذٍ[٤].

---

(١) «جامع الفصولين» (٢/ ١٦٣)، ونقله أيضاً في «معين الحكام» (١٦٥)، لكن في آخره عنده: (يقضى بصحة إسلام أهل الكفر).

(٢) قد تحرَّز السّلف الصالح عن تكفير أهل القبلة أشد تحرز؛ لنهي النبي ﷺ عنه فيما رواه أبو داود (كتاب الجهاد، باب في الغزو مع أئمّة الجَور، رقم: ٢٥٣٤) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ مِنْ أَصْلِ الإِيمَانِ: الكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا تُكَفِّرْهُ بِذَنْبٍ، وَلا تُخْرِجْهُ مِنَ الإِسْلَامِ بِعَمَلِ الحديث». وروى أبو يعلى في «المسند»، (رقم: ٢٣١٧) عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قلت: يا أبا حمزة، إن ناسا يشهدون علينا بالكفر والشرك، قال أنس: أولئك هم شر الخلق والخليقة. «مجمع الزوائد» (١/ ٢٩٨).

لهذا يقول الإمام الطحاوي في (عقيدته) مُقرِّرا لعقيدة أهل السنّة: «ولا نُكَفِّرُ أحداً من أهل القِبلة بذَنْبٍ ما لم يَستحِلَّه... ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم، ويُدخلَهم الجنَّة برحمته، ولا نَأْمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنَّة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نُقَنِّطُهم». «العقيدة الطحاوية» (٢١).

(٣) «خلاصة الفتاوى» (٤/ ٣٨٢).

(٤) «الفتاوى البزازية» (٦/ ٣٢١).

وفي «التاتارخانية»: لا يكفرُ بالمحتمل؛ لأنَّ الكفرَ نهايةٌ في العقوبة، فيستدعي نهايةً في الجناية، ومع الاحتمال لا نهايةَ». انتهى[١]. وكذا في «البحر»[٢].

وقال بعد ذلك: «والذي تحرَّر: أنّه لا يُفتَى بكفرِ مسلمٍ أمكن حملُ كلامه على محملٍ حسنٍ، أو كان في كفره اختلافٌ ولو رواية ضعيفة، فعلى هذا فأكثرُ ألفاظ التَّكفير المذكورة لا يُفتى بالتَّكفير بها، ولقد ألزمتُ نفسي أن لا أفتي بشيءٍ منها». انتهى كلامه رحمه الله تعالى[٣].

وتمامُ ذلك في كتابنا «تنبيه الولاة والحكام، على أحكام شاتم خير الأنام، أو أحد أصحابه الكرام، عليه وعليهم الصلاة والسلام»[٤]، فارجع إليه، فإنَّ فيه ما يشفي ويكفي في المرام، من جنس هذا الكلام.

تنبيهٌ: قد ظهر لك وبان، مما قرَّرناه في هذا الشَّان، أنَّ من كان من أهل العلم والعرفان، وأخبرَ عن أمرٍ حدثٍ أو سيحدث في الزَّمان، مما أطلعه عليه الملكُ المنَّان، لا يحلُّ لمسلمٍ ذي دينٍ وإيمان، أن يتَّهمه بأنَّ ذلك عن إخبار الجانّ، وبأنّه ساحرٌ وشيطانٌ، وأن يحكمَ عليه بالكفر والزَّندقة والإلحاد، بمجرَّد داء الحسد والافتراء والعِنَاد، فإنَّ سهامَه ترجعُ إليه، ودعاويَه تعودُ عليه، ويظهر منه خُبْثُ العقيدة، وأنَّ آراءه غيرُ سديدةٍ، ويخشى عليه سرعةُ الانتقام، وسوءُ الختام، والعياذ بالله تعالى.

---

(١) «الفتاوى التاتارخانية» (٧/ ٢٨٢) نقلاً عن (اليتيمة).

(٢) «البحر الرائق» (٥/ ١٣٤).

(٣) المرجع السابق: ٥/ ١٣٥.

(٤) انظر: «تنبيه الولاة والحكام» (١١٨ ـ ١٢٣) ط الهند. وقد طبع ضمن مجموع رسائل ابن عابدين، وطبع مستقلاً في مركز البحوث الإسلامية في مردان في الهند بتحقيق: ثناء الله، وفي دار الآثار في اليمن بتحقيق: أبي بلال العدني سنة ١٤٢٨هـ.

ففي «الفتاوى الحديثية»: سئل عن قومٍ من الفقهاء يُنْكِرون على الصُّوفيَّة إجمالاً أو تفصيلاً، فهل هم معذورون أم لا؟

فأجاب بقوله: ينبغي لكلِّ ذي عقلٍ ودينٍ أن لا يقع في ورطة الإنكار على هؤلاء القوم، فإنَّه السمُّ القاتلُ كما شوهد ذلك قديماً وحديثاً، وقد قدَّمنا قصَّةَ ابن السَّقا المنكر على وليِّ الله تعالى، فأشار له أنَّه يموت كافراً، فشوهد عند موته بعد تنصُّره لفتنته من نصرانيَّةٍ أبتْ منه إلا أن يتنصَّرَ مستقبل الشّرق، وكلَّما حُوّلَ للقبلة؛ يتحوَّل إلى الشَّرق، حتى طلعت روحُه وهو كذلك، وكان أوحدَ[١] أهل زمانه علماً وذكاءً وشهرةً وتقدُّماً عند الخليفة، فحَقَّت عليه الكلمةُ بواسطة إنكاره[٢]، وقوله عن ذلك الوليّ: لأسألنَّه[٣] مسألةً لا يقدر على جوابها.

وجاء عن المشايخ العارفين والأئمَّة الوارثين أنّهم قالوا: أوّلُ[٤] عقوبة المنكر على الصَّالحين: أن يُحرمَ بركتهم، قالوا: ويخشى عليه سوءُ الخاتمة،

---

(١) في المطبوعة: (واحد)، وفي (الفتاوى): (أوجه).

(٢) قال شيخ الإسلام الهروي قدس سره: «إلهي ما هذا الذي جعلت أولياءك على وجهٍ مَن عرفهم وجدَك، وما لم يجدك لم يعرفْهم، وبُغضُ هذه الطّائفة سمٌّ قاتلٌ، والطّعن فيهم موجبٌ للحرمان الأبدي، نجّانا الله سبحانه وإيّاكم من هذا الابتلاء.

وقال شيخ الإسلام أيضاً: إلهي كل من أردتَ سقوطه فأَسقِطه علينا، يعني: أَوقِعْه بغِيبتِنا ومَلامَتنا، (شعر):

مـن لم يُعِنْـه مُهيمـنٌ وخواصّـه ... الأمـر في خطرٍ ولـو هـو مـن ملك

«المكتوبات» (١/ ١١١).

(٣) في المطبوعة: (لاسألته).

(٤) في (الفتاوى): (أقل).

نعـوذ بالله مـن سـوء القضـاء(١).

وقال بعضُ العارفين: من رأيتموه يؤذي الأولياءَ، ويُنْكِرُ مواهبَ الأصفياء؛ فاعلموا أنَّه محاربٌ لله، مبعودٌ مطرودٌ عن قرب الله.

وقـال الإمـامُ المجمـعُ علـى جلالته وإمامتـه أبو تـراب النَّخشـبيُّ(٢) رضي الله تعالـى عنـه: «إذا ألـف القلـبُ الإعـراضَ عـن الله تعالـى؛ صَحِبَتْـه الوقيعـةُ فـي أوليـاء الله تعالــى».

[وقال الإمامُ العارفُ شاه أبو شُجَاع الكرمانيُّ(٣): ما تعبَّدَ متعبِّدٌ] بأكثر من

---

(١) يقول الشيخ إسماعيل حقّي البروصوي:
«الإيمان بالله وبالأنبياء والأولياء أصل الأصول، كما أنّ الإنكار والاستكبار سبب الحرمان والخذلان، فإن أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم.
قال أبو تراب النخشبي قدس سره: «إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة [في أولياء الله]».
وقال الشيخ العارف شاه شجاع الكرماني قدس سره: «ما تعبد متعبد بأكبر من التحبب إلى أولياء الله تعالى»؛ لأن محبة أولياء الله دليل على محبة الله، والله يهدي من يشاء إلى مقام المحبة والرضا، ولا يهدي الظالمين المعاندين؛ لأنهم من أهل سوء القضاء. «تفسير روح البيان» (٨/ ٤٧٠).

(٢) أبو تراب النخشبي: عسكر بن حصين النخشبي، أحد الأولياء العارفين، أخذ عن حاتم الأصم وعلي الرازي وابن مصعب، وأخذ عنه ابن أبي عاصم، توفي سنة ٢٤٥هـ.
«حلية الأولياء» (١٠/ ٤٥ ـ ٥١)، و«الرسالة القشيرية» (١/ ٧٠ ـ ٧١).

(٣) أبو شجاع الكرماني: أبو الفوارس شاه بن شجاع، أخذ عن أبي تراب وأبي عبيد البسري وابن الذراع البصري، من كلامه: علامة الركون إلى الباطل: التقربُ من المبطلين، توفي قبل الثلاثمائة. «طبقات الصوفية» (١٥٦ ـ ١٥٨)، و«الرسالة القشيرية» (١/ ٩٤).

التَّحبُّب إلى أولياء الله تعالى؛ لأنَّ محبَّتَهم دليلٌ على محبَّة الله عزَّ وجلَّ[١].

وقال أبو القاسم القشيريُّ[٢]: قبولُ قلوب المشايخ للمريد أصدقُ شاهدٍ لسعادته، ومن ردّه قلبُ شيخٍ من الشُّيوخ؛ فلا محالة يَرَى غِبَّ ذلك ولو بعد حينٍ، ومن خُذِلَ بترك حرمة الشُّيوخ؛ فقد أظهر رَقْم شقاوته، وذلك لا يخطئُ[٣]. انتهى[٤].

ويكفي في عقوبة المنكر على الأولياء قولُه ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**مَنْ آذَى لِي وَلِيّاً؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»[٥] أي: أعلمتُه أنّي محاربٌ له، ومن حارَبَ الله تعالى لا يُفْلِحُ أبداً.

---

(١) قال الإمام الرّبّاني: «وعلى كل حال ينبغي أن لا يفلت حبل محبة هذه الطّائفة، وأن يجعل الالتجاء والتضرع إلى هؤلاء القوم شعاراً، وأن ينتظر تشريف الحق سبحانه بمحبته؛ بسبب محبّة هذه الطّائفة وجذبه إليه بالتمام، وتخليصه من الأدناس والأوساخ بالكلّيّة». «المكتوبات» (١/ ٨٦).

(٢) القشيري: زين الإسلام، أبو القاسم، عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الأستاذ، ولد سنة ٣٧٦هـ أخذ عن أبي علي الدقاق والحاكم وابن فورك، وروى عنه ابنه والشحامي والخطيب، من كتبه: الرسالة المشهورة في التصوف بـ «الرسالة القشيرية»، و«لطائف الإشارات»، توفي سنة ٤٦٥هـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ١٥٣ ـ ١٦٢).

(٣) قال الإمام الرّبّاني: «كما أن في هؤلاء الأكابر قدرةً كاملةً على إعطاء النسبة، حيث إنهم يمنحون الطالب الصادق بالحضور والشعور في مدة قليلة، كذلك فيهم قدرةٌ تامّةٌ على سلب تلك النسبة، فهم يجعلون صاحب النسبة مفلساً بترك أدب واحد، نعم إن الذين يعطون يأخذون، أعاذنا الله سبحانه من غضبه ومن غضب أوليائه. «المكتوبات» (١/ ١٩٩).

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٧٩).

(٥) تقدّم تخريجه عند حديث: «من أهان لي ولياً».

وقد قال العلماءُ: لم يحارب اللهُ عاصياً إلا المنكرَ على الأولياء وآكلَ الرِّبا، وكلٌّ منهما يُخشَى عليه خشيةٌ قريبةٌ جدّاً من سوء الخاتمة؛ إذ لا يحارب اللهُ تعالى إلا كافراً». انتهى ملخصاً[1]. وقد أطال في ذلك، فراجعه إن شئت.

وفيما ذكرناه كفايةٌ للمسترشدين، أعاذنا الله وإياهم أن نكون من المنكرين الجاحدين، وجعلنا من المحبِّين الصَّادقين، لعباده الصَّالحين، وأوليائه العارفين، وحشرنا في زمرتهم يوم الدين.

---

(١) انظر: «الفتاوى الحديثية»: (ص٢٣٧ ـ ٢٣٨).

[خاتمة
في ترجمة هذا الإمام]

اعلم أنّا لو أردنا أن نستقصي ذكرَ مَن اعتقده، ومَن تبعه، ومَن أثنى عليه ومدحه، وذكرَ مآثره الجليلة، وصفاته الجميلة، تفصيلاً أو إجمالاً؛ لحاوَلْنا أمراً محالاً، ولكنّا نذكر من ذلك نبذةً يسيرةً؛ لأنّها سهلةٌ شهيرةٌ، وذكرها الإمامُ الأوحدُ، والعَلَمُ المفردُ، الشيخ محمد بن سليمان البغداديّ الحنفيّ النَّقشبنديّ[1] في كتابه المسمى «الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية والبهجة الخالدية»[2] في الباب الثَّاني منه، حيث قال:

اعلم أنَّ شيخنا ـ أمدَّنا الله تعالى بمدده، وبارك في مُدَده ـ على ما ترجمه أحدُ الإخوان بما ملخَّصه: هو أبو البهاء، ذو الجناحين، ضياءُ الدين، حضرةُ مولانا الشيخ خالد الشَّهْرَزُوريّ، الأشعريُّ عقيدةً، الشَّافعيُّ مذهباً، النَّقشبنديُّ المجدِّديُّ طريقةً ومشرباً، القادريُّ السَّهْرَوَرْدِيُّ[3] الكُبْرويُّ الجِشْتِيُّ إجازةً، ابنُ أحمد بن حسين العثمانيُّ نَسَباً.

ينتهي نسبُه إلى الوليّ الكامل بير ميكائيل صاحب الأصابع الستّ، المشهور بين الأكراد بـ«شيش انكشت»، يعني: ستّ أصابع؛ لأنَّ خلقةَ أصابعه كانت هكذا، وهذا

---

(١) محمد بن سليمان البغدادي النقشبنديُّ، توفي سنة ١٢٣٤هـ. «الأعلام» (٦/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

(٢) انظر: «الحديقة الندية» (ق١٩/ آ ـ ٣٢ب).

(٣) في المطبوعة: (السهوردي).

الوليُّ معروفُ الانتساب إلى الخليفة الثَّالث، منبع الحياء والإحسان، ذي النُّورين عثمان بن عفّان الأمويّ القرشيّ رضي الله تعالى عنه.

العالمُ العلامةُ، والعَلَمُ الفهَّامةُ، مالكُ أزمَّة المنطوق والمفهوم، ذو اليد الطُّولى في العلوم، من صرفٍ، ونحوٍ، وفقهٍ، ومنطقٍ، ووَضْعٍ، وعَروضٍ، ومُناظرةٍ، وبلاغةٍ، وبديعٍ، وحكمةٍ، وكلامٍ، وأصولٍ، وحسابٍ، وهندسةٍ، وأُصْطُرْلابٍ، وهيئةٍ، وحديثٍ، وتصوُّفٍ، العارفُ المسلِّك، مربِّي المريدين، ومرشدُ السَّالكين، ومَحَطُّ رِحال الوافدين.

وأمُّه ينتهي نسبُها إلى الوليّ الكاملّ الفاطميّ بير خضر المعروف النَّسب والحال بين الأكراد.

وُلِد ـ قدس سره ـ سنة ألفٍ ومائة وتسعين تقريباً بقصبة «قره داغ» من أكبر سناجق «بابان»، وهي عن «السُّليمانيَّة» نحو خمسة أميالٍ، تشتمل على مدارسَ، وتكتنفها الحدائقُ، وتنبع فيها عيونٌ عذبةُ السّلسال، ونشأ فيها، وقرأ ببعض مدارسها القرآنَ، و«المحرَّر» للإمام الرافعيّ في فقه الشَّافعية، و«متن الزَّنجانيّ» في الصَرف، وشيئاً من النَّحو، وبرع في النَّظم والنَّثر قبل بلوغ الحُلُم، مع تدريبٍ لنفسه على الزُّهد، والجوع، والسَّهر، والعفَّة[1]، والتَّجريد، والانقطاع على قَدَم أهل الصُّفَّة.

ثم رحل لطلب العلم إلى النَّواحي الشاسعة، وقرأ فيها كثيراً من العلوم النَّافعة[2]، ورجع إلى نواحي وطنه، فقرأ فيها على العالم العامل، والنِّحرير الفاضل، ذي الأخلاق الحميدة، والمناقب السَّديدة، السيد الشيخ عبد الكريم

---

(١) في الأصل: (والفقه).

(٢) في المطبوعة: (النافعية).

البَرْزَنْجِيِّ رحمه الله تعالى[١]، وعلى العالم المحقِّق الملا صالح، وعلى العالم المحقِّق الملا إبراهيم البياريّ[٢]، والعالم المدقِّق السيّد الشيخ عبد الرحيم البَرْزَنْجِيِّ[٣] أخي الشيخ عبد الكريم، والعالم الفاضل الشيخ عبد الله الخَرْبانيّ، ثم رحل إلى نواحي «كُوي» و«حَرير».

وقرأ «شرح الجلال على تهذيب المنطق» بحواشيه على العالم الزكيّ، والنِّحرير الألمعيّ، الملا عبد الرحيم الزياريّ المعروف بـ«ملا زاده»[٤]، وأخذ في تلك النَّواحي غيرَ ذلك عن غيره.

ورجع إلى السُّليمانية ثانياً، فقرأ فيها وفي نواحيها «الشمسيَّة» و«المطوَّل» والحكمة والكلام وغير ذلك، وقدم بغدادَ، فقرأ فيها «مختصر المنتهى» في الأصول، ورجع إلى محلِّه المأهول.

---

(١) عبد الكريم البرزنجي: قال البيطار: «من سلسلة طيبة طاهرة، ذي نسبة باهية باهرة، قرأ على السادة الأفاضل، وأخذ عنه ذوو الفضائل والفواضل»، أخذ عنه مولانا خالد، توفي سنة ١٢١٢هـ. «حلية البشر» (٩٢٥ ـ ٩٢٦).

(٢) إبراهيم البياري: الشيخ إبراهيم العراقي البياري الشافعي الأشعري، في (حلية البشر): «كنز الفضائل، وتحفة الأفاضل، من اشتهر علمه وفاق، وسما قدره في الآفاق»، توفي سنة ألف ومائتين ونيف وعشرين. «حلية البشر» (٤٥ ـ ٤٦).

(٣) عبد الرحيم البرزنجي الشافعي الأشعري، عالمٌ عاملٌ، وإمام فاضلٌ، أخذ عن جملة من السادة، وعن كثير من القادة، أخذ عنه مولانا خالد ولازمه للاستفادة، والاقتباس من معارف تلك السيادة، توفي سنة ١٢١٢هـ. «حلية البشر» (٨٤٢ ـ ٨٤٤).

(٤) عبد الرحيم الزياري المعروف بملا زاده الشافعي، العلمُ المفضال، والأوحد الذي لم يزل مشاراً إليه بكل كمال، سطعت أنوارُه في الأكراد، وتفجرت ينابيع حكمه في كل واد، توفي سنة ١٢١٢هـ. «حلية البشر» (٨٤٤ ـ ٨٤٥).

وحيث حلَّ من المدارس؛ كان فيها الأتقى الأورع السَّابق في ميادين التَّحقيق كلَّ فارس، لا يُسألُ عن مسألةٍ من العلوم الرَّسميَّة إلا ويجيب بأحسن جوابٍ، ولا يُمتحنُ بعويصةٍ من «تحفة ابن حجر» أو «تفسير البيضاويّ» إلا ويكشفُ عن وجوه خرائد فوائده النِّقاب، وهو يستفيدُ ويُفيدُ، ويقرِّرُ ويحرِّرُ ويُجيد، إلى إنصافٍ وذكاءٍ خارق، وقوَّة حفظٍ بذهنٍ حاذق، مع تصاغُره لدى الأساتذة والأقران، وتجاهُله عن كثيرٍ من المسائل مع العرفان، فاشتهر خارقُ علمِه، وطار إلى الأقطار صيتُ تقواه وذكائه وفهمه، إلى أن رَغِبَ بعضُ الأمراء في نَصْبه مدرِّساً قبل التَّكميل في إحدى المدارس، وأن يوظِّفَ له وظائفَ ويخصَّه بالنَّفائس، فلم يُجِبْه إلى هذا المرام، زهداً فيما لديه من الحُطَام، قائلاً: إنِّي الآن لستُ [أهلاً] لهذا المقام.

فرحل بعد هذا إلى «سَنَنْدَج» ونواحيها، فقرأ فيها العلومَ الحسابيَّةَ والهندسيَّةَ، والأُصْطرلابيَّة والفلكيَّة، على العالم المدقِّق[1]، جغميني عصره، وقوشجي مصره، الشيخ: محمد قسيم السَّنَنْدَجِيّ[2]، وكمَّل عليه المادَّة على العادة.

فرجع إلى وطنه قاضيَ الأوطار، وصيتُه إلى أقصى الأقطار طار، فوَلِيَ بعد الطَّاعون الواقع في السُّليمانية سنة ألف ومائتين وثلاثة عشر تدريسَ مدرسة أجلِّ أشياخه المتوفى بالطَّاعون المذكور الشيخ السيِّد عبد الكريم البَرْزَنْجِيّ، فشرع يدرِّسُ العلوم، وينشرُ المنطوقَ منها والمفهوم، غيرَ راكنٍ إلى الدُّنيا ولا إلى أهلها، مُقْبِلاً على الله تعالى متبتِّلاً إليه بأصناف العبادة فرضِها ونفلها، لا يتردَّدُ إلى

---

(١) في المطبوعة: (المدفق).

(٢) محمد بن قسيم السنندجي الشافعي الأشعري، العالمُ الذي علت في العلوم قدمه، وزان بقلب تدقيقه من الدرس معصمه، نادرة الزمان وحسنته، وبهجة صباحه وغرته، توفي سنة ١٢١٢هـ. «حلية البشر» (١٣٠٥ - ١٣٠٦).

الحُـكَّام، ولا يُحابِـي أحداً في الأمر بالمعـروف والنَّهي عن المنكـر وتبليغ الأحكام، لا تأخـذه فـي الله لومةُ لائـم، وهو نافذُ الكلمة، محمودُ السِّـيرة، يأخـذُ بالعزائم، حتى صـار محسـودَ صنفـه، عزيزاً في وصفه، مـع الصَّبر علـى الفقر والقَناعة، [واسـتغراق الأوقات بالإفـادة والطَّاعة.

إلى أن جذبه[١] سنة عشرين] شوقُ حجٍّ بيت الله الحرام، وتَوْقُ زيارة روضة خير الأنام، عليه الصلاةُ والسلامُ، فتجرَّد عن العلائق، وخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله الصَّادق، فرحل هذه الرِّحلةَ الحجازيَّةَ من طريق «الموصل» و«ديار بكرٍ» و«الرُّها» و«حلب» و«الشَّام»، واجتمع بعلمائها الأعلام، وصحب في الشَّام ذهاباً وإياباً العالمَ الهمامَ، شيخ القديم والحديث، ومدرِّس دار الحديث، الشيخ محمد الكُزْبريّ رحمه الله تعالى[٢]، وسمع منه، وأخذ عنه.

فخرج منها [على] جادَّة العزائم بأحسن قدم، يُطعِمُ ولا يُطعَم، فوصل المدينةَ المنوَّرة، ومدح الرَّسولَ ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ بقصائد فارسيَّة بليغةٍ محرَّرة، ومكث فيها قدرَ ما يمكث الحاجّ، وصار حمامةَ ذلك المسجد الوهَّاج، قال: وكنت أفتِّشُ على أحدٍ من الصَّالحين، لأتبرَّك ببعض نصائحه وأعملَ بها كلَّ حينٍ، فلقيتُ شخصاً يمنيّاً متريِّضاً، عالماً عاملاً صاحبَ استقامةٍ وارتضا، فاستنصحتُه استنصاحَ الجاهل المقصِّر، من العالم المتبصِّر، فنصحني بأمورٍ، [منها:] لا تبادِرْ في مكَّة بالإنكار على ما ترى ظاهرَه يخالف الشَّريعة.

---

(١) في المطبوعة: (جزبه) بالزاي.

(٢) الكزبري: محمد بن عبد الرحمن الكزبري الشافعي الدمشقي المسند، ولد سنة ١٢٠٩هـ، أخذ عن والده، له ثبتٌ مشهورٌ، توفي سنة ١٢٤٩هـ. «حلية البشر» (١٣٤٥).

فلما وصلتُ إلى الحرم المكيِّ وأنا مصمِّمٌ على العمل بتلك النَّصيحة البديعة، بكرةَ يوم الجمعة إلى الحرم، لأكون كمن قدَّم بَدَنةً من النَّعَم، فجلستُ إلى الكعبة الشَّريفة أقرأ «الدلائل»[١]، إذ رأيتُ رجلاً ذا لحيةٍ سوداءَ عليه زِيّ[٢] العوامّ، قد أسند ظهرَه إلى الشَّاذِرْوان ووجهُه إليَّ من غير حائل، فحدَّثتني نفسي أنَّ هذا الرَّجلَ لا يتأدَّبُ مع الكعبة ولم أُظهِرْ عتبَه، فقال لي: يا هذا، أما علمتَ أنَّ حرمةَ المؤمن عند الله تعالى أعظمُ من حرمة الكعبة، فلماذا تعترضُ عليّ استدباري الكعبةَ وتوجُّهي إليك؟! أما سمعتَ نصيحةَ مَنْ في المدينة وأكَّد عليك؟![٣] فلم أشكَّ أنّه من أكابر الأولياء، وقد تَسَرْبَلَ بأمثال هذه الأطوار عن الخَلْق، فانكببتُ على يديه وسألتُه العفوَ وأن يرشِدَني بدلالته إلى الحقّ، فقال لي: فتوحُك لا يكون في هذه الدِّيار، وأشار بيده إلى الدِّيار الهنديَّة، وقال: تأتيك إشارةٌ من هنالك، فيكون فتوحُك في هاتيك

---

(١) «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصّلاة على النّبي المختار» للشيخ أبي عبد الله: محمد بن سليمان بن أبي بكر الجزولي السملالي الشريف الحسني المتوفى سنة ٨٥٤هـ. وهذا الكتاب آية من آيات الله في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، يواظب بقراءته في المشارق والمغارب لا سيما في بلاد الروم. «كشف الظنون» (١/ ٧٥٩، ٧٦٠).

(٢) في الأصل والمطبوعة: (ذي).

(٣) يقول الإمام الشعراني: «مِن أضرِّ شيءٍ على المريد الصادق اعتراضُه على أحوال الرجال، ومن ابتلاه الله تعالى بذلك، فلا بد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات: موتة بالذُّل، وموتة بالفقر، وموتة بالحاجة إلى الناس، ثم لا يجد من يرحمه منهم...، إياكم والاعتراضَ على مَنْ رأيته سميناً، فإن الحُبَّ إذا تمكن من العبد سمن، وكان الشبلي سميناً جداً، وإذا قيل له في ذلك يقول: كلما أتذكر (أنا عبد من؟) أزداد سمناً، ودخل مريد مرةً على شيخ سمين، فوجده يزهد المريدين في الدنيا وهو كالدُّبّ من السمن، فكاشفه الشيخ وقال: «وعزَّتِه تعالى ما سمَّنَنى الأكل، وإنما سمَّننى حُبُّه تعالى». «الأنوار القدسيّة» (١٢٦ ـ ١٢٨).

الأقطار، فأَيِسْتُ من تحصيل شيخٍ في الحرمين يرشِدُني إلى المرام، ورجعتُ بعد قضاء المناسك إلى الشَّام. انتهى.

فاجتمع ثانياً بعلمائها، وحلَّ في قلوبهم محلَّ سُوَيدائها، فأتى إلى وطنه بعد قضاء وَطَره بالبركات، وباشَرَ تدريسَه بزيادةٍ على زهده الأوَّل وعدِّه الحسناتِ الأولى سيئاتٍ، إلى أن أتى السُّليمانيَّةَ شخصٌ هنديٌّ من مريدي شيخه الآتي وصفُه، فاجتمع به وأظهرَ احتراقَه واشتياقَه لمرشدٍ كاملٍ يُسعفُه، فقال الهنديُّ: إنَّ لي شيخاً كاملاً، عالماً عاملاً، عارفاً بمنازل السَّائرين إلى مَلِك الملوك، خبيراً بدقائق الإرشاد والسُّلوك، نقشبنديَّ الطَّريقة، في علم الحقيقة، فسِرْ معي حتى نرحل إلى خدمته في «جهان آباد»، وقد سمعتُ إشارةً بوصول مثلك هناك إلى المراد.

فرحل سنة ألفٍ ومائتين وأربعة وعشرين الرِّحلةَ الهنديّة من طريق «الرّيّ»، يطوي بأيدي العيس بساطَ البيد أسرعَ طيّ، فوصل «طهرانَ»، وبعضَ بلاد «إيران»، والتقى مع مجتهدهم المتضلِّع بضبط المتون والشُّروح والحواشي، إسماعيل الكاشي، فجرى بينهما البحثُ الطَّويلُ، بمحضرٍ من جمهور طلبة إسماعيل، فأفحمه إفحاماً أسكته، وأنطق طلبتَه، بأنَّ ليس لنا من دليلٍ [ولا قيلٍ].

ثم دخل «بِسْطام» و«خَرَقان» و«سِمْنَان» و«نَيْسَابور» ثم بلدة «هَرَاة» من بلاد الأفغان، واجتمع مع علمائها فحاوروه في ميدان الامتحان، ولَمّا رحل عنهم ودَّعوه بمسير أميال، لِمَا شاهدوا فيه من بديع الحال، ووصل «قُنْدُهار» و«كابُل» ودار العلم «بيشاوَر»، فاجتمع بجمٍّ غفيرٍ من علمائها، وامتحنوه بمسائل من علم الكلام وغيره.

ثم رحل إلى بلدة «لاهور»، فسار منها إلى قَصَبةٍ فيها العالمُ النِّحرير، والوليُّ الكبير، أخي شيخه في الطَّريقة، الشيخ المعمَّر الوليّ ثناء الدين النّقشبنديّ، قال: «فبِتُّ في تلك القصبة ليلةً، فرأيتُ في واقعةٍ أنّه قد جذبني من خدِّي بأسنانه يجرُّني

إليه وأنا لا أنجرُّ، فلما أصبحتُ ولقيتُه، قال لي من غير أن أقصَّ الرُّؤيا عليه: سِرْ على بركة الله تعالى إلى خدمة أخينا الشيخ عبد الله، فعرفتُ أنّه قد أعمل همَّتَه الباطنيَّةَ العليَّة ليجذبني إليه، فلم يتيسّر لقوّة جاذبة شيخي المحوَّل فتوحي عليه، فرحلتُ من تلك القَصَبة أقطع الأنجاد والأوهاد، إلى أن وصلتُ إلى دار السَّلطنة الهنديَّة وهي المعروفةُ بـ«جهان آباد» بمسيرة سنةٍ كاملةٍ، وقد أدركتني نفحاتُه وإشاراتُه قبل وصولي بنحو أربعين مرحلة، وهو أخبر قبل ذلك بعضَ خواصِّ أصحابه بوفودي إلى أعتاب قِبَابه». انتهى.

وليلةَ دخوله بلدة «جهان آباد» أنشأ قصيدتَه العربيَّةَ الطَّنَّانة من بحر الكامل يذكر فيها وقائعَ السَّفر، وتخلَّص إلى مدح شيخه، مطلعُها:

حَمْداً لِمَنْ قَدْ مَنَّ بِالإِكْمَالِ كَمُلَتْ مَسَافَةُ كَعْبَةِ الآمَالِ

وهي طويلةٌ، وله غيرُها من المقاطيع العربيَّة، وفي الفارسيَّة قصائدُ ومقاطيعُ كثيرةٌ أُنسيَّة، منها قصيدةٌ غرَّاءُ في مدح شيخه ـ قدس سره ـ أيضاً.

وبعد وصوله تجرَّد ثانياً عمّا عنده من حوائج السَّفر، وأنفقه كلَّه على المستحقِّين ممن حضر، فأخذ الطَّريقةَ العليَّةَ النَّقشبنديَّةَ بعمومها وخصوصها، ومفهومها ومنصوصها، على شيخ مشايخ الدِّيار الهنديَّة، ووارثِ المعارف والأسرار المجدِّديَّة، سَبَّاحِ بحار التَّوحيد، سيَّاحِ قِفار التَّجريد، قطبِ الطَّرائق، وغوثِ الخلائق، ومعدنِ الحقائق، ومنبعِ الحِكَم والإحسان والإيقان والدَّقائق، العالمِ النِّحرير الفاضل، والعَلَمِ المفرد الكامل، المتجرِّدِ عما سوى مولاه، حضرة الشَّيخ عبد الله الدّهلويِّ قدِّس سرُّه[١]، واشتغل بخدمة الزَّاوية مع الذِّكْر الملقَّن بالمجاهدة.

---

(١) عبد الله الدهلوي: علي بن شاه عبد اللطيف الدهلوي المعروف بـ«شاه غلام»، أحد مشايخ =

فلم يمضِ عليه نحوُ خمسة أشهرٍ حتى صار من أهل الحضور والمشاهدة، وبشَّره شيخُه ببشاراتٍ كشفيَّة قد تحقَّقت بالعَيان، وحَلَّ منه محلَّ إنسان العين من الإنسان، مع كثرة تصاغُره بالخِدَم، وكسره لدواعي النَّفس بالرياضات الشَّاقَّة وتكليفها خطط العَدَم، فلم تكملْ عليه السَّنَةُ حتى صار الفردَ العَلَم، والله ذو الفضل الأعظم، وشهد له شيخُه عند أصحابه وفي مكاتيبه المرسلة إليه بخطِّه المبارك بالوصول إلى كمال الولاية، وإتمام السُّلوك العاديّ مع الرُّسوخ والدِّراية، وأجازه بالإرشاد وخلَّفه الخلافة التَّامّة، في الطَّرائق الخمسة: النقشبنديَّة والقادريَّة والسَّهْرَوَرْدِيَّة والكُبْرويَّة والجِشتيَّة، وأجازه بجميع ما يجوز له روايتُه من حديثٍ وتفسيرٍ وتصوُّف وأحزابٍ وأوراد.

ثم أرسله بعد ملازمته سنةً بأمرٍ مؤكَّدٍ لم يمكنه التَّخلُّفُ عنه إلى هذه الأقطار والبلاد، ليرشدَ المسترشدين ويربِّي السَّالكين بأتقن إرشاد، وشيَّعه بنفسه نحو أربعة أميال، ليأتيَ إلى أوطانه ممتثلاً للأمر الواجب الامتثال، سائراً في طريقه برّاً وبحراً نحو خمسين يوماً لم يطعمْ طعاماً فيه ولم يشرب الماءَ، متغذِّياً متروِّياً بالعبادة والذِّكْر، حتى خرج من «بندر مسقط» إلى نواحي «شِيراز» و«يَزْد» و«أَصْفَهان»، يُعْلِنُ بالحقِّ أينما كان، وكم مرَّةٍ تجمّع بعضُ الرَّوافض لضربه وقتله، بعد عجزهم عن أدلَّة عقله ونقله، فهجم عليهم بسيفه البتَّار، فنكصوا على أعقابهم وولَّوا الأدبارَ.

ثم أتى «همَذان»[1] و«سَنَنْدَج»، فوصل «السُّليمانية» سنة ستّ وعشرين باستقبال

= الطريقة النقشبندية، ولد سنة ١١٥٨هـ، أخذ عنه مولانا خالد وأحمد الكردي وإسماعيل المدني، توفي سنة ١٢٤٠هـ. «حلية البشر» (٩٢٧ـ٩٣٨).

(١) في كلتا النسختين: (همدان)، ولعل الصواب ما أثبته؛ إذ أن «هَمْدان» في اليمن، و«همَذان» في إيران، وهي التي دخلها مولانا خالد النقشبندي.

أعيان وطنه معزَّزاً مكرَّماً، فقدم في تلك السَّنة بلدتنا «الزَّوراءَ»؛ [ليزور] الأولياء، فنزل في زاوية الغوث الأعظم، سيدنا الشيخ عبد القادر الجيليّ(١) قدس سرُّه الأقوم، وابتدأ هناك بإرشاد النَّاس، على أحكم أساس، فمكث نحو خمسة أشهرٍ، ثم رجع إلى وطنه بشعار الصوفيَّة الأكابر، مُرْشِداً في علمي الباطن والظَّاهر.

ولَمّا اطَّردت سُنَّة الله في الذين خلوا من قبلُ أن جعل حُسّاداً لكلِّ مَنْ تفرَّد في الفضل؛ هاج عليه بعضُ معاصريه ومواطنيه بالحسد والعداوة والبُهْتان، ووشَوْا عليه عند حاكم «كُرْدستان»، بأشياءَ تنبو عن سماعها الآذان، وهو بريءٌ منها بشهادة البداهة والعَيَان، فلم يقابِلْ صنيعَهم الشَّنيع، إلا بالدُّعاء لهم وحسن الصَّنيع، فلم تَخْبُ نارُهم، وزاد شرُّهم وعُوارُهم، فخلَّاهم وشأنَهم في «السُّليمانيَّة»، ورحل إلى «بغداد» سنة ثمانية وعشرين مرَّةً ثانية.

فألَّف الذي تولَّى كِبَر البهتان من المنكرين، رسالةً عاطلةً عن الصِّدق والصَّواب، ومهَرَها بمُهُور إخوانه المنكرين، مشحونةً بتضليل الشَّيخ المترجَم وتكفيره، ولم يخشوا مَقْتَ المنتقم شديد العقاب، وأرسلها إلى والي «بغدادَ» سعيد باشا يحرِّضُه على إهانته، وإخراجه من «بغداد» بسعايته، فبصَّره الله تعالى بدسائسهم النَّاشئة عن الحسد والعِنَاد، وأمر بعضَ العلماء بردِّها على وجه السَّداد، فانتدب له العالمُ النِّحرير، الدَّارجُ إلى رحمة الله القدير، محمد أمين أفندي مفتي «الحلَّة» سابقاً، وكان مدرِّسَ المدرسة العلويَّة لاحقاً، بتأليف رسالةٍ طَعَنَ بأسنَّة أدلَّتها أعجازَهم، فولَّتهم الأدبارَ ثم لا ينصرون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٧٧]، ومُهرتْ بمُهُور علماء «بغداد»، وأُرسلتْ إلى المنكرين فسَلقَتْهم(٢) بألسنةٍ حِداد،

---

(١) في المطبوعة: (الجبلي).

(٢) في المطبوعة: (فسقلتهم).

فخَبَتْ نارُهم، وانطمستْ آثارُهم، ورجع بعد هذه الأمور إلى «السُّليمانية»، محفوفاً بالكمالات الإحسانيَّة.

وبالجملة انتفع به خلقٌ كثيرون من الأكراد وأهل «كَرْكوك» و«إِرْبِل» و«المَـوْصل» و«العِماديَّة» و«عَيْنتاب» و«حلب» و«الشَّام» و«المدينة المنوَّرة» و«مكّة المعظمة» و«بغداد»، وهو كريمُ النَّفس، حميدُ الأخلاق، باذِلُ النَّدا، حاملُ الأذى، حلوُ المفاكهة والمحاضرة، رقيقُ الحاشية والمسامرة، ثبتُ الجَنَان، بديعُ البيان، طَلْقُ اللِّسان، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، يأخذ بالأحوط والعزائم، يتكفَّل الأراملَ والأيتام، شديدُ الحرص على نفع الإسلام.

وله من المؤلَّفات:

١ ـ حاشيةٌ نفيسةٌ لم يُنسَجْ على منوالها[١] على «الخياليّ».

٢ ـ و«حاشية الهندية[٢] السِّيالكوتيَّة».

٣ ـ و«حاشية على نهاية الرمليّ» في فقه الشافعيّ إلى باب الجمعة.

٤ ـ و«حاشية على جمع الفوائد» من كتب الحديث.

٥ ـ ورسالةٌ عجيبةٌ سمّاها: «العقد الجوهريّ في الفرق بين كسبي الماتريديّ والأشعريّ».

٦ ـ ورسالةٌ في «الرَّابطة في اصطلاح السَّادة النقشبنديَّة».

٧ ـ وشرحٌ لطيفٌ على «مقامات[٣] الحريريّ»، لكنَّه لم يكمل.

---

(١) في المطبوعة: (منهالها).

(٢) في المطبوعة: (الحفيدية).

(٣) في المطبوعة: (مقات).

٨ ـ وشرحٌ على حديث جبريل، جمع فيه عقائدَ الإسلام، إلا أنّه باللغة الفارسيَّة.

٩ ـ وأكثرُ شعرِه فارسيٌّ، وله ديوان نظمٍ بديع، ونثرٌ يفوق أزهارَ الرَّبيع.

وهو الآن ـ أعني: سنةَ ثلاثة وثلاثين ـ يدرِّسُ العلومَ، من حديثٍ وأصولٍ وتصوُّفٍ ورسوم، ويربِّي السَّالكين على أحسن حال، وأجمل مِنْوال، وقد مدحه أدباءُ عصره من مريديه وغيرهم بقصائد فارسيَّة وعربيَّة، ورحل إليه كثيرٌ من الأقطار الشَّرقيَّة والغربيَّة، وبابُه محطُّ رِحَال الأفاضل، ومخيَّم أهل الحاجات والمسائل، لم يشغله الخلقُ عن الحقّ، ولا الجمعُ عن الفَرْق، لا زال ظلُّه ممدوداً، ولواءُ ترويج الشَّريعة والطَّريقة بوجوده معقوداً[1]، آمين.

إِنَّ الَّـذِي قُلْـتُ بَعْـضٌ مِـنْ مَنَاقِبِـهِ مَـا زِدْتُّ إِلَّا لَعَـلِّي زِدْتُّ نُقْصَانَـا

انتهى ما كتبه في «الحديقة النديَّة»، مع حذف بعضٍ من عباراته السنيَّة؛ روماً للاختصار، وعدم الإملال والإضجار، ومَنْ أراد الزِّيادةَ على ذلك من أوصاف هذا الإمام؛ فليرجعْ إلى الكتاب الذي ألّفه فيه الإمامُ الهمامُ، خاتمةُ البلغاء، ونادرةُ النُّبغاء، الأوحدُ السّند، الشيخ عثمان سند، الذي سماه: «أصفى الموارد في ترجمة حضرة سيدنا خالد»، فإنّه كتابٌ لم يحِكْ بُنْيانُ[2] البيان على منواله، ولم تنظر عينٌ إلى مثاله، بما اشتمل عليه من الفقرات العجيبة، والقصائد الرَّائقة الغريبة، عارض فيه «المقامات الحريريَّة»، والأشعار الحسَّانيّة والجَريريَّة.

ثـم إنَّ حضـرةَ الإمـام المترجَم، قد تفضَّـل الله تعالى به على أهل الشَّـام وأنْعَم، حيـث جعلهـا محلَّ قَـرَاره، ومحـطَّ رحالـه وتَسْـيَاره، ودخلها سـنة ثمانيـة وثلاثين

---

(١) في الأصل: (مقصوداً).

(٢) في المطبوعة: (ببنان).

بخَدَمه وحَشَمه وجملةٍ من الخلفاء والمريدين، فغصَّت أبوابُه بالزّحام، وهرع إلى خدمته الخاصُّ والعامّ، يتبرَّك بزيارته الأمراءُ والحُكّام، نافذَ الكلمة فيهم بلا نقضٍ ولا إبرام، تتواردُ عليه المكاتباتُ من أعيان الدَّولة المنصورة، وأمراء عامَّة الأقطار المعمورة، وهو مع ذلك لم يشتغلْ عن نشر العلوم الشَّرعيَّة، وإشادة شعار الطَّريقة النَّقشبنديَّة، وإرشاد السَّالكين، وتربية المريدين، وإحياء كثيرٍ من مساجد دمشق الشَّام، قد آلت إلى الاندراس والانهدام، بإقامة الصَّلوات والأوراد والأذكار، وإرشاد الخلق إلى طُرُق السَّادة الأبرار، حتى صار عينَ جِلّق، وبدرَها(١) المتألِّق، ودرَّ تاجها، وسببَ رواجها، والمشارَ إليه من بين أهلها، والمعوَّلَ عليه في دفع الملمَّات وحلِّها.

إلى أن أصيبت بعين الزَّمان، ورُميت بطوارق الحَدَثان، بسبب الطَّاعون الدَّاعي إلى الهلاك والحَتْف، الواقع فيها عام اثنين وأربعين ومائتين وألف، فلبّى(٢) داعية المجاب إلى دار المقام، في ليلة الجمعة لأربع عشرة خلون من ذي القعدة الحرام من ذلك العام، بعدما قدَّم بين يديه ولدين نجيبين، جعلهما الله له فَرَطين، فكان لهما الثَّالث، وأسرعَ بلحاقهما غير [متأخِّرٍ] ولا ناكث، ودُفن بسفح قاسَيُون المشهور، في مكانٍ مَواتٍ بعيدٍ عن القبور، احتفره لنفسه قبل وفاته بأيَّام، استعداداً للموت المحتوم على الأنام، وكان ذلك بعد شروعي في الفصل الرَّابع من هذه الأوراق، قُبَيل وصولي إلى خاتمتها الدَّاعية للأشواق.

ولقد دخلتُ عليه أُعزِّيه بولده الأخير، فوجدتُه يضحكُ بوجهٍ مستنير،

---

(١) في المطبوعة: (ويدرها).

(٢) في المطبوعة: (قلبي).

وقال لي: أنا أحمدُ الله حيث أجدُ في قلبي الحمدَ والرِّضا، أكثرَ من الاسترجاع على مُرِّ القضا.

ثم زُرْتُه يوم الثلاثاء الحادي عشر من ذي القعدة قبل الغروب من ذلك اليوم، فذكرتُ له أنّي رأيتُ منذ ليلتين في النّوم: أنَّ سيدنا عثمان بن عفان ميّتٌ وأنا واقفٌ أصلّي عليه، فقال لي: أنا من أولاد عثمان، فكأنّه يشيرُ إلى أنَّ هذه الرُّؤيا تومئُ إليه.

ثم أُخبرتُ أنّه لَمّا صلى العشاءَ التفتَ إلى مريديه، فاستخلف وأوصى، وفعل ما أراد واستقصى، ثم دخل إلى بيته، فطُعِن تلك اللَّيلة ليفوز بقَسْم الشَّهادة، وينالَ الحُسْنى وزيادة، فرحم اللهُ تعالى روحَه، ونوّر مرقده وضريحَه، ومتَّعه بما كان غاية متمنَّاه، وأفنى عمرَه في طلبه ورجاه، من الفوز بلذَّة النَّظَر إلى وجهه الكريم، في دار النَّعيم المقيم، وجمعنا وإياه تحت ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه الوريف، في مقعد صدقٍ ومقامٍ مُنيف، إنّه على ما يشاء قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد النبيّ المكرَّم، والرسول المعظَّم، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

قال المؤلِّفُ رحمه الله تعالى: [وقلتُ] فيه، أندبه وأرثيه، وأذكرُ بعضَ فضائله الجمَّة، بقصيدةٍ جعلتُها للخاتمة تتمَّة:

أَيُّ رُكْـنٍ مِـنَ الشَّـرِيعَةِ مَـالَا ... فَرَأَيْنَـاهُ قَـدْ أَمَـالَ الجِبَـالَا
مُـذْ رُزِئْنَـا بِأَوْحَـدِ العَصْـرِ عِلْمـاً ... وَبَهَـاءً وَبَهْجَـةً وَكَمَـالَا
وَاجْتِهَـاداً وَطَاعَـةً وَصَفَـاءً ... وَسَـخَاءً وَعِفَّـةً وَنَـوَالَا
هُـوَ بَحْـرُ العُلُـومِ شَـرْقاً وَغَرْبـاً ... وَيَمِينـاً وَقِبْلَـةً وَشِـمَالَا
فَـإِذَا عَـنَّ مُشْـكِلٌ كَلَّ عَنْـهُ ... كُلُّ شَهْمٍ يَحُـلُّ [عَنْـهُ] الشِّـكَالَا
مُـذْ تَجَلَّـى سَـنَاهُ فِينَـا أَرَانَـا ... كُلَّ بَـدْرٍ وَقْـتَ الكَمَـالِ هِلَالَا
وَسَقَـى أَهْـلَ عَصْـرِهِ كَأْسَ قُـرْبٍ ... وَحَسَـاهُمْ مِـنَ الرَّحِيقِ[1] الزُّلَالَا
هُـوَ قُطْـبٌ عَلَيْـهِ دَارَتْ رَحَـى العِرْ ... فَـانِ وَهْـوَ الفَرِيـدُ قَـالاً وَحَـالَا
هُـوَ شَـيْخُ السُّـلُوكِ مَـنْ نَـالَ هَدْيـاً ... مِـنْ سَـنَاهُ فَقَـدْ تَزَكَّـى فِعَـالَا
وَلِعُثْمَـانَ ذِي الحَيَـاءِ وَذِي النُّـو ... رَيْـنِ صَـحَّ انْتِسَـابُهُ إِجْـلَالَا
وَبِـهِ ازْدَانَ دِينُنَـا وَطَرِيـقُ النَّـ ... ـقْشَبَنْدِيِّ زَادَ مِنْـهُ جَمَـالَا
مَـا رَأَيْنَـا كَعِلْمِـهِ وَتُقَـاهُ ... وَلِجَـدْوَاهُ مَـا رَأَيْنَـا مِثَـالَا
دَمِـثُ الخُلْـقِ لَـمْ يُكَـدِّرْ صَفَـاهُ ... جَاهِـلٌ رَامَ مِنْـهُ شَـيْئاً مُحَـالَا
كَثُـرَتْ حَاسِـدُوهُ فَـازْدَادَ هَدْيـاً ... مُـذْ أَشَـاعُوا الـرَّدَى وَزَادُوا ضَـلَالَا
وَرَمَـوْهُ بِالإِفْـكِ ظُلْمـاً وَرَامُـوا ... ذُلَّـهُ مُـذْ رَأَوْهُ فَـاقَ خِصَـالَا
فَتَغَاضَـى عَـنِ القَبِيـحِ وَأَبْـدَى ... مَـا بِـهِ زَادَ رِفْعَـةً وَجَـلَالَا

---

(١) في المطبوعة: (الرحيف).

أَيَظُنُّ الحَسُودُ يُطْفِئُ نُوراً قَدْ أَرَادَ الإِلَهُ أَنْ يَتَلَالَا
دَأْبُهُ نَشْرُ حِكْمَةٍ وَعُلُومٍ كَمْ بِهِ مُبْعَدٌ تَقَرَّبَ حَالَا
كَعِدَادِ النُّجُومِ أَتْبَاعُهُ فِي كُلِّ قُطْرٍ بِهِ صَفَوْا أَعْمَالَا
كَمْ لَهُ مِنْ خَلِيفَةٍ زَادَ قُرْباً وَامْتَطَى فِي التُّقَى مَقَاماً تَعَالَى
كَمْ بِهِ مَسْجِدٌ أُعِيدَ سَنَاهُ وَاكْتَسَى مِنْ جَمَالِهِ سِرْبَالَا
وَلَكَمْ عَالَ عَاجِزاً وَفَقِيراً فَقَضَى مِنْ نَوَالِهِ آمَالَا
وَلَكَمْ شَادَ سُنَّةً قَدْ تَدَاعَتْ وَشَفَى بِاللِّسَانِ دَاءً عُضَالَا
وَلَكَمْ حَازَ خَصْلَةً قَدْ تَسَامَتْ دُونَهَا النَّجْمُ فِي عُلَاهُ مَنَالَا
وَمَزَايَا إِذَا أَرَدْتَ عِدَادَ الـ ـقُلِّ مِنْهَا فَلَسْتَ تُحْصِي الرِّمَالَا
قَدْ أَجَابَ الإِلَهَ لَمَّا دَعَاهُ وَلِدَارِ النَّعِيمِ رَامَ انْتِقَالَا
فَبَكَتْهُ العُيُونُ دَمْعاً غَزِيراً فَكَأَنَّ العُيُونَ أَضْحَتْ ثَكَالَى
خَالِدُ القُطْبِ إِنْ يَزُلْ فَهُدَاهُ خَالِدٌ فِي الأَنَامِ لَيْسَ مُزَالَا
فَعَلَيْهِ مِنَ المُهَيْمِنِ رُحْمَى كُلَّ حِينٍ عَلَى ثَرَاهُ تَوَالَى
مَا سَرَى فِي الضَّمِيرِ ذِكْرٌ خَفِيٌّ وَارْتَضَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

تمّت

وقد شطَّر هذه المرثيَّة العلامةُ الفاضلُ المنلا داود البغداديّ الخالديّ النقشبنديّ، فقال:

(أَيُّ رُكْنٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ مَالَا) قَدْ فَدَتْهُ الأَنَامُ رُوحاً وَمَالَا
زَلْزَلَ الأَرْضَ فَقْدُهُ وَدَهَاهَا (فَرَأَيْنَاهُ قَدْ أَمَالَ الجِبَالَا)
(مُذْ رُزِئْنَا بِأَوْحَدِ العَصْرِ عِلْمَاً أَظْلَمَ الكَوْنُ مِنْ أَسَاهُ وَحَالَا
فَاقَ كُلَّ الأَنَامِ فَضْلاً وَنُوراً (وَبَهَاءً وَبَهْجَةً وَكَمَالَا)
(وَاجْتِهَاداً وَطَاعَةً وَصَفَاءً) وَحَيَاءً وَقُرْبَةً وَوِصَالَا
وَسَجَايَا كَالزَّهْرِ حُسْناً وَحِلْماً (وَسَخَاءً وَعِفَّةً وَنَوَالَا)
(هُوَ بَحْرُ العُلُومِ شَرْقاً وَغَرْباً) مُسْتَفِيضٌ لِلْعَارِفِينَ سِجَالَا
طَافِحٌ لِلْوَرَى يَعُمُّ وَرَاءً (وَيَمِيناً وَقِبْلَةً وَشِمَالَا)
(فَإِذَا عَنَّ مُشْكِلٌ كَلَّ عَنْهُ) ثَاقِبُ الفَهْمِ فَالعُلُوم أَزَالَا
وَإِذَا مُعْقَدَ المَسَائِلِ أَبْدَى (كُلُّ شَهْمٍ يَحُلُّ عَنْهُ الشِّكَالَا)
(مُذْ تَجَلَّى سَنَاهُ فِينَا أَرَانَا) طُرُقَ العِلْمِ صِحَّةً وَاعْتِلَالَا
وَاحْتَقَرْنَا سِوَاهُ حَتَّى رَأَيْنَا (كُلَّ بَدْرٍ وَقْتَ الكَمَالِ هِلَالَا)
(وَسَقَى أَهْلَ عَصْرِهِ كَأْسَ قُرْبٍ) مِنْ عَصِيرِ الذِّكْرِ الإِلَهِيِّ اسْتَحَالَا
فَحَبَاهُمْ مِنْ فَيْضِهِ وَحَبَاهُمْ (وَحَسَاهُمْ مِنَ الرَّحِيق الزُّلَالَا)
(هُوَ قُطْبٌ عَلَيْهِ دَارَتْ رَحَى العِزْ فَانِ) خُدَّامُهُ سَمَتْ أَبْدَالَا
وَهْوَ غَوْثُ الأَنَامِ فِي سَائِرِ الأَزْ مَانِ (وَهْوَ الفَرِيدُ قَالاً وَحَالَا)
(هُوَ شَيْخُ السُّلُوكِ مَنْ نَالَ هَدْياً) بِهُدَاهُ مَا مَلَّ يَوْماً وَمَالَا

بَلْ وَمَنْ قَدْ سَرَى لَهُ بَعْضُ نُورٍ (مِنْ سَنَاهُ فَقَدْ تَزَكَّى فِعَالَا)
(وَلِعُثْمَانَ ذِي الحَيَاءِ وَذِي النُّو رَيْنِ) تَلَقَّاهُ تَابِعاً مِفْعَالَا
فَهْوَ فَرْعٌ مِنْ أَصْلِهِ وَعَلَى الحَا لَيْنِ (صَحَّ انْتِسَابُهُ إِجْلَالَا)
(وَبِهِ ازْدَانَ دِينُنَا وَطَرِيقُ الـ حَقِّ أَبْدَى تَبَسُّماً وَتَحَالَا
وَأَشَادَ الدِّينَ القَوِيمَ وَجَمْعُ النَّـ (ـنَقْشَبَنْدِيِّ زَادَ مِنْهُ جَمَالَا)
(مَا رَأَيْنَا كَعِلْمِهِ وَتُقَاهُ) مَاضِيَ الدَّهْرِ بَلْ وَلَا اسْتِقْبَالَا
مَا سَمِعْنَا فِي عَصْرِهِ كَعُلَاهُ (وَلِجَدْوَاهُ مَا رَأَيْنَا مِثَالَا)
(دَمِثُ الخُلْقِ لَمْ يُكَدِّرْ صَفَاهُ) خَابِطٌ بَحْرَهُ وَتَغَالَا
عَالِمٌ مَا أَشَانَهُ قَطُّ يَوْماً (جَاهِلٌ رَامَ مِنْهُ شَيْئاً مُحَالَا)
(كَثُرَتْ حَاسِدُوهُ فَازْدَادَ هَدْياً) حِينَ لَمْ يُلْقِ لِلْعَدَاوَةِ بَالَا
فَهْوَ لَا زَالَ حَافِظاً لِهُدَاهُ (مُذْ أَشَاعُوا الرَّدَى وَزَادُوا ضَلَالَا)
(وَرَمَوْهُ بِالإِفْكِ ظُلْماً وَرَامُوا) أَنْ يَنَالُوا مِنْهُ فَعَادَ وَبَالَا
زَادَهُ اللهُ عِزَّةً حِينَ شَاؤُوا (ذُلَّهُ مُذْ رَأَوْهُ فَاقَ خِصَالَا)
(فَتَغَاضَى عَنِ القَبِيحِ وَأَبْدَى) لِجَمِيلِ الصِّفَاتِ مِنْهُ احْتِمَالَا
وَحَبَاهُمُ مِنْ خَالِصِ الحِلْمِ عَفْواً (مَا بِهِ زَادَ رِفْعَةً وَجَلَالَا)
(أَيَظُنُّ الحَسُودُ يُطْفِئُ نُوراً) بِفَمٍ نَفْخُهُ يَزِيدُ اشْتِعَالَا
وَيْحَهُ كَيْفَ يُطْفِئُ نُورَ عَبْدٍ (قَدْ أَرَادَ الإِلَهُ أَنْ يَتَلَالَا)
(دَأْبُهُ نَشْرُ حِكْمَةٍ وَعُلُومٍ) اِصْرِفِ العُمْرَ فِي هُدَاهَا اشْتِغَالَا
بَالُهُ كَامِلٌ بِعِلْمٍ وَرُشْدٍ (كَمْ بِهِ مُبْعَدٌ تَقَرَّبَ حَالَا)

(كَعِـدَادِ النُّجُـومِ أَتْبَاعُـهُ فِـي) زُرُقَـاتِ أَتْبَاعِـهِ تَتَوالَـى
أَخْلَـصَ النَّـاسُ مُـذْ رَأَوْهُ لِهَـذَا (كُلُّ قُطْـرٍ بِـهِ صَفَـوْا أَعْمَـالَا)
(كَـمْ لَـهُ مِـنْ خَلِيفَـةٍ زَادَ قُرْبـاً) فَتَـرَاهُ فِـي حَضْـرَةِ القُـدْسِ جَـالَا
قَـدْ تَرَقَّـى مِـنْ فَيْضِـهِ وَاسْـتَحَقَّا (وَامْتَطَـى فِـي التُّقَـى مَقَاماً تَعَالَـى)
(كَـمْ بِـهِ مَسْـجِدٌ أُعِيـدَ سَـنَاهُ) بَعْدَمَـا كَانَ دَائِـراً إِهْمَـالَا
فَأَنَـارَتْ أَرْجَـاؤُهُ بِعُمَّـارٍ (وَاكْتَسَـى مِـنْ جَمَالِـهِ سِـرْبَالَا)
(وَلَكَـمْ أَعَـالَ عَاجِـزاً وَفَقِيـراً) فَعَلَاهُـمْ بِفَضْلِـهِ مَـا عَـالَا
وَلَكَـمْ أَغْمَـرَ الوُجُـودَ بِجُـودٍ (فَقَضَـى مِـنْ نَوَالِـهِ آمَـالَا)
(وَلَكَـمْ شَـادَ سُـنَّةً قَـدْ تَدَاعَـتْ) وَهْـوَ أَحْيَـى مَوَاتَهَـا اسْـتِعْمَالَا
وَهْـوَ بِالحَـالِ كَـمْ أَجَـارَ صَرِيخـاً (وَشَـفَى بِاللِّسَـانِ دَاءً عُضَـالَا)
(وَلَكَـمْ حَـازَ حِكْمَـةً قَـدْ تَسَامَتْ) فَأَدَاسَـتْ بُسْـطَ الأعَـالي[1] النِّعَـالَا
وَلَكَـمْ رُتَبَـةٍ تَرَقَّـى إِلَيْهَـا (دُونَهَـا النَّجْـمُ فِـي عُـلَاهُ مَنَـالَا)
(وَمَزَايَـا إِذَا أَرَدْتُ عِـدَادَ الـ) عُشْرِ أَعْجَزَتْ فِي الوُجُـودِ الرِّجَالَا
وَكَرَامَاتُـهُ إِذَا شِـئْتَ إِحْصَـا الـ (ـقُلِّ مِنْهَا فَلَسْتَ تُحْصِي الرِّمَالَا)
(قَـدْ أَجَـابَ الإِلَـهَ [لَمَّـا] دَعَـاهُ) لِـلِّـقَـا مُلَبِّيـاً إِعْجَـالَا
وَاشْـتَهَى أَنْ يَفُـوزَ بِالقُـرْبِ مِنْـهُ (وَلِـدَارِ النَّعِيـمِ رَامَ انْتِقَـالَا)
(فَبَكَتْـهُ العُيُـونُ دَمْعـاً غَزِيـراً) فَأَسَـالَتْ مِثْـلَ العُيُـونِ انْهِمَـالَا
فَقَدَتْـهُ وَكَانَ عَيْـنَ ضِيَاهُـمْ (فَـكَأَنَّ العُيُـونَ أَضْحَـتْ ثَـكَالَا)

---

(١) في المطبوعة: (اللعالي).

(خَالِـدُ القُطْـبِ إنْ يَـزُلْ فَهُـدَاهُ) مُسْـتَقِيمٌ وَثَابِـتٌ لَـمْ يَـزَالَا
فَهْـوَ بَـاقٍ بِـاللهِ بَعْـدَ فَنَـاءِ (خَالِـدٌ فِـي الأَنَـامِ لَيْـسَ مُـزَالَا)
(فَعَلَيْـهِ مِـنَ المُهَيْمِـنِ رُحْمَـى) كُلَّمَـا هَبَّـتِ الرِّيَـاحُ شَـمَالَا
وَغُيُوثُ الرِّضْوَانِ بِالفَضْلِ تَهْمِي (كُلَّ حِيـنٍ عَلَـى ثَـرَاهُ تَوَالَـى)
(مَا سَرَى فِي الضَّمِيرِ ذِكْرٌ خَفِيٌّ) فَاسْـتَفَادَ الوُجُـودُ مِنْـهُ وَنَـالَا
أَوْ بَـدَى وِرْدُ عَامِـلٍ بِصَـلَاةٍ (وَارْتَضَـاهُ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَـى)

الفهارس

فهرس المصادر

- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت٥٠٥هـ، وبهامشه: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت٨٠٦هـ، دار المعرفة - بيروت.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي ت٩٨٢هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير ت٦٣٠هـ، دار الفكر، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

- أسنى المطالب في شرح روض الطالب: أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري ت٩٢٦هـ، دار الكتاب الإسلامي.

- آكام المرجان في أحكام الجان: محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقيّ الحنفي، أبو عبد الله، بدر الدين ابن تقي الدين ت. ٧٦٩، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن - مصر - القاهرة.

- الاختيار لتعليل المختار: عبد الله بن محمود الموصلي ت٦٨٣هـ، تحقيق: محمود أبو دقيقة، مطبعة الحلبي، ١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م.

ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن يوسف الجويني ت٤٧٨هـ، مكتبة الثقافة الدينية، ط١/ ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

ـ الاستذكار لمذاهب أئمة الأمصار وفيما تضمنه الموطأ من المعاني والآثار: أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري ت٤٦٣هـ، تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري ت٤٦٣هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١/ ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

ـ الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان: زين الدين ابن نجيم الحنفي ت٩٧٠هـ، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

ـ الإعلام بقواطع الإسلام من قول أو فعل أو نية أو تعليق مكفر: أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي ت٩٧٤هـ، تحقيق: محمد عواد العواد، دار التقوى، ط١/ ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م.

ـ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ـ أو: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ـ: عبد الحي بن فخر الدين الحسني الطالبي ت١٣٤١هـ، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

ـ الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي ت١٣٩٦هـ، دار العلم للملايين، ط١٥/ ٢٠٠٢م.

ـ الاقتصاد في الاعتقاد: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت٥٠٥هـ، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

ـ الأنوار القدسيّة في معرفة قواعد الصُّوفية: عبد الوهاب الشعراني، ت. ٩٧٣، مكتبة المعارف ـ بيروت، ط/ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

ـ الأنوار لأعمال الأبرار: يوسف بن إبراهيم الأردبيلي ت٧٧٩هـ، تحقيق: خلف المطلق، دار الضياء، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

ـ الأولياء: أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا ت٢٨١هـ، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١/ ١٤١٣هـ.

ـ البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين ابن نجيم الحنفي ت٩٧٠هـ، دار الكتاب الإسلامي، ط٢.

ـ البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير: سراج الدين عمر بن علي ابن الملقن ت٨٠٤هـ، تحقيق: مصطفى أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال، دار الهجرة، ط١/ ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

ـ البناية شرح الهداية: بدر الدين محمود بن أحمد العيني ت٨٥٥هـ، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

ـ البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة: أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي ت٥٢٠هـ، تحقيق: د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط٢/ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

ـ التُّحفة الحَلِيميّة في تاريخ الدّولة العليّة: إبراهيم بك حليم، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، ١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٥ م.

ـ التيسير بشرح الجامع الصغير: زين الدين المعروف بعبد الرؤوف المناوي القاهري ت. ١٠٣١هـ، مكتبة الإمام الشافعي ـ الرياض، ط٣/ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ت. ٨٧٥هـ، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط١/ ١٤١٨.

ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن محمد القرشي الحنفي ت٧٧٥هـ، مير محمد كتب خانه ـ كراتشي.

ـ الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ت٤٥٠هـ، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

ـ الحاوي للفتاوى: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت. ٩١١هـ، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمان، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢/ ٢٠١٠م.

ـ الحاوي للفتاوي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، دار الفكر، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

ـ الحديقة الندية في آداب الطريقة النقشبندية: محمد بن سليمان البغدادي ت١٢٣٤هـ، نسخة محفوظة في جامعة الملك سعود برقم: ٤١٧٨.

ـ الدر الفريد وبيت القصيد: محمد بن أيدمر المستعصمي، تحقيق: د. كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١/ ٢٠١٥

ـ الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار: علاء الدين محمد بن علي الحصكفي ت١٠٨٨هـ، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، دار الفكر - بيروت.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ، تحقيق: محمد عبد المحيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٢/ ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

- الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الدكتور إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، ط١/ ١٤١٦هـ-١٩٩٦ م.

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري ت٧٩٩هـ، تحقيق: د. محمد الأحمدي، دار التراث - القاهرة.

- الذخيرة: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ت٦٨٤هـ، تحقيق: محمد حجي، وسعيد أعراب، ومحمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي، ط١/ ١٩٩٤م.

- الرّسالة الخالدية: مولانا محمد خالد ضياء الدين النقشبندي ت. ١٢٤٢، مكتبة السراج، فاتح - إستانبول، ط١/ ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧ م.

- الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن القشيري ت٤٦٥هـ، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، ود. محمود بن الشريف، دار المعارف - القاهرة.

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ت٥٨١هـ، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، ط١/ ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

- الزهر النضر في حال الخضر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت. ٨٥٢هـ، تحقيق: صلاح مقبول أحمد، مجمع

البحوث الإسلامية - جوغابائي نيودلهي - الهند، ط١/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- الزواجر عن اقتراف الكبائر: أبو العباس أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي ت٩٧٤هـ، دار الفكر، ط١/ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

- الضعفاء الكبير: أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي ت٣٢٢هـ، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار المكتبة العلمية، ط١/ ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت٩٠٢هـ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

- الطبقات الكبرى: لوافح الأنوار في طبقات الأخيار: عبد الوهاب الشعراني ت. ٩٧٣، مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، ط/ ١٣١٥هـ.

- العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير: أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي ت٦٢٣هـ، تحقيق: علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

- العظمة: أبو محمد عبد الله بن محمد ابن حيّان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني ت٣٦٩هـ، تقحيق: رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، ط١/ ١٤٠٨هـ.

- الفتاوى البزازية بهامش الفتاوى الهندية: حافظ الدين محمد بن محمد ابن البزاز ت٨٢٧هـ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٣١٠هـ.

- الفتاوى التاتارخانية: فريد الدين عالم بن العلاء الأندربتي ت٧٨٦هـ، تحقيق: شبير أحمد القاسمي، مكتبة زكريا بديوبند - الهند.

- الفتاوى الحديثية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي ت٩٧٤هـ، دار الفكر.

- الفتاوى الخيرية لنفع البرية على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان: خير الدين بن أحمد الرملي ت١٠٨١هـ، المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق، ١٣٠٠هـ.

- الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان: الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند العالمكيرية، دار الفكر، ط/ ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

- الفردوس بمأثور الخطاب: أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي ت٥٠٩هـ، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ت. ٧٢٨هـ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط/ ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥ م.

- الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد ابن عدي الجرجاني ت٣٦٥هـ، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وعبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة ت٢٣٥هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط١/ ١٤٠٩هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨هـ، دار الكتاب العربي، ط٣/ ١٤٠٧هـ.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي

ت٤٢٧هـ، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط١/ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق ت. ٤٢٧هـ، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط ١/ ١٤٢٢، هـ ـ ٢٠٠٢ م.

ـ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: نجم الدين محمد بن محمد الغزي ت١٠٦١هـ، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

ـ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

ـ اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية ـ بيروت/ لبنان، ط١/ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨ م.

ـ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: أبو حاتم محمد بن حبان البستي ت٣٥٤هـ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، ط١/ ١٣٩٦هـ.

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي المحاربي ت. ٥٤٢هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط/ ١٤٢٢هـ.

ـ المدخل: أبو عبد الله محمد بن محمد ابن الحاج العبدري ت٧٣٧هـ، دار التراث.

ـ المسائل المنثورة (فتاوى النووي): أبو زكريا يحيى بن شرف النووي

ت٦٧٦هـ، ترتيب: علاء الدين ابن العطار، تحقيق: محمد الحجا، دار البشائر الإسلامية، ط٦/ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

ـ المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ت٤٠٥هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

ـ المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت٢١١هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، ط٢/ ١٤٠٣هـ.

ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ، دار العاصمة ودار الغيث، ط١/ ١٤١٩هـ.

ـ المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت٣٦٠هـ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، ط١/ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

ـ المعلم بفوائد مسلم: أبو عبد الله محمد بن علي المازري ت٥٣٦هـ، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية والمؤسسة الوطنية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، ط٢/ ١٩٨٨م.

ـ المغني: ابن قدامة المقدسي ت. ٦٢٠هـ، مكتبة القاهرة، ط/ ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت٩٠٢هـ، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ط١/ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

ـ المكتوبات: الإمام الرّبّاني أحمد الفاروقي السرهندي ت. ١٠٣٤هـ، مكتبة السراج، ط/ ٢٠٠٦م.

ـ المنقذ من الضلال: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت٥٠٥هـ، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة ـ مصر.

ـ المنهيات: أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي ت نحو ٣٢٠هـ، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

ـ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي نقلا عن: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي (بدون مكتبة وتاريخ).

ـ الموطأ: أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي ت١٧٩هـ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط١/ ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

ـ النهر الفائق شرح كنز الدقائق: سراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم ت١٠٠٥هـ، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

ـ النور السافر عن أخبار القرن العاشر: عبد القادر بن شيخ العيدروس ت١٠٣٨هـ، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٠٥هـ.

ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ت٤٦٨هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ود. أحمد صيرة، ود. أحمد عبد الغني الجمل، ود. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

ـ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، عبدالوهاب الشعراني ت. ٩٧٣، دار إحياء التراث العربي ـ مؤسسة التاريخ العربي بيروت (بدون طبعة وتاريخ).

ـ إنباء الغمر بأبناء العمر: أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ، تحقيق: د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ مصر، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

ـ أنوار البروق في أنواء الفروق (الفروق): أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي ت٦٩٤هـ، دار عالم الكتب.

ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ت٦٨٥هـ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط١/ ١٤١٨هـ.

ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني ت٥٨٧هـ، دار الكتب العلمية، ط٢/ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

ـ بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية: أبو سعيد محمد بن محمد الخادمي ت١١٥٦هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٤٨هـ.

ـ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، (بدون تاريخ).

ـ بغية الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين عمر بن أحمد ابن العديم ت٦٦٠هـ، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر.

ـ بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد: محمد أسعد صاحب زاده، مطبعة الترقي دمشق (بدون تاريخ).

ـ بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة ما لها وما عليها: أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي ت٦٩٩هـ، دار الجيل، ط٣.

ـ تاج التراجم: زين الدين قاسم بن قطلوبغا ت٨٧٩هـ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، ط١/ ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

ـ تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١/ ١٤١٧هـ.

ـ تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر ت٥٧١هـ، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

ـ تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم إلى الآن: عزتلو يوسف بك آصاف، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة (بدون طبعة وتاريخ).

ـ تأويل مختلف الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت. ٢٧٦هـ، المكتب الاسلامي ـ مؤسسة الإشراق، ط٢/ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

ـ تبصرة الأدلة في أصول الدين: أبو المعين ميمون بن محمد النسفي، ت. ٥٠٨، نشريات رئاسة الشئون الدينية، أنقره، ط/ ٢٠٠٤.

ـ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: خر الدين عثمان بن علي الزيلعي ت٧٤٣هـ، المطبعة الكبرى الأميرية ـ بولاق، ط١/ ١٣١٣هـ.

ـ تبيين المحارم: سنان الدين يوسف بن عبد الله الأماسي ت١٠٠٠هـ، نسخة محفوظة في جامعة الملك سعود برقم: ٢٩٤٣.

ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر ت٥٧١هـ، دار الكتاب العربي، ط٣/ ١٤٠٤هـ.

ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المزي ت٧٤٢هـ، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، والدار القيمة، ط٢/ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

- تذكرة الحفاظ: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ت٧٤٨هـ، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

- تفسير المظهري: محمد ثناء الله المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية الباكستان، ط/ ١٤١٢هـ.

- تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام: محمد علي ابن عابدين ت١٢٥٢هـ، تحقيق: ثناء الله، مركز البحوث الإسلامية، مركان.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي ت٧٤٢هـ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

- تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول: عبد الرحمن بن علي ابن الديبع الشيباني ت٩٤٤هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، المطبعة السلفية، ١٣٤٦هـ.

- جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت. ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠ م.

- جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف ابن عبد البر النمري ت٤٦٣هـ، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط١/ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

ـ حلبة المجلي وبغية المهتدي في شرح منية المصلي وغنية المبتدي: شمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ت٨٧٩هـ، تحقيق: أحمد الغلاييني، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت٤٣٠هـ، مطبعة السعادة، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

ـ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق بن حسن البيطار ت١٣٣٥هـ، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، ط/ ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، ت. ١٠٩٣هـ، تحقيق: محمد نبيل طريفي/ اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، ط/ ١٩٩٨م.

ـ خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ت٦٧٦هـ، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤١٨ه، ١٩٩٧م.

ـ خلاصة الفتاوى: طاهر بن عبد الرشيد البخاري، مكتبة رشيدية.

ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت٤٥٨هـ، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٠٥هـ.

ـ دلائل النبوة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت٤٣٠هـ، تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، دار النفائس، ط٢/ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

ـ ذخيرة الناظر شرح الأشباه والنظائر: علي بن عبد الله الطوري ت١٠٠٤هـ، نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية برقم: ٢٦٧١.

ـ ذيل القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد: قاضي الملك محمد صبغة الله المدارسي الهندي الشافعي، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، ط١/ ١٤٠١هـ.

ـ رد المحتار على الدر المختار: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر عابدين الدمشقي الحنفي ت. ١٢٥٢هـ، دار الفكر ـ بيروت، ط٢/ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

ـ رد المحتار على الدر المختار: محمد أمين بن عمر ابن عابدين ت١٢٥٢هـ، دار الفكر، ط٢/ ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

ـ رسائل ابن عابدين: محمد أمين أفندي الشهير بابن عابدين الحسيني الحنفي ت. ١١٩٨هـ، تحقيق: الشيخ محمد عبد الرحمن الشاغول، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١/ ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١٢م.

ـ روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء ت. ١١٢٧، دار الفكر ـ بيروت.

ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي ت. ١٢٧٠هـ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١/ ١٤١٥هـ.

ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الآلوسي ت١٢٧٠هـ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٥هـ.

ـ روضة الطالبين وعمدة المفتين: محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت٦٧٦هـ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٣/ ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

ـ سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله

وأحواله في المبدأ والمعاد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي ت. ٩٤٢هـ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ط/ ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

ـ سلاطين الدّولة العثمانيّة عوامل النُّهُوض وأسباب السّقوط: د. إبراهيم حسنين، دار التعليم الجامعي، ط/ ٢٠١٤م.

ـ سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ت٢٧٣هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

ـ سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت٢٧٥هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ـ بيروت.

ـ سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ت٢٧٩هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢/ ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

ـ سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ت٧٤٨هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣/ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف ت١٣٦٠هـ، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد ابن العماد العكري ت١٠٨٩هـ، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط١/ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي ت٤١٨هـ، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، ط٨/ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

ـ شرح الجامع الصغير: فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي ت٤٨٢هـ، نسخة محفوظة في مكتبة فيض الله ـ إسطنبول برقم: ٧٥٣.

ـ شرح العقائد النسفية: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ت٧٩١هـ، مكتبة المدينة ـ كراتشي.

ـ شرح المقاصد في علم الكلام: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ت٧٩١هـ، دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

ـ شرح مشكل الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي ت٣٢١هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

ـ شرح منظومة ابن وهبان: عبد البر بن محمد ابن الشحنة ت٩٢١هـ، نسخة محفوظة في دار الكتب الظاهرية برقم: ٩١٥٩ عام.

ـ صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت٢٥٦هـ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت، ط٣/ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

ـ صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ت٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ت٧٧١هـ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ط٢/ ١٤١٣هـ.

ـ طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة ت٨٥١هـ، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، ط١/ ١٤٠٧هـ.

ـ طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب ـ بيروت، ط١/ ١٤٠٧هـ

ـ طبقات الصوفية: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ت٤١٢هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

ـ عقد القلائد في حل قيد الشرائد ونظم الفرائد: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ابن الفرات ت٧٣٥هـ، نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية برقم: ٣٦٤٥.

ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العينتابى الحنفى بدر الدين العينى ت. ٨٥٥هـ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت

ـ عمل اليوم والليلة: أحمد بن محمد ابن السني ت٣٦٤هـ، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن.

ـ غاية البيان شرح زبد ابن رسلان: محمد بن أحمد الرملي الأنصاري ت. ١٠٠٤، دار المعرفة بيروت.

ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط/ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

ـ فتاوى قاضي خان (الفتاوى الخانية): فخر الدين حسن بن منصور الأوزجندي ت٥٩٢هـ٣.

ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

ـ فتح القدير للعاجز الفقير: كمال الدين محمد بن عبد الواحد ابن الهمام ت٨٦١هـ، دار الفكر.

ـ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ت. ٩٠٢هـ، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة ـ مصر، ط١/ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

ـ فتح الملهم بشرح صحيح الإمام مسلم: شبير أحمد العثماني ت. ١٣٦٩هـ، دار القلم، دمشق، ط١/ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦ م.

ـ قاعدة في الجرح والتعديل (مطبوع مع كتاب «أربع رسائل في علوم الحديث»): تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ت. ٧٧١هـ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر ـ بيروت، ط٥/ ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

ـ قنية المنية لتتميم المنية: مختار بن محمود الزاهدي ت٦٥٨هـ، نسخة محفوظة في مكتبة الملك سعود برقم: ٧٣٨٢.

ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ت. ١١٦٢هـ، مكتبة القدسي ـ القاهرة، ط/ ١٣٥١هـ.

ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب چلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي ت٩٧٥هـ، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥/ ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

ـ مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري،، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة ـ بيروت.

ـ مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر: عبد الرحمن بن محمد المعروف بداماد أفندي ت١٠٧٨هـ، دار إحياء التراث العربي.

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت٨٠٧هـ، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

ـ مختارات النوازل: برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني ت٥٩٣هـ، نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية برقم: ٣٦٣٦.

ـ مسند أبي يعلى الموصلي: أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي ت٣٠٧هـ، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون، ط١/ ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

ـ مسند الإمام أحمد ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

ـ مشكاة المصابيح: أبو عبد الله محمد بن عبد الله التبريزي ت٧٤١هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٣/ ١٩٨٥م.

ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري ت٨٤٠هـ، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، ط٢/ ١٤٠٣هـ.

ـ معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): ياقوت بن عبد الله الحموي ت٦٢٦هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١/ ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

- معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام: علاء الدين علي بن خليل الطرابلسي ت٨٤٤هـ، دار الفكر.

- مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ت. ٦٠٤، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، ط/ ١.

- مكائد الشيطان: أبو بكر عبد الله ابن أبي الدنيا ت٢٨١هـ.

- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، تحقيق: سمير القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية ودار الجنان، ط١ / ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ت٥٧٧هـ، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ط٣/ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أحمد بابا بن أحمد التنبكتي ت١٠٣٦هـ، تحقيق: د. عبد الحميد الهرامية، دار الكاتب، ط٢/ ٢٠٠٠م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان ت٦٨١هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ١٩٩٤م.

- يتيمة الدهر في فتاوى أهل العصر: مجد الأئمة عبد الرحمن الترجماني ت٦٤٥هـ، نسخة محفوظة في الكتبخانية برقم: ٢١١٩ فقه حنفي.

فهرس الآيات القرآنية

(مرتبة حسب ورودها في المصحف)

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾	البقرة/ ٢٤٧	١١٦
﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾	البقرة/ ٣٠	١٢٠
﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	البقرة/ ١٠٢	١٠٥
﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ...﴾	البقرة/ ١٠٢	١٠٦
﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾	النساء/ ٥٤	٥٥
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾	الأنعام/ ٥٩	١٢١
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا ...﴾	الأنعام/ ٩٧	١٣٢
﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾	الأنعام/ ٥٩	١٣٣
﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ...﴾	إبراهيم/ ٢٢	٧٢
﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾	الشمس/ ٨	٣٧
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾	الشمس/ ٩	٣٧

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾	الشمس/ ١٠	٣٧
﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾	الأعراف/ ٢٧	٧٨
﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي﴾	الكهف/ ٨٢	١٢٤
﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾	الأنبياء/ ٢٠	٧٢
﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ ...﴾	الحج/ ٣٠ ـ ٣١	٥٧
﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾	المؤمنون/ ١١٥	٩٠
﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ ...﴾	النور/ ٦٣	٥٧
﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾	الشعراء/ ٢٧٧	١٥١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾	لقمان/ ٣٤	١٢١
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ...﴾	الأحزاب/ ٥٨	٥٥
﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا﴾	ص/ ٣٥	١٠٩
﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾	ص/ ٣٨	١١٣
﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾	الرحمن/ ٥	١٣٠
﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾	التحريم/ ٦	٧٢
﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾	القلم/ ٤٨	١١٤
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ ...﴾	الجن/ ٢٦ ـ ٢٧	١٢١ ـ ١٢٨

فهرس الأحاديث النبوية المرفوعة

(مرتب على أطراف الأحاديث)

طرف الحديث	الصفحة
إذا أظهرت أمتي البدع	٦
إذا أكفر الرجل أخاه، فقد باء بها أحدهما	٥٧
اخرج عدو الله	٨٩
اقتلوا ذا الطفيتين والأبتر	٧٩
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر	٥٧
إنّما الأعمالُ بالنيَّات	٤٨
إن بالمدينة جنا قد أسلموا	٨١
إن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله	٨٧
إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة	١٠٩
إنه من المحدثين الملهمين	١٢٥
أيما رجل قال لأخيه: كافر، فقد باء بها أحدهما	٥٧
الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب	٥٥
الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل	٥٦

طرف الحديث	الصفحة
خلق الله الجنَّ ثلاثةَ أصنافٍ	٨٣
دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء	٦٣
الله الله في أصحابي	٥
لا تفضلوني على يونس بن متى	١١٣
لن يراه خلق إلا عمي، إلا أن يكون نبيا	٩١
من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب	١٤٠
من أتى كاهنا فصدقه فيما قال	١٢٠
من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة	١٤٠
من رآني في المنام فسيراني في اليقظة	٩٢
هم رجال من قبائل شتى	٦
والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال	٩٠
ومن كتم علما ألجم بلجام من نار	٤٧

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٥
ترجمة المؤلف ـ عصر ابن عابدين	٩
شخصية ابن عابدين	١٢
دراسة عن الكتاب	٢٣
إثبات نسبة الكتاب إلى مؤلفه	٢٦
وصف النسخ المعتمدة ـ بيان منهج التحقيق	٢٧
نماذج من النسخ المعتمدة	٢٩
مرثية الملا داود النقشبندي للشيخ خالد النقشبندي	٣٥
مقدمة المؤلف	٣٧
سبب تأليف الرسالة	٣٨
قول الزاعم المراغم في صدر رسالته	٤٥
تكذيب الشيخ إسماعيل هذا الزاعم المراغم	٤٨
تَبرُّؤ الشيخ إسماعيل مما نسبوه إليه	٤٩
أجوبة أظلم من الليل الحالك	٥٠

الموضوع	الصفحة

تهور الزاعم المراغم وجهالته في الفتوى ٥٢
الفصل الأول: في تعريف الولي وكرامة الأولياء ٦٧
الفصل الثاني: في الجن والشياطين ورؤيتهم والاجتماع بهم ٧٢
الفصل الثالث: في السحر وأقسامه وأحكامه ٩٦
استشكال بعض الشافعية تكفير معتقد تأثير الكواكب وتحليله ١٠١
الفصل الرابع: في دعوى علم الغيب ١١٩
الخاتمة: في ترجمة الشيخ خالد النقشبندي ١٤٢
رثاء ابن عابدين للإمام خالد النقشبندي ١٥٦
رثاء الملا داود البغدادي للإمام خالد النقشبندي ١٥٨
فهرس المصادر ١٦٣
فهرس الآيات القرآنية ١٨٥
فهرس الأحاديث النبوية المرفوعة ١٨٧

الحمد لله رب العالمين